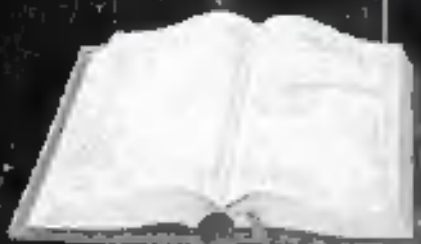
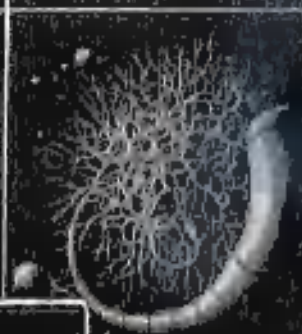


# محمّد مصطفيٰ

في تفسيرات العصرية

## للقرآن الكريم



محمد رجاوي

هذا الكتاب ...

الحقيقة الإسلامية تحتاج إلى أسلحة فكرية قوية لحمايتها ... أجل ... حمايتها من تأثيرات المذاهب الهدامة ، وثورات الفكر التخريبي ، وضغوط الواقع للوجه ، وسيطرة التصور المادي الأوربي ، وتغريعات بعض المتصوفة ...

ومشكلة الدكتور مصطفى محمود مع ثقافتنا من إخلاصه في محاولته للتفسير العصري كما يقول أنه اقتحم بحال الحقيقة الإسلامية ، وجازف بالدخول إلى ميدان التفسير العاصي للقرآن دون أن تكون لديه القدرة النافذة المنيرة على رصد تسلاات الأفكار المسمومة ، وعلى غلبة الموروثات النخبلة . وعلى تعييض الثرائب التي لحقت بالتصور الإسلامي الضعيف من جراء بعض المتصوفة ، أو ضغوط الواقع ، أو هيمنة الحضارة المعاصرة .

وال مؤلف هنا يحاور فقط الدكتور مصطفى محمود .. يحاوره علمياً ، ولأن محاورته عليه فإنه لم يطلق على كتابه هذا مثلاً « مسالات مصطفى محمود » أو « خرافات مصطفى محمود » أو ما هو أكثر من ذلك مما تلوه الآن ألبسة الناس . وتحدث به جمهرة المسلمين .. وإنما أطلق للزلف على محاولات الدكتور الاجتهادية « شطحات مصطفى محمود » .. شطحات وكفى .. فإلى عشرات الآلاف من الشباب المسلم المعاصر القى قرأ للدكتور واغتنى بفكره تقدم هذه المحاورة العلمية مع الطيب الكاتب الذي اجتهد غافلاً .. لعل هذا التنسيب ... يسرفه الحقيقة كما هي .. لا كما يتغلبها بعض الناس .

دکتر عبد المتعال الجبیری

مطالعہ عربیہ اسلامی

ف  
تفسيراته العصرية  
لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

« إن البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة  
مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح ( العصرية ) وقد  
جنى هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى »  
المشترقة الأمريكية  
مريم جيلة

ذِاْ اَلْعِصْمَةِ

طبعة مزيّدة منقّحة

دارالاعتصام

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

# بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الرسول لا يحركك الدين من مكانه ولا يملكه لك دين ولا دين آلئك ولا دين آلهم ﴾  
 ومن الدين هادوا ساعون للكذب ساعون للقوم آخرين . لم يأتوك بحرفون الكلم من بعد مواضعه .  
 يقولون : إن أولهم هذا فخلوه . وإن لم تفرقه فاحملوا . ومن يرد الله فتنه فلا فائدة له من الله  
 شيئاً . أولئك الذين لم يرد الله أن يغير قلوبهم : فهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾  
 الآية : 21

المسألة الأولى : ما هو الدين ؟  
 الدين هو ما يوجب لله تعالى من الطاعات والعبادات  
 والدين هو ما يوجب لله تعالى من الطاعات والعبادات  
 والدين هو ما يوجب لله تعالى من الطاعات والعبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله عليه الاعتد ، وصلاة وسلاماً على رسول الله وعلى آله وصحبه وحامل  
 لقواء من بعدهم إلى يوم الدين وبعد :

لهذه دراسة تحليلية وعلمية عن « القرآن في محاولة فهم عظمى للقرآن » وعن  
 « نثر الموت » الكاتبين اللذين أصدرهما الطيب الكاتب الصحفي ( مصطفى محمود ) .  
 وقد عرضت ما قاله الكاتب بالفاظه واهتمت عرض الجيد الجديد ، أو الشيء  
 بالجديد من الآراء التي سردها في كتابه إنصافاً للكاتب ، ولتدبراً لسخة إطلاعه ، كما  
 عرضت ما أراه مجانباً للحق بعيداً عن الصواب ، ومنزلاً لكرماً صادقاً عامهاً ، ولكنه  
 عظيم على العقيدة والمفردات الإسلامية .

ولاحظ ما نشر من رهود ، فوجدت أنه لابد مع كل هذه الرهود والتجديبات في  
 كتابة الكاتب ، من هذه الدراسة التي أقمها للكاتب وهواة الدراسة الإسلامية  
 العميقة ، إسقاطاً للحق وبياناً للصواب .

﴿ ومن يبد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾

لقد قرأت ما نشره الكاتب بموافقت مختلفة ، فوجدت له البعض ما كتبه ، واستنكر  
 آخرون الكتابة في مجلة صباح الخير ، لجلال الموضوع ، وأنه لا يتناسب مع نوعية  
 المجلة بين الصحف . وآخرون شجعوا الكاتب ، لا من حيث الموضوع ، ولكن لما فيه  
 من جرأة تميز مكانة فقهاء الشريعة حين يحقروهم على لسان الصوفية ، وبهذا لخدمة  
 للعلم الإسلامي فانها من وجهة نظر الجمهور ، كالاستهانة بذي الإسلام ، وكتمية علم  
 القريب للصوفية بما يسمى الكشف ، وكأول مدلول « شجرة آدم » والجنة والنار

والحوار فيها ، والحساب ، والتفسير كل ذلك بما ينكره المسلمون ، ولا مع اللغة ، بل ويبره ما لله من جلال حين يصفى عليه أسماء وألقاباً بلغة المهنة .

فستبقى هذه الأبحاث مع الزمن في المكتبة الإسلامية ونحس مراجع . وتعد أقوالاً إسلامية صاعدة من باحثين مسلمين ، إذ يجهل الذين يأتون من بعدنا في العصور القادمة قيمة الكتاب العلمية ومدى أهليته لخوض هذا المجال . ويجهلون أنها مجرد خواطر كاتب صحفي ، ليست مثلاً يكتبه في مجال تخصصه وهو الطب . وآخرون أحسوا بالخطر الكامن في هذه الجرأة فقالوا : لا ينبغي نشر هذه الأفكار . فطفاً بعدم اختصاص الكاتب ، وعدم توافر الشروط اللازمة لخوض هذه الدراسة لديه . فلهذا تخصص في أي فن مزينة ، وهو ضرورة كبرى لا يجادل فيها إلا الجاهلون خباء الطولية .

وقدما قال الإمام مالك بن أنس : « ليس كل من أحب أن يجلس للحديث والتفكير جلس حتى يشار فيه أهل الصلاح والفضل . فإن أراه لذلك أهلاً جلس ، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك » . وقد جاء في الآثار ما معناه : يعمل هذا الدين في كل جبل غدوله أي الثقات وهم المختصون الورعون الذين يشترن ■ يقولونه .

وفي الحديث الشريف : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » . وفي حديث لعمر بن الخطاب : « ولكنني أخاف على هذه الأمة رجلاً قرأ القرآن حتى أزلته . ثم تأول على غير تأويله » .

والحق أن المفسر لكتاب الله ، أو القائل شيئاً في أمر الدين ، سواء كان شفهياً أو تحريراً ، وبخاصة ما يذاع منه حين يكون ما يقوله خطأ . إنما يعمل وزر عطته ووزر من ضل به . والثواب الذي وعده الله به من اجتهد لأخطأ . أعشى أن يكون مقصوداً على الخطأ المقصود على الخطأ ، لا الخطأ الذي يخالف ما عليه إجماع القئين بعد إجماعهم .

وإذا علمنا أن الصليبية والصهيونية العالميتين يتلف رجالاً منها مقطعات بعض الكتاب المسلمين ويذيعونها ، وينون عليها مسائل خاطئة يستبطنونها . فإنه يتضح ■ قيمة الخطر الناشئ عن حديث منحرف في الإسلام .

وتفكر أنه يجب على المسلم أن يكون ورعاً . يتحاشى أن يقول كلمة في الإسلام قبل أن يسأل عنها ويقتطها بحثاً حتى يطمئن قلبه . لقد قامت زوبعة حول الموضوعات التي أثارها الكاتب ، أما النقد الموضوعي الذي يتناول الموضوع في الصميم فلا يزال يحتاج هذه الدراسة . وهو عبء . وأتمنى أن يسد الثغرة كائناً هذا وينفع الله به ويوفقني والأخ الكاتب للصواب ، ويميتنا في طريق العمل الإسلامي ونحت ظل الحقيقة ، وراية القرآن .

عبد الصالح الجبري

## الفصل الأول

### عدة المفسر

- الاتجاه نحو التفاسير العصرية
- ما يجب أن يعلمه المفسر.
- سؤال وجواب.

## الانجاء نحو التفاسير المعاصرة

منذ فجر هذا القرن تظهر بين آونة وأخرى تفاسير للآيات الكريمة والسنة المطهرة تعكس ما يبرق في العصر من علوم ونظريات جديدة ..

فالشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا في المنار ، وعبد العزيز جادويش فيما نشر من تفسيره بمجلة الهداية الإسلامية ، مظهر للتأثر بالدراسات الاجتماعية ، وللتطلع في مصر والعالم العربي حينذاك إلى تغيير اجتماعي أساسه تلك الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي سادت عصرهم .

وفي الثلاثينات وأوائل الأربعينات ظهر الشيخ طهطاوي جوهري بتفسير القرآن في ضوء سيطرة العلوم الكونية والإنسانية ، والتطلع إلى رتبة أكبر في مجال العلوم المختلفة ، ولخص ذلك في كتابه المسمى « الحكمة الإسلامية العليا » ، وإلى جنبه قامت دراسات تفصيلية : مثل كتاب « الإسلام يتبرسم خطي الطب الحديث » للدكتور الطيب حامد النواوي ، وزادت هذه الدراسات كلها بهرنا العلم : وهزنا الإحساس بما نحن فيه من تأخر . وآخر ما وصلنا ما نشره الطيب مصطفى محمود بمجلة « صباح الخير » في ديسمبر سنة ١٩٦٩ وأوائل عام ١٩٧٠ وهو لاشك يمثل في الطيب هذه التطورات الآتية في أن يفهم المسلمون الإسلام بروح يفدوها العلم ، وترفعها المعرفة من أعلى مستوياتها . كما أنه لاشك تستل في كتابته صور لتلهف الظلمات إلى آفاق روحية متدفعة اندفاع من أنفاس الشيع من المادة بكل صورها ومعانيها حتى أحس بشغل أغلالها ، فكان اندفاع التأثير في قوة يريد الخلاص ... والخلاص وحده .. غير عابئ بأي شيء ، فوقع في شطحات صوفية ردها الغزالي ، كما في تفسير الآتية : « إنا لك ميت » الزمر : ٣٠ ( انظر مشكاة الأنوار للغزالي ) .

ووقع في سقطات الباطنية ، كما يشير إليه نقلا عن ( فضائح الباطنية للغزالي ) .. ووقع في أسر الانفعال والرغبة في التعبير للتحرر المنطلق انطلاق المراهق لم تهذب عبارته التفاليد المرعية .. في جنب الله .. ومجال الدراسات الإسلامية ... لم يعرف الالتزام

الذي يقتضيه المقام .. وإن كان له في ذلك محاولات تشكر في مدفعها ، وتفتقر  
النصيح المخلص فيها .

ورغبة في أن ينتفع الكاتب وأمثاله - في محاولاتهم المخلصة - بالقوانين والواجبات  
المتبعة في هذا اللون من الدراسة ، أنشر هذه النشرات ، معتقداً عما إذا كان قد سقط  
منى عبارة ، ربما لا تكون مرتفعة ورحيمة بكاتب له دراساته الواسعة . والكاتب وإن  
نقصه في هذه المحاولة الأولى في الآفاق الإسلامية - كثير من التوفيق فإني أدعو : راجياً  
الله أن يوفقه ويوفقنا لاكمال صراطه المستقيم .

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الإلحاح على صوغ المفاهيم الإسلامية ونصوص  
الشريعة في قوالب النظريات العلمية المعاصرة : له خطره على الإسلام ذاته في المدى  
البعيد لحركة الحرب ضد الإسلام .

لقد حاولت المسيحية بأوروبا أن تجدد نفسها ، فأدخلت على شروح الإنجيل  
دراسات في الطبيعة والفلك والرياضة والطب وثنى العلوم .. ودرست هذه العلوم  
بقوانينها على أنها وحى مقدس ، فلما جدت نظريات أخرى قام صراع مرير بين جوائح  
كل متدين انحط عليه مآهو من كلام الله ومآهو من كلام البشر .. فدفعوا - عما ظنوه  
مقدساً من الكلام - كل نظرية وبعت بغير ما اعتقدوه .. وبانتصار هذه النظريات  
فقدت الكتب الشارحة للإنجيل قداسها ، بل فقدت كل الدراسات المسيحية  
( الإكليريكية ) احترامها .

وأكثر من هذا فإنه قد أصبحت المسيحية في نظر كثير من أبناء الشعوب التي كانت  
تدين بها مظهراً للتخلف نجم محاربه بشدة . فأقيمت معارض ومناحف للإلحاد .  
وعرضت المسرحيات والقصاص التي تنقد الدين وتسخر به ممثلاً في رجاله وأفكاره  
ومفهومه .. بالصورة التي يعرفها كل من له إلمام بتاريخ الأدب .

ومن قبل هذا كان انبهار الديانة « الزردشتية » وسقوطها ، عندما وضع في كتب  
علماء الدين ومدارسهم التي كانت تهيمن على الثقافة - ما ليس من الدين من علوم  
الفلك والطبيعة وغيرها .

فإنه بتجدد العلوم والفلسفات ظهر ضعف هذه الدراسات العلمية التي تضمنتها  
كتب الزردشتية المفلسة . فلم تقو على مصارعة الفلسفات اليونانية والفلسفات الحديثة .

فقامت ثورات عليها ، وتمزقت شرموزها ، فظهرت المزدية والمناوية وغيرهما من فصائل  
المجوسية ، واضطرب كبار رجال الدين : بل وساسة القرس إلى أن يحسوا من ( الأوفست )  
كثيراً من التصوص المتعارضة مع العلم . معتقدين أن هذه خطوة تنفذ الديانة المجوسية  
من سخرية العقل والعلوم الناهضة إبان ذلك . ونحن نتساءل .

هل تشجيع المستعمر لهذا النمط من التفسير أولاً ... ثم انسياق المخلصين في هذا  
التيار - دون سوء قصد - ثانياً .. يُسلمنا إلى المأساة التي تحطمت المسيحية على  
صخرتها ؟

إنها محاولات - لاشك - غير منها عدمها : وأولى ألا تسمى تفسيراً للقرآن ....  
ومع ذلك قلن تستطيع أن تتألم من الإسلام شيئاً .

﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَتِلْكَ الْأُنثَىٰ ۚ فَكَأَيْفَ يُحْأَيِّفُونَ ۙ الْحَبْر : ٩ - وكم سبقت في كيدته  
محاولات فباءت بالفشل .

كناطح صخرة يوماً ليوبهها فلم يضرها وأوغى قرنة الوعل<sup>(١)</sup>

(١) الوعل : تيس الحبل . وجمعه أوعال . ووعول . ووعل .



## ما يجب على المفسر أن يعلمه

### أولاً : حفظ القرآن

على الذين يريدون أن يتصدوا لكتاب الله بفرونيه أو يستنبطون منه شيئاً أن يتزودوا بالرعي التام للكتاب الكريم ، يحفظونه ، ويذكرون كل نصوحه - ويضعونها نصب أعينهم : حيث يربط بعضها ببعض ، ويفسر بعضها بعضاً .  
وإن عدم حفظ الكتاب أدى إلى وقوع نصحيح في بعض الآيات وإلى الاستشهاد الخاطيء ببعض الآيات : فكثيراً ما يتورط فيحمل آيتين أو أكثر على معنى واحد ، ويستشهد بها لأمر بعينه ، وتكون إحدى الآيات في سياق غير سياق الآية أو الآيات الأخرى .

مثال ذلك سرده ثلاث آيات متتابعة من الكتاب<sup>(١)</sup> في الاستشهاد على يدو نعمة ، وقد يكون في الحقيقة نعمة ، بينما إحدى الآيات ، آية التوبة نزلت في مناقب اللذة الذين قعدوا عن الجهاد مع المصطفى ﷺ في غزوة تبوك ﴿ فَلَا تُصْهِكُمُ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

والثانية : في سورة المؤمنون الآية ٥٥ - ٥٦ نزلت في سياق الحديث عن قوم موسى ﴿ أَيْخُسُونِ أَمَّا لِيُذْهِبْ عَنْهُمْ غَيْبُ مَالِهِمْ ﴾ .

والثالثة : في آل عمران : ١٧٨ جاء سياقها في الكفار من طريش ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا أُتِيَ لَهُمْ ضَرْبٌ ﴾ .

كما استشهد لشرحه<sup>(٢)</sup> النفس من الشهوات بآية التوبة : ١١١ ، والبقرة : ٥٤ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ - ﴿ فَتَقَاتِلُوا ﴾ .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من ٨٠ ط قول .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من : ٩٠ .

أَنْفُسَكُمْ ، ذَلِكَ بِمَا عَمِلْتُمْ بِهِ بِالْأَوَّلِينَ ﴾ .  
المجاهدين ، وسياق الأخرى في زجر عبدة العجل من بني إسرائيل .  
ولا يمكن أن يجتمع المؤمنون المجاهدون والكافرون الظالمون في سياق واحد إلا عند من لا يفقهون .

وناقى في موضوع الثورى ( ص ١٥٦ ) بخمس آيات سرداً ، مبتورة من سياقها وانتان منها فحسب - بقيلها موقف الثورى . أما الثلاث الأخريات ﴿ وَمَا آتَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ جُنَادٍ ﴾ في : ١٥ و ﴿ فَذَكَرْنَا أُمَّتَهُمْ أَنْ تَكُونَ مِنْكُمْ ، وَنَسَوْنَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ في : ٢١ - ٢٢ و ﴿ وَلَا يَتَخَذُوا مِنْكُمْ وَلَدًا ﴾ في : ٢٤ - ٢٥ فإنه لا صلة لها بالثورى من قريب أو بعيد ، وإنما هي في حرية الاعتقاد ، والأجانب الأوليان في الكفار ، والثالثة في أهل الكتاب<sup>(١)</sup> .

### ثانياً : علوم اللغة

وعلى الذى يريد التفسير أن يتوسع في معرفة قواعد اللغة العربية بلاغة ، ونحواً ، ولغة ، وقد كانت أم المؤمنين عائشة تستشهد بالشعر العربى الجاهل عند بيان المعنى الثورى للكلمة من القرآن طبقاً للاستعمال العربى الأصيل .. وإنك لتجد القرطبي ملياً بالشواهد على الاستعمالات العربية للفظ القرآنية ، وكان ابن الأثير يحفظ للائمة ثلاث شاهد من الشعر لمؤثر على الاستعمال الثورى لألفاظ القرآن .

على أن من الخطأ أيضاً أن يفسر القرآن بمجرد إساحة اللغة للمعنى دون نظر إلى الله منزل الكتاب وإلى رسوله وأصحابه .

وقد عرضنا لأثر التفسير في هذه التواضع عند وجود مظاهر وتنازع هذا التفسير في ( محاولة ) للتفسير للعصرى ، وما ضل الباطنية وضلوا غيرهم إلا بالفهم النحرف في كتاب الله وستة رسوله ، وأما فهم في كتاب الله لا يتضح هذه القواعد فهو رد .

وقد قال الإمام مالك : لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب ، يفسر كتاب الله إلا جعلته شكلاً .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى لآية التوبة : ٥٤ : ٥٥ ط قول .



يجب أن يتوافر للمفسر القدرة على اختيار أحسن الآراء ، والمعرفة بمصادر الأدلة حتى يمكنه ترجيح رأى على رأى ، ولهذا يجب الإلمام بمناهج البحث وقواعد المنطق وبخاصة القواعد التي تسمى : علم أصول الفقه ، ليتمكن الباحث من ذلك .

وليس يكفي مجرد معرفة الأصول من الوجهة النظرية ، بل لابد من التمسك بها من الناحية التطبيقية ، وهكذا قل في علم : أصول الدين ، التي تسمى : علم التوحيد ، أو علم الكلام ، وأصول الفقه علم : مصطلح الحديث ، وعلم الرجال ، فالتمسك بذلك واجب حتى تتكون لدى الباحث الحاسة التي يميز بها بين ما يقبل من النصوص وما لا يقبل ، فكم من حديث ضعيف استشهد به الكاتب . بل كان يستشهد بما لا إسناده له ولا لهوث لروايته ، كالكذب المفدسة عند الكتابين : نصارى ويهود ، وهي كتب لا يعرف كيف وصلتنا ، وأساطير في نظر المسلمين بجهالة الرواة ، بل وفي نظر المشركين ، كما قال القرآن ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ الفرقان : •

وقد نسبت إلى بعض القديسين منهم ، ممن لا يعلم وزجه ، وبعضهم مختلف في ذاته مثل يوحنا : أنه يوحنا الخوارى أم الإسكندري .

هذا بالرغم من أن بعض هذه النصوص تخالف النصوص الإسلامية فيما عتده الكاتب خطأً بمرأ ﴿ وكفى به غفلاً ﴾ وهو عتة الله عظيم .

لأن السبوطي : وكل لفظ احتمل معنيين لمساعدة فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتقاد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى ، أما ما جرى مجرى الغيب والتشابه ، فلا قول فيه لأحد ، وإنما يرجع إلى الوارد من النبي - قط - وهذا هو سر وجوب التزوّد بالسنة النبوية المطهرة .

#### رابعاً : أسباب التزوّل

العلم بما ورد من أسباب نزول آيات الذكر الحكيم ، فإن العلم بالمسبب يزود العلم بالمسبب ، ولهذا كان أصح قول الفقهاء أنه إذا لم يعرف الملقى أو المقاسى ما نواه المخالف رجع إلى سبب بينه . وما هيجهما والآراء .

ولابد من ذلك لأنه يعطينا : خط السير في البحث عن مواطن الهداية - والاسترشاد بها ، بالرغم من أن العبرة بمسوم اللفظ لا بخصوص السبب ، فإن من لا يعرف الخصوص لا يعرف العموم ودلالته ، وإذا قال الصحابي نزلت هذه الآية في كذا فإن البخارى يعد ذلك حديثاً مستنداً ، أى مرفوعاً إلى النبي ﷺ . وغيره يعلمه قسماً من الصحابي إلا إذا كان ما قاله فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا هو منقول من لسان العرب وإلا اعتبر مرفوعاً (١) .

والدراسة الواسعة للبيئة التي نزل فيها القرآن أمر واجب سواء البيئة الطبيعية التي تشمل في جغرافية الجزيرة العربية وما حوّلها . أو الاجتماعية التي تشمل في التاريخ والعادات والتقاليد والنظم التي كانت موجودة عند نزول القرآن كالملاهي الشفافة أو العارية الصدر ، وكصنف الشعر ، أو صنف الضمائر ( الضمائر ) وكأولان الزينة ، وما كان من عادة اختلاط الجنسين ، وما إلى ذلك من صور الحياة .. كل ذلك إدراكه أمر لابد منه ، لتعرف - بموازنة ماضي الجاهل مع حاضره الاجتماعي - حكم الله ، وأين نحن من الإسلام ، ولتتبع الإرشاد الذي توجهه لنا الآيات .

وكم من ألفاظ كانت لها مدلولات في العصر الجاهل ، ثم صارت تستعمل في غير ما وضعت له ، أو وزدت فيه النصوص .. وذلك أن الألفاظ لها حياة وموت ، كالإنسان تواسر الأشياء ، ومن لم يعرف البيئة القرآنية الأولى وفيها مدلولات اللفظة القرآنية ، ظن يستبين المراد من الآيات .

#### خامساً : علوم البلاغة

حلب الإمام عبد القاهر الجرجاني أولئك المفسرين الذين يتعرضون لتفسير القرآن من غير إلمام بالبلاغة فقال : « ومن عادة قوم - ممن يتعاطون التفسير بغير علم - أن يجرهوا في الألفاظ الموضوع على الجواز والتشليل أنها على طواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ، ويطلوا الغرض ، ويمحوا انفسهم واسمع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف » .

وتابعك إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه ، وجعلوا يكتفون من غير طائل .. وهناك ترى ما شئت من باب جهل قد قصوه ، وزند ضلالة قد قسحوا به . ونسأل الله

(١) حكمة في أصول التفسير لابن تيمية ص : ٤٨ .

ولا بد من ارتباط المفسر بالجو البلاغي للآية . مثلاً يفسر مصطفی عمود لفظ « بعثوه » في الآية الكريمة « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ قَرِينٌ لَهُ يُزَكِّرُ وَيُنَفِّسُ » (٣٦) ، بأن معناه ( يتصرف ) : تفسير لا يعطينا المعنى الكامل الذي يتطلبه لفظ ( بعثوه ) .

فالحيوان أو الطائر أو الإنسان الذي بعثه ليكون له حيان ، ومع هذا فهو يتخبط . فلا هو يريد أن يسلم قياده لغيره ، كالعميان يفودهم المبصرون ، ولا هو مبصر يسعى على بيته فهو على عينه حجاب كالضباب حيناً ، وكالغصاة الشديدة التي لا يستطيع أن يفتح فيه حينه حيناً آخر ، ولذا فهو يتعثر كلما خطا خطوة ، أو يصطدم بشر من الشرور لا يشيه ، ويضرب في الحياة على غير هدى ، لأن مشاغل الدنيا تقف حجباً دون رايته الحق . فيظل في موقف مواجهة للقرآن يتخبط ، ويدوق آلام الضر والقتال ، وهو من قال الله عنهم « وَنَعْتَبُوهنَّ أَنَّهُنَّ بِمَعْشُرٍ ضَالَّينَ » وهذا المعنى المأخوذ من الجو البلاغي للآية غير مدلول كلمة ( يتصرف ) التي قالها الكاتب .

إن الذي قبض له قرين من الشياطين بحمله شيطانه على اللجاجة ، ويهين له الشر والعدوان والبطي . فلا يتصرف من المخاصمة أبداً ، ولا يلقى السلاح ، ولا يئأس للفشل محاولاته المضادة .

### سافساً : معاملة القرآن والتزامه :

ولا يكون هذا إلا بالتأمل الدائب في نصوصه ، واستنطاقها القنوي في كل ما بين المسلم ، أو يجري تحت ناظره من شئون ، وإلا بأن يأخذ نفسه بالكتاب الكريم ، يستفتح له أبواب من المعرفة في أثناء التطبيق ، لا تتم للمتأمل فيه بنظرات تجريدية لفظ ، فهناك فرق كبير بين صورتين : إحداهما ناشئة عن نظرة تجريدية ، وثانيها ناشئة عن ممارسة تجريدية ، كطالب الهندسة أو الطب يدركان عند التطبيق كثيراً من المعرفة الجديدة التي يمكن أن نسميها « معارف التطبيق » لا يمكن أن تنال إلا بالممارسة .

فالذين يعيشون القرآن بقيادته وأفعاله الرئيسية يحرون بنفس المواضع التي مر بها الذين نزل القرآن فيهم ، أو في عصرهم ، فيدركونه غصاً طويلاً صافياً كما كأنه ابن الساعة .

فالإنسان - الذي هو الموضوع الرئيس للمسلم - من حيث بيان أسباب السعادة والشقاء ، والأخذ بيده إلى ما فيه خير في الدنيا والآخرة بما شرعه له سبحانه من عبادات ، وبما وضعه من معتقدات وسير للأولين ، ونماذج لما في الكون والحياة من أمثال يستفاد من ضربها .. هذا الإنسان : عندما يعيش القرآن ، أي يحيا بالقرآن ويحيا القرآن فيه ، يجد أنماط الناس الذين نزل القرآن بحاجتهم ويدعوهم من متلفين وكفار ، وكتائب مغرضين أو يتنون الحق ، كما يجد أنماط المواقف التي قابلت الدعوة الإسلامية : فوقف يحتاج التمييز بالله إلهاً واحداً ، والتمييز بالمسئولية والجزاء في الآخرة وحشية العدالة لصالح حال البشر في الدنيا .. كما كان ذلك في فجر الدعوة الإسلامية ، وموقف يحتاج الصراع والجدال ومواجهة التوتر النفسي ليس ينهلون الإسلام ، ثم تأتت مرحلة التميز والتجمع والانطلاق بعد اشتداد الساعد ، والقدرة على الجهاد وإبراز الكيان الإسلامي وحيايته .

ولكل مرحلة متطلبات تترت فيا لها ، بل ربما تكررت الآية لفظاً أو بالمعنى لتأكيد ما يجب معرفته أو عمله ، ولهم برزوه باعتباره الطابع الذي يجب أن يسود الآونة ، وفي الوقت ذاته هو الذي ياسب الموقف ، كتكرار الآيات في الصبر : والتوحيد ، والثواب والعتاب ، إذ تكرر في القرآن وطقى العصور لأن الحركة لا تستطيع الإغماض عنها أو التساهل فيها في أي مرحلة من مراحلها ، ولو كانت هذه العقائد الأساسية وهدت في نفوس المؤمنين لما تقدمت حركة الإسلام بروحها الصحيحة وطبيعتها القلدة ، وهذا هو السرفي شمول جميع سور القرآن موضوعات ثابتة ، ولكن في ألفاظ متجددة وأسلوب متروح .

إنك لا تستطيع أن تفهم القرآن فهم صحيحاً وواضحاً إلا إذا آمنت به إيماناً يحركك في كل مواقف الحيوية ، كما حرك الذين صنعوا به التاريخ أو صنع بهم القرآن للتاريخ الإسلامي والحضاري ، فالقرآن كتاب حياة لها خصائصها .. وكما قال الشاعر :

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

### ملاحظة : تحذير المسألة :

وكما حدد الدارس إطار المسألة التي يريد معرفة الوجهة القرآنية في شأنها ، لتحديد

النواحي الأسامية في البحث ، واستخلص وجهات النظر البشرية حتى برزت له استقطة العجز البشري التي وقف الدارسون عندها مكتوف الأيدي ، فإن القرآن يفتحه بالإجابة التي تسد الثغرة في الفكر البشري<sup>(١)</sup> .

### ثامناً : العبرة بعدم اللفظ

قال العلماء : العبرة بعدم اللفظ لا بخصوص السبب ، فيتلون الحكم ما نزل فيه النص وما على شاكلته ، إما بالنص نفسه عند الجمهور ، أو بالقبول على النص ، أو بنص آخر عند البعض<sup>(٢)</sup> .

### ثامناً : معرفة القراءات

وعلى الدارس كذلك أن يلم بأطراف من القراءات التي قد تختلف عن قراءته التي تلاها القرآن ، وذلك لما تمدنا به هذه القراءات من معان لا يد منها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَا فُتُونَا ﴾ فقرأ بعضهم : ( فُتُونَا ) . والتبيت يعطى المدي الذي يجب أن يكون عليه التبين واستكشاف الحقيقة . وحتى القراءات النادرة ينبغي العلم بها ، كقوله تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطْلِقُونَ ذُنُوبَهُمْ لُطُوفٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . نزلت في صباب ومضمان لبيان حكم الإفطار فيه وما يجب على المذنب . وقد قرئ : في الفوائد : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطْلِقُونَ ﴾ أي يُحْتَلُونَ عليه ويطلقونه ، ويطلقونه يسر . فهي تحدد نوع الطاقة ، وهي التي تكون مع بذل أقصى الجهد<sup>(٣)</sup> .

وقد قرئ : ( يَمْشُر ) بفتح الشين ، فهو مشر من الفعل ( عشي ) - بكسر الشين - إذا عسى بألف في بصره .

أما القراءة المشهورة ( يَمْشُر ) فاس من الأهل ( عشي ) أي ضعف بصره بلا آفة ، فكأنه يتعاضى وقرئ : ( يَمْشُر ) بعدها ( يَمْشُر ) برفع الضمير ، باعتبار الجملة مكونة من مبتدأ وخبر ، وليست جملة شرطية كالقراءتين الأولى . وعلى هذا فهي قيد ثبوت الخبر للمبتدأ ، وتفيد تجديد حسونه ، وكأن تقبض قرون من الشياطين يكون كلما تلمس المرء أو تجاهل شرائع الله .

(١) المرجع السابق ص : ٢٢ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية - المصليق ص : ٢٢ .

ومزية معرفة هذه القراءات : أنها تدلنا على أن من عصى عن الحق أو تعاضى هذه حنيطاً وانفصا إرشاد الله زاده الشيطان خوابة لأن الشر يولد الشر ، حتى يصبح المرء وكله صديق حميم للشيطان .

### عاشراً : دراسة السيرة والسنة

وفي دراسة سيرة الرسول ﷺ وسنة وبخاصة الأحاديث التي وردت في تفسير كلمات أو آيات من القرآن وفي فتاواه ﷺ لأصحابه .

وفي التأثر من الصحابة ممن هم أكثر مآ دراية باللغة وبمواطن نزول القرآن وأسباب نزوله ، بل والتأثر من التابعين كمجاهد وقطاء وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعطاء والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب ، فقد نقلوا ما سمعوه عن الصحابة ولا يحد بينهم خلافاً ، غير أن منهم من يروي الحديث بالنص ، ومنهم من يرويه بالمعنى ، ومنهم من يغير عن الشيء بلازمه أو نظيره والمعنى واحد<sup>(٤)</sup> ، وفي الصور الحقيقية للإسلام مثلة في الرحيل الأول من حقلته .

وفي كل ذلك ما يضع لنا معالم على الطريق الحق والهدى ، حين نعرض لتفسير القرآن - لا يذبح عنها إلا هالك .

وفي القرآن الكريم : ﴿ تَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب : ٢١ . وهذا أمر لنا بأن نهتدى بالرسول في فهم الكتاب الكريم .

وقد جاء القرآن مؤكداً أن هذا الذي ذكرناه من دراسة سيرته وسنته وفتاواه بما هو صلب جيل الرسول ، وأجنا هو إتباعه ﴿ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ النحل : ١٠٠ . وقال سبحانه - في شأن الصحابة وتابعيه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ الواقعة : ١٠ - ١١ وقال ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ النحل : ١٠٠ .

فهذه تصومس توجب علينا أن نأخذ عنهم أيضاً ، لأنهم مقربون وموضي عنهم من الله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة : ٩٦ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص : ١٠٣ - ١٠٤ .

وهذه الآيات شاهد لحديث البخاري الذي رواه عن رسول الله ﷺ (أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم) بالرغم مما قيل في سند الحديث .

بل إن النبي ﷺ صرح لنا بضرورة اقتفاء آثار الصحابة الراشدين باحتسابهم في حياتهم الصور التطبيقية للرسالة التي جاء بها . فقال ﷺ (عليكم بسني وسنة خلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ)

### خامس عشر : دراسة العلوم الكونية والاجتماعية

والعلوم الكونية والاجتماعية والفنسية والصوفية ، وكل ما خلق الله من معارف ، لا بد للمفسر من الاطلاع عليها ، فهي تعطينا شواهد تزيدنا يقينا بنسب القرآن إلى عالم الغيب والشهادة الحكيم الخبير ﷻ سترهم آياتنا في الآيات ، وفي آفسيهم ، حتى يتبين لهم الله الحق ﷻ فصلت : ٥٣ .

ولا شك أن حقائق العلوم المنوعة التي سبق القرآن تبينها وسبيل الوصول إليها من تجارب ومعدات علمية لم تكن موجودة عند نزول القرآن ، وما كان من الممكن - للعرب أن يعرفوا تفاصيلها - لا شك أن ذلك يزيدنا يقينا بأن القرآن من عند الله .

فهو يثبتنا يؤكد لنا علم الله بالغيبيات ، وحيثه على المخفوقات ﷻ ألا ينظم من خلق ﷻ وهو الطيف الخبير ﷻ ﷻ أنا كل شيء خلقناه بقدر ﷻ البقرة : ٢٩ .

فهو يزيل من المعرفة تساعدا على تصور عظمة الله في كتابه المصور ، وأنه على المنهج الذي تجد عظمته في كتابه المنشور ، كتاب الوجود المنقذ أمام سبحانه خاشعين مسلمين ، بل مؤمنين قانتين .

فكما قيل : إن شرايع الله التي تتصل بالأممها عقول الفلاسفة مجتمعين ، وإخباره سبحانه عن الغيب العلمي الذي أشار إليه في كتابه منذ قرون - ثم نطق في عالمنا ما سبق أن أنبأنا به - كل هذا يمنحنا الإيمان بصدق مبلغ الكتاب ، إيتا وهو الأئمة الأمين .

كما تعطينا اليقين بصدق ما في الكتاب من غيب آخر - موعده يوم الدين ومكانه في الدار الآخرة .

وأبحاثنا العلمية - معشر البشر - يتمكس عليها قصور مداركنا وقدراتنا . ومن ثم

فهو أقل من أن نفهم في صورتها كتاب الله . وإنما الصواب والمنطقي أن نفهمها في صورة كتاب الله فإن الكامل هو الذي يحكم على الناقص ، وهذا هو قول القرآن : ﷻ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه . ويهديهم إلى صراط مستقيم ﷻ المائدة : ١٥ : ١٦ . وعمل الذي يريد أن يفهم على أعلى منة يتطابق فيها العالمين أن يقرأ على الأقل كتاباً من كل نوع من هذه الأنواع ، ليعلم الحقيث من الطيب ، وليستوثق لنفسه مما يفتق مع فكره ، ويتأقش ما يعارضه ، ولتتكمل له جوانب عديدة للمفهمون التراقي .

فكل لون من التفسير مرآة تعكس من ناحيتها جانباً كريماً في القرآن ، على المفسر للقرآن أن يتطبع - وكذا كل جوانب الجبال في القرآن ، وإلا كان كمن أراد أن يعرض صورة لشيء فعرض صورة جزء منه ، وترك باقي الأجزاء محجوبة عن الأنظار ، إن مادة القرآن محتدة غسجة ، فعل من أراد أن يقدمها للناس أن يعرف كل ما عليها ، وما تحته ، وأن يعرضها لمن أراد أن يقدمها إليه كاملة ، فلا يترك لها شيئاً عليها إلا كشف عنه وجلاء بحسب الورع المستبر .

كما أنه لازم لكيلا يحول على الآراء الضعيفة برغم بيان العلماء وجوه الضعف ، وفي هذا تحريف للكلم عن مواضعه وتفسير يعدنا عن مقاصد القرآن إلى مآرب الأشخاص وشهوانهم .

### سؤال وجواب

وقد أثار البعض سؤالاً مضمونه هل لكل مسلم أن يفهم من كتاب الله ما شاء أن يفهمه ، كما قال أحد الحليزين لآين أخني الجامعي (خذ من القرآن ما شئت كيفما شئت)

وهل يمكن للإنسان أن يتلقى فهمه للدين عن أي شخص قادر على التعبير ؟  
وجأ قال بعض الباحثين المحدثين (المعاصرين) : إن للمسلم أن يفهم ما يشاء ، ولكن عليه ألا يلجح على الناس إلا ما اتفقت عليه جمهرة المسلمين ، أو كان وجه الحق فيها بقوله واضحاً .

والحق أن المسلم كما أنه مسئول عن كل ما يذيعه - مسئول عن نفسه أيضاً - فلا يصح أن يعمل إلا في إطار الحقيقة التي لا يرتاب فيها ، والحقيقة التي تأتي على الرتبة هي ما كانت قائمة على أصول العلم وقواعده . فإذا كانت في التفسير فوجت فيها كل ما ذكرناه عند عدة المفسر .

وقد عرفنا أنه لا يجوز أن يتلقى الدين إلا عن ورج لا يقول إلا عن علم قائم على الأصول العلمية التي ذكرنا طرقاتها خاصة بتفسير القرآن .

لالي عشر : نوع الملقى وعذالته

وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن الفتوى لا تؤخذ إلا من الورع العبد ، فمن اشتهر بالفسق ، أو كان مجهول الحال ، لا تؤخذ عنه رواية الحديث .

وهكذا في التفسير : يشترط في مفسر القرآن أن يكونوا ممن عاشوا في تعالجه ، وتكون لهم الحس الإسلامي المرفه ، الذي ينفي من آفاق فكره وسوسة الشيطان ، وزيف أفكاره ، كما ينفي الضيق الماهر الصلة الزائفة .

وهذا الشرط لازم لأن هنالك كثيراً من التفسيرات تحمل وجهات نظر متعارضة ، فالشبهة والمحرلة والفهاء والصوفية والشعاع والبلاغيون وأهل السنة من المتكلمين والاجتهادين والعلميين .. لهم في القرآن كلام .

... ..

## الفصل الثاني

# إعجاز القرآن

- ١ - في الموسيقى القرآنية
- ٢ - بماذا كان إعجاز القرآن ■

أمثلة للإعجاز العلمي :

- السمع والبصر .
- آثار الرياح في الزراعة .
- بيت العنكبوت .
- الفرق بين السنين القمرية والشمسية .
- البصمات .
- الكشف الصوف .

## ١ - في الموسيقى القرآنية

يقول الدكتور : إذ كان الشعر موسيقاء الظاهرة التي تمثل في الوزن والقافية فإن كل كلمة في القرآن وكل جملة من الآيات التي تصدح موسيقاها الساحرة بين انطباعها بطريقة تدل على أن مصدرها غير متروك ، وبصحبها جلال ومهابة وروعة في التصوير والظلال التي ترسم المعنى . . . قد لا تتركها الآن بحكم العادة أو اليلادة ، أو الإغراق في العمامة ، حتى ذهبت عن أسرار الجمال في لغتنا العربية ، ثم زاد الطين بلة فساد الأداء من المرتلين الذين لا يصحب ترتيلهم الانفعال الذي يتناسب والمعنى الذي يتلوه ، وإنك لتخشع لسامع الآية يهرسها وموسيقاها حتى قبل أن تعيشها وتعلم معناها ، ومن ثم كانت ترجمتها ضرراً من الجمال ، ومحاولة فاشلة لنقل البناء العظيم في كل شيء ، مكاتبة وبهاء وصورة . . . لقد كان القرآن جديداً في معانيه ومبانيه ، إذ لم يكن للإنجيل في اللغة العربية نصيب ، فإن أول نص سبى مترجم إلى العربية هو مخطوط بمكتبة القديس بطرسبرج ، كتب حوالي عام ١٠٦٠ م ، والقرآن أصديقا في عباراته . فترجموا النوراة بذكر أن إنجيرة يوسف استخدموا ، الحبيب ، بينا القرآن يذكر أنهم استخدموا العير .

والجبار حفري لا يقوى على اجتياز الصحارى الواسعة من فلسطين إلى مصر ، بيننا الإبل هي الحيوان المألوف في هذه الرحلات .

والقرآن يحمل الدليل على أنه من عند الله . وليس هكذا عليه الصلاة والسلام فيه شيء . إذ أنه يقول النبي : حياته الشخصية عن القرآن ، بل ويترنل بما يتناقض مع الرأي الشخصي للنبي ﴿ وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ١١٤ ، ويترنل عليه الكتاب ﴿ وَإِنْ أَتَيْتَ لَهْمَ ﴾ .

ووضع في أوائل السور حروفا مقطعة لم يكن النبي على علم بها : ﴿ أَلَمْ نَقِمْ ﴾ عشق ، وكأنها مفاتيح الشفرة .

● تعقيب :

وحسنا ما قاله الكاتب ، غير أنا نسأله .

● أولاً : كيف يرمز النبي بحياته الشخصية عن القرآن وهو المثل البشري الذي جعله الله القدوة ؟ أليس من الحياة الشخصية قوله سبحانه للنبي : ﴿ لَمْ نَحْرَمْ مَا أُسْلُ إِلهَ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ .. ﴾ الآيات في سورة التحريم ؟ وقوله سبحانه : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ﴾ الآيات ٣٠-٣٤ من سورة الأحزاب . وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ﴾ الأحزاب : ٥٩ .

■ ثانياً : وكيف لا يعلم النبي مفاتيح الشفرة ، وهو حلقة الاتصال بيننا وبين الله .. وكيف يستشعر من المتحدث الرسمي عن الملك ألا يكون فاعلاً للبيان الذي يذم به ؟ وفي المثل الأهل .

قد يقال : ولماذا لم يرد عن الرسول نص بمعناها ؟ والجواب : أن أصحاب النبي لم يسألوا عنها ، لأنهم فهموا منها فهماً ما ، ورضوا بما فهموه .. وكلم من كلمات في اللغة ، وكلم من ألفاظ في استعمالها لجهلها .. فكيف نسقط شعورنا بالجهل على رسول الله الذي علمه ربه وأدبه لأحسن تأديبه .. ومن الأدب العلم ..

ثم أنه واضح جلي أن هذه الحروف بقف أمانها العلماء موافق شئ ، كل منهم راض عن موقفه منها .. ونفى بحيث نضع أنوار هذه المؤلفات طراً . ومتبع كتب التفسير يجد موضوع هذه الحروف مطروحاً للمناقشة بما تضيق عنه هذه الصفحات ، فليرجع إليها في المراجع الكبرى من شاء . ومعظم هذه الآراء تدل على بعض الجوانب التي لا تضيق بها هذه الحروف ، ولا تتعارض مع العقل والعلم :

( أ ) قال بعض العلماء : إن السورة التي تبدأ بحروف هجائية مثل ( ق - ن - م - ح - م ) يطلب فيها الحرف الذي في المتأخر على غيره ، بحيث أننا لو عدنا أحرف كل سورة وقسمناها بمجموعات ، كل مجموعة تحت حرف هجائي لوجدنا أن الحروف التي ابتدأت بها السورة هي الأكثر في الكلمات ، مما يدل على أن هذه الحروف جاءت إشارة إلى ما قلناه .

فتلا في سورة ( ق ) كان ينبغي أن نجد حرف ( ق ) يتمم بأغلبية بين الحروف المجالية في السورة وهكذا . ولكننا بمراجعة السورة وتصنيف حروفها وجدنا اللام

وردت ( ١٤٠ ) أربعين ومائة مرة ، بينما لفظ ، ق ، ورد ( ٥٧ ) سبعاً وأحشسون مرة فقط . وفي سورة ( ن ) نجد أنها وردت ( ١٢١ ) مرة تماماً مثل اللام . ولكن التنوين وهو النون الساكنة التي تثبت لفظاً لا خطأ ولا وفقاً هي التي ترجع الكفة . وقد وردت الحفرة ٦٦ مرة فالقاعدة إن صحت في ( ن ) باعتبار التنوين نوناً ساكنة لم تصح في ( ق ) .

( ب ) وفي سورة الشورى مثلاً ، نجد أن الله يضع الحروف ثم يطلق اسم الإشارة إليها ، ليدل على أن تركيب القرآن المعجز ، إنما هو من جنس الحروف التي في أيديهم ، وأن منتهى القصف البشري أن يعجز الإنسان عن أن يصنع بها في يده صنيع الذي يتحله . والمادة مطروحة بين يدي المتحدّي والمتحدّى .

﴿ حَم . عَم : كَذَلِكَ . ﴾ أي مثل هذه الحروف ﴿ يُوحَى إِلَيْكَ وَالْيَ الْلَّيْنِ مِنْ قَلَمِكَ إِلهَ الْغَزِيرِ الْقَحِيمِ ﴾ .

والإعجاز ليس في الحروف ، وإنما في قدرتها على استيعاب ما لا يطيقه البشر من علم وإدراك وحكمة وجمال فني .

وكان الله يشير بهذه الحروف إلى روح المعجزة في القرآن ، وأنها ليست إلا لأنها منه سبحانه . فاعجزهم عن أن يأتوا بمثلاً في المقصود وفي الصياغة معاً .

( ج ) ومن العلماء من يقول : إنها - أحياناً - تقع أصواتاً للتنبيه على أهمية ما يأتي بعدها ، فهي أشبه بأدوات الاستفتاح والتنبيه مثل : ألاً وكلاً وما .

( د ) وقال آخرون : هذه الحروف ترمز إلى بعض صفات الله لأهبتها ، والمترحوا بعض الصفات التي تمثل جانباً من صفات الله ومتعلقاته . برزت في السورة المفتحة بهذه الحروف ، ولكن هذا قول ليس له سند مستند إلى رسول الله ﷺ .

( هـ ) وقال آخرون : عند تفسير هذه الحروف : الله أعلم بمواده من هذه الحروف .

( و ) وقال ابن حزم : إنها هي المشابهة الذي نبينا عن الخوض فيه ، ولم تكلف البحث عنه ، فالجري وراءه حيث ينبغي التورع عنه .

ومعنى ابن حزم بالنبي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، وَبِهِ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أَمْ كُنَّ مَشَاطِبَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ﴾ آل عمران : ٧ .

( ز ) ويرى بعض المعاصرين أن وراء هذه الحروف أسراراً لم يكشف عنها العلم



بعد ، وقد يأتي المستقبل بما يكشف عن أسرارها ، فهي من باب الإعجاز باللب في باب العلوم التي يشير إليها القرآن قبل حدوثها بأجيال .

■ مأخذ بنت الشاطي :

قالت : تورط المفسر المعاصر في حديثه عن «العلماء القرآني»<sup>(١)</sup> و «مصفوتية» سورة الفاتحة .

ومن قبله تورط الزميل الشاعر نزار قباني في مثل هذا حين بدا له أن يكتب إحدى قصائد السور القرآنية على نسق الشعر ، وغالته أن القرآن قد أصر على نقي وصفه بالشعر . ردّاً على زعم المشركين أن محمداً شاعر ، وأن القرآن شعر ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ .

وهي تريد بذلك خروج الكاتب على ما هو مأثور في الحديث عن القرآن والتبوء من انقضاء ألفاظ مناسبة يجب مراعاتها . ثم قالت :

ويؤكد التأويل المعاصر حشرات أن القرآن يتحدث بالشفرة والرمز والإنشائية (ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٢) . وقال : إله سبحانه سوف يشرحه ويبيّن في مستقبل الأعصر والدمود بيننا قال القرآن ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ قُرْآنًا مُّتَشَابِهًا مَّا تَرَىٰ إِلَيْهِمْ : وَتَكَلِّمُهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا يُتْلَىٰ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

أول الحق : لقد تحيرت مع هذا التأويل المعاصر ، فحيث يقول مرات ، إن القرآن ليس كتاب علم (ص ٢٩) ولا كتاب فلسفة ولا سيرة (١٥٧ - ١٥٨ - ١٣٨ - ١٦٨) يؤكد في مواضع أخرى (أن التوحيد نشأت منه أعداد المعارف والعلوم) (ص ٣١٩) وهو يدلك على علوم لم تعلم بعد .. وخدم إليك حكمة الأزل ، دستور الحياة ، وفلسفة الأخلاق والحكم واللاهوت وما وراء الطبيعة ، وفي المعاملات والحرب والسلام .. و .. (ص ١٩٥ - وتسايق العلوم فلا تكاد تلتقي بأذيال القرآن) ص ٢١٣ .

وهذا اضطراب موضوعي وقع فيه الكاتب .

(١) مصطلحي محمود : محاولة لفهم معنى القرآن ص ٧ .

## ٧ - لماذا كان إعجاز القرآن ؟

لإعجاز القرآن مورد شتى ، فقد يكون إخباراً عن غيب سيأتي - وكانت الشواهد لا تدل عليه عند نزول القرآن ثم يقع هذا الغيب ، أو عن تاريخ مجهول تكشف الآثار عنه فيما بعد .

وقد يكون في الحجة البسيطة المقحة كالد على منكري البعث بقوله ﴿ وَالْقِيَامَةِ الْبَاقِيَةِ ﴾ - وقد تحمل الحجة - مع منطقتها - من الحيوية ما يفتح النفس بوجهة النظر القرآنية ، بحيث تستنكف - فيما بينها وبين نفسها - من موقعها المضاد لظواهر القرآن .. كقول الله في الرد على عباد الأوثان بإظهار حقارتها التي تبرز حقارة عبادها في أدب وترق مناسب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَهُمْ شِئْئاً لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئاً ، هُمُ الْغَالِبُونَ وَالْمُطْلُوبُونَ ﴾ . (الحج : ٧٣) .

ومن الإعجاز إحصاء<sup>(٢)</sup> الباب في مجال الأبحاث التي ليس من الإمكان الوصول إليها مثل كنه الروح .

... ومنه أيضا الإيجاز في الإجابة إلى مايسيه البلاء ، أسلوب الحكيم ، كمن يسأل عن كيفية ظهور القمر من الغمام .. فيذكر له ما يمكن أن يتطوع به من دراسات الفلك .

ومن الإعجاز تشريعه الحكيم ، إلى جانب الديباجة والصياغة الساحرة الأخاذة بمجامع القلوب حتى لا يملك السامع - مهما كان كافراً - أن يغفل إعجابه وتعظيمه لما سمع .. وأحيانا يسجد للقرآن - مع كفره - كما حدث لمن سمعوا النبي يقرأ النجم الحق انتبهوا إلى قوله سبحانه ﴿ فَاسْتَجِبُوا لَهُ رَاجِعُونَ ﴾ تسجد الجميع مسلمين وكفاراً . وقال الكاتب : إن الإعجاز راجع إلى اللفظ ، بما يستثيره في القلب من إحساس

■ إحصاء : إحصاء : الفصل لوسد ، يوبد .

غامض .. مع انساق كلماته للمعاني والموضوعات المعروضة على السامعين ، سبوة أو جزالة .. شدة أو رقة ، بحيث تستثير الإحساس التامض بالتخضوع من قبل أن يتخطى الفصل ليحلل ويفكر ويتأمل .. وقد تحدى الله الدنيا لأن يأتي أحد يسورة أو آية من مثل القرآن ، فكان المعجز الدال على الإعجاز<sup>(١)</sup> .

#### أمثلة للإعجاز العلمي :

ذكر الكاتب من أمثلة الإعجاز العلمي بعض الكشوف العلمية الحديثة التي نُبِّهت إلى أن إشارة القرآن إليها - قبل التوصل إلى معرفتها بمئات السنين - هي التلليل على أن القرآن بلفظه ومعناه نزل من عند الله ، مصداقاً لرسوله ، وهداياً إلى صراط مستقيم .

#### السمع والبصر :

فالقرآن عندما يتحدث عن السمع يبيحه ذكر البصر في أكثر من سبعة عشر موضعاً ، كقوله : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ السجدة : ٩ . وقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الحج : ٧٥ ، لأن السمع أعقد وأرفع من جهاز الإبصار في الإدراك .

ومع ما ■ الكاتب قال علماء البلاغة : إن هذا الأسلوب يعرف بأسلوب (مراعاة النظر للنظر) .

فلذكر حاسة من حواس الإدراك تجذب انتباه السامع إلى السؤال أو التفكير في أقرب حاسة أخرى من حواس الإدراك ، فكيلاً يثبت الفهم أو تتوزع الفهم كان من بلاغة قول الجبريل بالغوس أن يوصد الباب بذكره النظر ، وهذا باب جمع من أبواب البلاغة .

#### آثار الرياح في الزراعة :

والقرآن يتحدث عن أثر الرياح في سوق السحب والأمطار والرياح ذلك ينصب الأرض ، كما أن الرياح تحمل اللقاح لنباتات وأشجار أخرى<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَتَوْمَكُمُ الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ الحجر : ٢٢ .

#### بيت العنكبوت :

وقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ إِذَا عَلَتْ عَلَى الْغُتَابِ ﴾ العنكبوت : ٤١ . فأنشأ القمل ليدل على أن التي تصنع بيت العنكبوت أنثى ، وليس الذكر ... واختار التشبيه ببيت العنكبوت ، لأنه أسوأ البيوت ، فالأنثى تفتل الذكر عقب تليفه لها إذا تمكنت منه ، ولذا فإنه يادر بالهروب ... والبيض حين يفقس يأكل الصغار بعضها بعضاً ، كما يفترس العنكبوت كل حشرة تقع في شباك نسيجته .. وعبر الله عن الوهم - وهو الضعف - فنبه إلى البيت لا إلى الحيط ، لأن غيط العنكبوت أقوى من مثيله في الشك لو صنعنا مثله من الصلب ، فهو في مائة ثلاثة خيوط صلب ، وهو كذلك أكثر مائة ومرونة من غيط الحرير ، والعرب : بل كل العالم لم يكتشفوا هذا إلا بعد نزول القرآن بمئات السنين<sup>(٣)</sup> .

#### تعقيب :

وقد أخذ على هذا التأويل أنه يسمح الصورة الأدبية ، ويفقدها الأثر المنطقي المراد في بيان فساد ألوية الأوثان ، كما أن اللغة تشترك في التسمية بلفظ الخلل والنحل والعنكبوت بين الذكر والأنثى ، مما يعطى عيال الكاتب ، للفظ العنكبوت يطلق على الذكر والأنثى .

#### الفرق بين السنين القمرية والشمسية :

#### قال الكاتب :

وفي الحساب الفلكي . قال تعالى ﴿ وَلْيَلْبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ﴾ سورة القصص : ٢٥ . إذا حسب الزمن بالسنين القمرية<sup>(٤)</sup> .

#### تعقيب :

أقول : ولا شك أن هذه إشارة مستنبطة لم يقصد القرآن إليها قصداً ، فالقصبة وقعت - وكان الزمن من قبل نزول الآيات تسعاً وثلاثمائة سنة كما قال المفسرون . وقال آخرون : بل المراد حكاية الخلاف بين أهل الكتاب في مدة نوم أصحاب

(١) المرجع السابق ص ٢١١ : ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(١) القرآن محاربة كفهم عصرى لقرآن ص ٢٠٦ : ٢٠٧ .

(٢) نفس المرجع ص ٢١٠ .

الكهف . قال بعضهم ثلاثمائة سنة ، وزاد بعضهم فقال : تسع وثلاثمائة سنة - تماماً . كما اختلفوا في عدد أهل الكهف . ولذا قال تعالى معقياً على هذا الخلاف : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ . الكهف : ٢٦ .

ولأن تحقيق الفرق الزمني البسيط تاريخياً في هذه القضية لا يبنى عليه كثير فائدة ترك الله ذكره ، ليعلمنا كيف يجب أن يترك بعثت مالا جلوى منه .

### ● البصيات

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنَّ لَهُ نَجْمَهُ جِلْمَةً ؟ بَلَى قَاصِدِينَ عَلَى أَنْ تُنَوَّى بِتَالِهِ ﴾ القيامة : ٣ : ١١ . فأشار إلى أن الإنسان غير متساوية . وهذا هو الأصل في الانتفاع بالبصيات عند إثبات الشخصية ..

لعم العلم بالغيب من الكشوف العلمية ... نرى أن كل لفظة لها بلاغتها المعجزة في اختيار المكان المناسب وانتقاء اللفظة دون غيرها للتعبير عما يراد منها ...

وكل هذا كلام سبق الكتاب به .. ونحن لا نناقش رأياً أفاض فيه الكتاب من قبلنا . فهناك كتاب محاسن للباقلاني في إعجاز القرآن ، وآخر لمصطفى صادق الرافعي ، كلاهما يسمي إعجاز القرآن .

وقد ذكر هذه الآراء وغيرها .. وفي مقدمة تفسير القرطبي ذكرت وجوه عشرة للإعجاز ... ولكن الذي يعنى فوق ما لبثت إليه - هو ما دعا إليه الكاتب من خرافة الكشف الصوفي .

### ■ الكشف الصوفي :

قال الكاتب : القرآن يدلنا على .. غيب محجب مطملم لم يكشف إلا لفظة من المختصين من أهل التصوف .

### ■ التعقيب :

وتصور الكاتب أن المتصوفة يكشف لهم عن غيب .. تصور خاطئ - يضاد صريح قول الله : ﴿ يَعْلَمُ بِهِ وَيَعْلَمُ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَمْ تَكُنْتُمْ مِنَ الْخَائِرِينَ وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ﴾ ان قُلْ لَوْ كُنْتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَمْ تَكُنْتُمْ مِنَ الْخَائِرِينَ ﴾ الأعراف : ١٨٨ . وقول الله :

(١٦) في المجلة (غل لو كنت) وهو خطأ .

﴿ وَجَعَلَهُ مَقَاتِلَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام : ٥٩ . والجمل التي فيها نبي بعده لفظ الاستثناء ، إلا ، مثل قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .. يفيد القصر ، فالمعنى أن الغيب خاص علمه بالله وحده ، لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب . فضلاً عن متصوف بلهث وراء مقام النبوة ، ومحال أن يصل إليه .

ألا ترى كيف أثبت الله أن علم الملائكة محدود بما يعلمهم إياه ربنا .. ﴿ قَالُوا مَسْجِدُكَ لَا عِلْمَ لَكَ إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَاكَ ﴾ البقرة : ٣٢ .

ثم ألا ترى كيف جمع الله مختلف مجالات الغيب وجعلها من محبرات علمه عن غيره فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ السَّاعَةَ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْتُمُ غَيْبًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ آخر سورة الفان .

فأخبار الآخرة من أول مدخلها وهو قيام الساعة ، وأخبار الجو والخصب والرخاء ممثلاً في الغيب ، وأخبار تكون الشخصية والحمل والإخصاب ، ومطامع الأزواج في الأولاد ممثلاً في علم ما في الأرحام ، وأخبار النشاط الاقتصادي بأنواعه ، وكل أنواع الكسب المادي والعلمي والاجتماعي ممثلاً فيما تكسبه النفس في مستقبلها ، على وجه التحديد والمجزم ، وأخبار الموت والآجال ، كلها من الغيبات التي هي لله وحده . فافاً يريد أن يقول القائل بعد ذلك ، أو يستطيع أن يدعي أنه مما يكشفه الصوف ولا يدخل في هذه المجالات ؟ اللهم إنه لا شيء .

\*\*\*

## التصنيف الثالث

### المتوحيد

#### ■ لا إله إلا الله

نظرية الفيض أو العلة  
أسماء الله الحسنى  
تحريف معاني الأسماء الحسنى

#### ■ أسماء الله

الحق القويم وخطأ الدكتور في تفسيرهما  
الهجرة وخطأ الدكتور  
الشعور بالعمل الصالح  
خطأ الموازنة بين التصوف وبين الوجودي والراهب  
بشرية الأنبياء  
الإدراك الصوفي  
الدعاء والصوفية  
ذم الصوفية لعلم الفقهاء .  
● رب واحد ودين واحد .

#### ■ لا كهنوت

متى تسقط التوبة الجدة ؟  
هل الرقيق مظهر للبطالة ؟  
تشويه التاريخ الإسلامي .

## لا إله إلا الله .

### ■ نظرية التيهي أو الله :

إن لكل علم منطقاً خاصاً ومصطلحات دقيقة .. لا يسمع الإنسان الذي يحترم نفسه لنفسه ، أن يتجاوزها .. والكاتب شرح قولنا « لا إله إلا الله » بقول الصوفية المعروف « لا نوجد نحن إلا الله » . أما غير الله فمجرد صور تشرق وتغيب ، ثم قال ( ص ١٨٤ ) ومن ثم « لا إله إلا الله » منه ينبع الكل . وإليه يعود الكل . فقول « منه ينبع الكل » .. نشعرنا بقول الفلاسفة الوثنيين بأن الله يُفيض ، أو تنبثق منه الموجودات كانبثاق النور من الصباح الكهري عند وجود البوار ، وكوجود الإحراق من النار عند مجاشها .

وهي فلسفة تعني نشأة الوجود من الله بطريقة وجود المعلومات عند وجود العلة ، ووجود المليات عند وجود السبب .. ومعنى هذا أن الله قائل الإرادة . ولذا لال علماء التوحيد :

ومن يضل بالطبع أو بالملّة فذلك كفر عند أهل الملّة  
فالخلق لا ينبع ولا يفيض من الله كما تنبع المياه من الآبار والنباتات من تلقائها ، وإنما كما قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ الأعراف : ٥٤ - ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ النجم : ٤٩ - ولم يقل : ينبع منا ، أما كيفية الخلق لموضوع آخر .

ونحير لنا أن نعلم بأننا لا نعلم كيف كان الخلق ، والحديث في هذا المجال ضرب من التيه والضلالة ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ الكهف : ٥١ - قمل نتاج وتأمل وتلاحظ خلق الله ، لتستفيد في حياتنا الطيبة والزراعية والصناعية من هذه التاملات كما أمرنا الله ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يونس : ١-١٠ .. ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ العنكبوت : ٢٠

يعنى التعرف على الإعجاز في كيفية بدء الخلق . وعلى أن الخلق خليفة لموسى ، ولكنها مجهولة السر . وكذلك يكون البحث مجهول الكيفية . ولكن حقيقة من الإمكان ، بمثابة بدء الخلق المعلوم الموجود ، المجهولة كيفية نشأته .

والدليل الفلسفي على استحالة أن يكون الخلق تبعاً من الله أو قبضاً عنه ، لو أن وجود الله سبب ، أو علّة : أن الله سبحانه وجوده أزلي كما هو أبدي لا ينهى . ولو كان وجود العالم بطريقة السببية ، أو التبع أو القبض لاكتب الخلود ، لخلود السبب وأبديته وجوده ، أعني بالسبب الخالد - الله سبحانه .

وأنا متأكد أن الكاتب لم يقصد مترج الفلاسفة ، لأنه قال بعد ذلك : « هو المولى الباقي يعطى الحياة لكل ، ولا يستمد حياته من أحد » .

ثم انعكس الكاتب فقال : « منه المبدأ » ثم استفاد فقال : « وإليه اللآب والمنتهى » . مما يدل على أنه يريد المعنى المجازي ، لا الحقيقي للكلمة ، وهذا مالا ينبغي أن يقال في مجال العقائد وفي البحث العلمي . لأن الأسلوب العلمي يوجب اختيار الألفاظ الدقيقة في دلالتها .

#### ■ أسماء الله الحسنى :

جاء في الصحيحين : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة » . وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ اذْكُرُوا اللَّهَ ۖ أَوْ اذْكُرُوا الرَّحْمَنَ ۖ أَيُّمَا تَذْكُرُوا فَلهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الإسراء : ١١٠ - وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَكَرُّوا إِلَيْهِ ۖ لِيُجِيبُوا دُعَاءَكُمْ ۖ سُبْحَانَ مَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأعراف : ١٨٠ .

ومن ثم وجب علينا إذا ذكرنا الله أن نذكره باسم سئى به نفسه في كتابه ، أو على لسان نبيه ، أما أن نسميه سبحانه - « المهندس أو الأسطى » أو « المعلم » أو « الساتر » لمخروج عن الأدب مع الله .

وهكذا قل في كل الصفات .

وقد تحدث الكاتب عن أثر الإيمان بوحداية الله كلاماً طيباً ، وأنها تبعث في المرء الثقة بالله فيطمئن المتوكل - لا التواكل - في حياته ، وفيما قاله : « ونحن في الدنيا مثل هذا المسافر ، نحاول في منه ونشاط أن نحجز لأخضنا أنفسنا الأمانة في هذه المركبة التي اسمها الدنيا ، وفي نفس الوقت نسلم الأمر في ثقة وتوكل تام ، إلى السائق الذي

يقود هذه الدنيا ، وثق في قوائمه .. وهو الله ، القادر الذي تفوق قدرته ومهارته جميع السابقين .

ثم قال بعد ذلك : والله هو ، المعلم الأول .. وانظروا المعلم يطلق على أرسطو ، والمعلم الثاني يطلق على أبي نصر الفارابي ( ٨٧٠ - ٩٥٠ م ) .

ثم عاد فقال قول الجبرية : « قاله هو المعلم ، وما الجامعات والمدارس إلا أسباب ووسائل » .

وفي الكلمات المشتركة بين كل اللغات كالألم والأب دليل على أن الحروف توقيفية بلعام الله وحده ﴿ عَلَّمَ الْقَالَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

أيرضو الطبيب أن ناديه بالأسطى الماهر ، أو ( المعلم ) باللغة المصرية الخارجة أم أم بعد هذا انتهاكاً لكرامته مما كانت التبة من القائل مغلطة ؟

أو يرضو السيد الكاتب أن يندعه بقول الأعرابي الأول : أنت كالكلب في - حفاظك للود - وكالتيسير في فمراع الخطوب والله المثل الأعلى - أستغفر الله لي ولأبني وأحفالي من الناشئين في الكتابة عن الأدبان .

#### ■ تحريف معنى الأسماء الحسنى :

ثم مضى الكاتب قائلاً : « إن كلمة لا إله إلا الله بالنسبة للمؤمن ليست حروفاً ، ولكن منج حياة وشرعية قلب » - ويقول الله عنها في حديث قدسي - لا إله إلا الله حصني ، فمن ظلم دخل حصني .. ومن دخل حصني أمن عذابي ، وهو النور ، به نرى الأشياء (١) .

وهو قول طيب ، ولكن سقط الكاتب في شرحه اسم الله .. « النور » بأنه هو الذي نرى به الأشياء ، وحى كلمة تسقط من الصوفية الناطقين في فلسفة « الحلول » ، فالنور شيء مادي ، والله ليس مادة .. وحتى لو قلنا « النور حرمي » .. فأنه ليس بقرص . فلو قال : وهو النور ، بعونه وفضله سبحانه نرى الأشياء ، أو قال : « هو واجب النور للمعين والعقل والقلب » - لكان الكلام واضحاً ..

(١) المرجع السابق - ص ١١٩ .

وما أعلن الكاتب يعني نظرية الإلهاد التي يجعل الله نوراً مادياً .. وفهمنا أنه يردد معاني ذكرها القرآن في مشكاة الأنوار.

وسر الخطأ - كما بينت - عدم الارتباط بقواعد اللغة في فهم القرآن ، وعدم تعرف وجوه القراءات الأخرى . فالحق قال في كتابه : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ النور : ٣٥ . وكلمة النور هنا مثبته ، والله هو المشبه ، وأبسط حارسى الالفاظ يعرفون ذلك ..

ويمكن أن يقال : إن لفظ نور ، بمعنى النور للسماوات والأرض ومن فيها ، ينير الأبصار والبصائر ، وقد قرئ في إحدى القراءات ﴿ اللهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

لهذه القراءة تفسير المرات وتنجيتنا من الخلط الذي يقع فيه الملاحدة ونحصرهم الإسلام الذين يضللون المسلمين ويضلونهم بانفاسهم لهم وظهورهم يظهر الشك في الدين ، وينطرح بفكرهم المخلصون أصحاب الطرق الصوفية .

والدليل على أن كلمة نور ، لا تعني أن اللفظ على الحقيقة قوله في صفة النور ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ كما يشكك فيها بعض أصحاب ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ : ٣٥ فأضاف النور إلى تسميته نفسه فقال ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ ، وإضافة ﴿ اللهُ نُورٌ ﴾ إلى تسميته سبحانه وتعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره .

\*\*\*

## أسماء الله

### الحق القيوم

تحت عنوان أسماء الله : تحدث عن الحق القيوم فقال : ﴿ اللهُ يَسْجُدُ مَنْ لِيُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ الرعد : ١٥ . لأن الكل يجري على سنن الله الطبيعية التي أنعمها ، ويخضع لقوانينه التي رسمها ، وما أكثر هذه القوانين : مثل قانون الضغط الأزموزي ، وقانون التوتر السطحي ، وقانون تماسك العمود المائي ، وكذا التوازن الكهربى والأيونى في المحاليل ، وقانون التفاضل الكيماوى بين هورمون وهورمون ، فيكون الواحد منها حاكماً على الآخر ، وقانون الفعل ورد الفعل ، وقانون رفض الفراغ .. هكذا بدأ الكاتب مقدمته ثم قال : « الله وقوانينه قائم على كل شيء من الفرة إلى الفلك ، به وقوانينه تقوم الحياة لهو قيوم » هو الحق الذى به الحياة<sup>(١)</sup>

### موطن الخطأ

ما قاله الكاتب حسن : فعلاً بقوانين الله تقوم الحياة ... وعرضها لأمر الله هو سجدتها ، وهى لا تمكث الفرد على القانون الذى أوجهاها الله فيه أجزاء وجملة .. وهذا يؤكد قوله سبحانه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِ ﴾ الروم : ٢٥ - فانتظام الحياة في أمر الله تبعاً لما خلقه من قوانين وذلك الانتظام هو مظهر قيام الله على الوجود .

(أ) وقول الكاتب ﴿ به .. وقوانينه ﴾ : يشعرون أنه يقصد أن الحياة كما يقول الفلاسفة ، ليس فقط قائمة بأمره الممثلة بصورته التنفيذية في القوانين الطبيعية وغيرها ، ولكن لها اتصال بذاته .. اتصال العلة بالمعلول .. والضوء بالشمس ، أو أنه يقصد

١. القرآن معلومة فهم عصرى للقرآن : من ٩٧ : ١٠٠ .  
(١) المرجع السابق من : ٩٨ .



« النظرية الزمنية لله » التي تقول : إن الحياة وليدة الكون كذلك . والله هو ذلك التركيب في صلب الكون الذي سمح بالحياة وبالرفق فيها ، فو نظرية ( الله - المادة - الزمن ) الرياضية التي تنتهي إلى ما انتهت إليه النظرية الطبيعية السابقة<sup>(١)</sup> . أو أن الكاتب يعنى نظرية الفيض الفلسفية ، وذلك لأن المصطلح يقتضى المقابلة .

فإن أراد بلفظ « به » قوائمه سبحانه ، فنحن معه . وإلا فقد ناه في ضلال الفلسفة . وما أظنه يعنى هنا ، ولكننى أريد التنبه للسج ، ولئن يتأخرون من بعدنا فيظنون أننا - إذ نكون تراثاً لنا قد استننا التي تعصنا من أن ننطق بكلمة دون أن نعنى لما مدلولها الخاص .. فلفظ العلم تألى الإطناب بغير الألفاظ المحددة للبيئة المراد بدقة .

(ب) وتفسره ( الحى ) بمعنى الذى به الحياة ، يتضمن دعوى الفلسفة الإشرافية . وإن أراد بحملته أن الحياة لا تكون إلا بأمره وقوائمه .. فقد سبق أن قلنا : هذا تفسير اسمه ، القيم ، أو القِيَام ، كما في قراءة أخرى فامعنى « الحى » .. إذن ؟ قال ابن كثير في تفسير آية الكرسي : ( الحى ) في نفسه ، الذى لا يموت أبداً . والقيَم للغير ، وكان عمر يقرأ القِيَام .. لجميع المرحومات مفتخرة إليه .. وهو فى معنا ، ولا قوام لها بدون أمره .. ولرق كبير بين أن تقوم به ، وبين أن تقوم بقوائمه وبأمره ..

### ● الهجرة :

قال الكاتب عن الصوفية : ويقولون : إنهم في هجرة دائماً إلى الله من الأكوان إلى المَكُون .. وهي غير الهجرة المعروفة على الأرض من مكان لآخر .. وهذه عندهم أشبه بدوران حمار الرمح : يبرح المكان ليعود إليه .

أما الهجرة الحقيقية فهي الانتقال من وطن المَلَك إلى وطن المَكُون ، ومن وطن الحى إلى وطن الملقى<sup>(٢)</sup> .

(١) فقد استقبل الثقافة في مصر لسيد قطب ص ٢٦ - ٢٤ وهو ما نشر في الكتاب في كتابه « الله والإنسان » ص ١٠٠ ، ١١١ .  
(٢) القرآن : محاولة لفهم معنى القرآنة ص ١٠٠ - ١٠١ .

### ■ موطن المختار :

لقد اندس في طريق الصوفية - كما اندس بين الشيعة - من أعداء الإسلام من وصلوا إلى مكانة رفيعة توهلهم للتوجيه الشيعى أو المصوفى .. ففتشوا سمومهم في أكام من الزهر أو كتوم من العسل .. وهذا الذى رواه الكاتب بمطابنا صورة من صور التحضير لتعاليم الإسلام ، والسخرية الملفقة من آيات القرآن ...

إن الهجرة إلى « المَكُون » كما نكون بالتجرد إليه سبحانه من شواغل الحياة ومطالب النفس ، تكون بالانتقال من وطن إلى وطن ، ومن مصر إلى مصر ، لا طلباً للدنيا ، ولكن رغبة في نشر دين الله ، أو حياة المرء دينه وحفظه في نفسه إذا غشى الفتن في وطنه الذى يهاجر منه .

وهذه الهجرة المكانية تتناول الهجرة إلى المَكُون وإلى الكون معاً ، والأول هي ما يراد بقوله تعالى : ﴿ هَاجِرُوا إِلَى اللَّهِ إِلَى اللَّهِ إِيَّاكُمْ مِثْلُ الْغَائِبِينَ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ .. ﴾ ( المائدة ٢٠ ، ٢١ ) وهي هجرة على سبيل المجاز اللغوى .

والهجرة المكانية هي الهجرة الحقيقية ، خلافاً لما قاله الصوفية ، لأنها هجرتان : هجرة إلى الله وهجرة إلى مكان معاً ، لأن الهجرة إلى المكان إذا لم يصحبها هجرة إلى الله الذى سماه الصوفية « المَكُون » لا تسى في حرف الشرع هجرة ، كما في الحديث الأول من صحيح البخارى .. « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وبما يعظم الله شأن الهجرة المكانية ، وينص على أن الهجرة التي يعرفها الشرع تنسب أساساً بالمكان رغبة فيها عند الله فيقول : ﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ حَرِجاً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾

فينص على أن الهجرة التي هي موضع التجديد إنما هي . ( في الأرض ) ، ثم يؤكد هذا مرة أخرى فيحدد للناطق وهو البيت لا النفس فيقول جل شأنه : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوَيْلُ فَقَدْ رَفَعَ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ . وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . ( النساء : ١٠٠ ) .

وكما حدد الله للناطق : أكد أن الهجرة بتبته ومكانية ، وأنها إلى مجتمع البشر في

أرض البشر ، والمَلَكُوتُ ، لا الملكوت الأعلى ، فقال ﴿ وَالَّذِينَ قَبِلُوا إِلَهُهُمُ مِنَ قُلُوبِهِمْ يُحْسِنُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ الحشر : ٩ - فالهجرة في الآية كما ترى - هي إلى الناس من الناس . وليست هجرة فكر وغياي إلى عالم اللال أو ما وراءه . وبيننا تؤكد الآيات الهجرة بأنها في عالم الحس والأوطان والأمكنة ، وتعتزم ذلك .. نجد الصوفية يسخرون من ذلك ويصفون المهاجر - الذي أتى الله على من كرمه من الأنصار - بأنه كحمار الرحى .

بهذه البداة يوصف المهاجرون في سبيل الله بغيرهم ولديهم ، توهيتا من شأنها ، والله يعلم إن شأنها العظيم .. لأن هذه الهجرات هي التي تبنى شخصية للمهاجر ، وتشر مبادئ الإسلام في كل مهجر .. وتذيعه نفاً في الخافقين . فأراد خصوم الإسلام أن يحددوا الاسم من أهم عوامل التبرع والانشاء ويقتضوه في الصوامع ، ويشلوه عن الحركة ، ويسجنوه في هياكل بشرية .

إن الحق على الإسلام وأسلوبه في الدعوة ليبدو جلياً في هذه العبارة البديعة .. وصدق الله العظيم : ﴿ وَلَقَدْ قَرَّبَهُمْ إِلَى كَعْبِ الْقَوْلِ ﴾ - محمد : ٣٠ - ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَلِيماً ﴾ - الكهف : ٥ - ﴿ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرُوهٌ اللَّهُ ، وَاللَّهُ غَيْرُ الْمَكْرُوهِينَ ﴾ - الأنفال : ٣٠ - وصلى الله على نبينا محمد ﷺ ، إذ أخطأ الموازين التي تعرف بها من نسمع إليهم ، ومن نصم الأذان عنهم ونجنب مجالسهم ، فقال : « ليس المؤمن بطعان ولا لقان ولا فاحش ولا بذيء » . فما ظنهم غير (إسلام) على الأمل ، وهو نوع من الكفر عند الظاهرية ومن يجري حل أمولهم الفقهية .

ولعل ما وقع من الكاتب هو الخطأ النافع الذي أتاح في له والقراء لتعرف حل لخط من أخطأ الكيد للإسلام ، وأفاد طلاب الحقيقة ممن لم يدرسوا بمواجهة أساليب المنهج للإسلام التي يسلكها أعداؤه من الباطنية ، والبيودية للبيئة في صفوف الصوفية ، والشيعية ، والأندلسية الأجدية والمتديبات العلمية .

## الشعور بالعمل الصالح :

نقل عن الصوفية قولهم : - (١) إن الحسنات ترفع إلى الله فور حدوثها ، والكلمة الطيبة تصعد إلى الله فلا يراها صاحبها .. فالصالح الحقيقي لا يشعر بأفعاله الصالحة .. وإنما هو في راحة من الله على الدوام .. وهذا تفسيرهم للآية القرآنية : ﴿ وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ( فاطر : ١٠ ) .

## خطأ الصوفى :

كلنا تعلم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فقالوا بعضهم لبعض : انظروا أهالاً عملتموها صالحة لله ، فادعوا الله تعالى بما لعل الله يفرجها عنكم . ليدع كل منا ربه ، ويسأله بأرجى عمل عمله تقرها إلى الله ، فدعا كل منهم مستغفراً بأرجى أهاله الصالحة فاستجاب الله دعاءهم وخرجوا بحشون (٢) .

وهذا يدلنا على أنهم كانوا يعملون صالح أهالهم وأرجاها عند ربه .. وكانت استجابة الله دليلاً على تمام وعيهم لأهالهم : الصالح والأصلح منها . وفعل الله منهم برهان على أن شعور الإنسان بأفعاله الصالحة ليس دليلاً ، بل عدم فبوط ، ولا مثلاً درجة التقى - كما زعم الصوفية .. وكيف والنبي قد صرح بأنه « من سرته حسنة ، وسأته معصية ، فهو المؤمن حقاً » أنكذب النبي ﷺ ونصديق الصوفى ؟ وهل الذي لا يشعر بأفعاله الصالحة إلا أهله معونه ؟ وكما لا يشعر بأفعاله الحسنة فإنه لا يشعر بأفعاله السيئة .. إذ الإحساس هو الإحساس ، مهما اختلف نوع العمل .. ولعلك تسأل حينئذ ؟ فما تفسير الآية ؟

قال البيضاوي في تفسير الآية ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ لَبَّاهُ الْعِزَّةَ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ( فاطر : ١٠ ) .

العزة هي الشرف والعلامة ، فله العزة جميعاً ، فليطلبها طالبها من عنده - سبحانه - فإن له كل العزة ، فاستغنى القرآن بالدليل عن المدلول ، يبقى الدليل على أن طلب

(١) عس الرجح ص ١٠١ .

(٢) صحيح مسلم ص ١٧ - ٥٥ - ٥٨ باب قصة أصحاب الغار والتوكل بالصالح الأعمال .

الغزة يكون بطاعة الله واتباع تعاليمه ، بالدلول - وهو أن الله الذي نطيعه هو مالك الإعزاز والإذلال ، ﴿ يَعْزُّزُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْذِفُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، ﴿ إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، وهذا بيان لما يطلب به الغزة .. وهو التوحيد والعمل الصالح ..

وصعودهما إليه متجاوز عن قبوله إياهما ، أى بذلك عن التعبير بحملة (يقبأها) . ويجوز أن يكون المراد بالصعود صعود الملائكة الكتائب ( رقيب وعييد ) بالصحيفة التي كتبت فيها أعمالنا اليومية .. وما الذي يرفع العمل الصالح ؟ إنه الكلم الطيب الدال على التوحيد .

للمعنى : العمل الصالح يرفع إلى الله بكلمة التوحيد .. وخاصة إذا فسرنا الآية على القراءة التي تلحظ لفظ العمل الصالح . ويقال : حَمِلَ العبدُ والفاعل هو الله .

أو المعنى أن الكلمة الطيبة وهي كلمات التوحيد ، يرفعها العمل الصالح ، فإن العمل الصالح يحقق الإيمان ويقرره ، فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل التوحيد . وقرئ : ﴿ إِلَيْهِ يُصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَيَصْعَدُ ، وَالصَّادِقُ هو الله ، تَوَلَّكَ لَكُلُّكُمْ ٥٤ .

#### ■ بين التصوف واليوجي والراهب :

قال مصطفي محمود<sup>(١)</sup> : ( المتصوف واليوجي والراهب كلهم على درب واحد ، وأصحاب منطلق واحد في الحياة .. هو الزهد ، كما يطلبون التقرب والوصول بالتسليم ، فاليوجا يقولون آلاف المرات - رهام - وهم أى الرحمن الرحيم .. في السكربتة ) .

#### ملاحظاتنا :

أما الراهب واليوجي وجمهرة من الصوفية فيتخذون الزهد والتسليم والتفكير سبيلاً إلى الله ... ولكن صوفياً كالشاذل كان صاحب خيل وزرع وثراء ، فامسك وعظم جديدين .. عاب عليه أحد تلامذته ثيابه الجيدة فقال : لبتنا ليطع في قفص

المخطجون فأعطيهم .. وأما أنت فليبت الحرق ، فصرفت ذوى الحاجات عنك ، ووضعت نفسك موضع من يده الفل .

وقال : ( من ) من يشرب الماء البارد .. واللحمة الطيبة كان أحسن إحساساً بفضل الله ، فكان أكثر شكرًا وأخلص قلباً حين ينشئ على الله .

وما ذهب إليه الشاذل هو الحق .. وما عده الإسلام دين القطرة .. فليس الزهد ألا يكون لديك مال لعجزك .. وإنما الزهد ألا تستعبدك الدنيا ، فأنت غير عاجز .. تمنح للعطاء وتقيم شعائر الزكاة والصدقات والبر بأنواعه ، لأنك تجد أسباب ذلك عنك ، يبا منحرف الصوفية يحطم هذه الشعائر باسم الدين ، والدين منه براء ، فأنت الغريفي غير .. الجمال عجزاً ولواكلاً .. أم الكسوب المتصدق .. لقد عرف الصحابة قيمة الكسب والإتفاق في الإسلام ، فكان من لا يجد لأفلس مال يقوم بالجمالة ( يعمل شيئاً ) ليجد ما يتصدق . كما أن الانصراف إلى التسبيح آلاف المرات - بالتسليم الربح - ليس من الإسلام ، مهما صلحت النية ، قلن يصع ذلك الخط ، وإنما الأدعية المؤثرة جعل لصار لقائل في المناسبات ، سواء كانت هذه المناسبات اجتماعية أو ظواهر كونية ، تعبيراً عن الارتباط القلبي بين العابد والمعبود .

إن هذا الخط من التسبيح على الألفية وسيلة أخرى لصرف المسلمين عن التبدد فيما يصلح أحوال مجتمعاتهم ، وإبعادهم عن القاعدة الإسلامية الكريمة : من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وإبعادهم عن مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ أنهم في عزلتهم عن صحيح الحياة مفرغون .

إنه نجد كتاليم النبي التي تعلم منها كيف أنه رأى رجلاً انصرف إلى العبادة ، فلما سأل أصحابه : من يقوم على خدمته وطعامه ؟ فقالوا : كلنا . قال رسول الله ﷺ : كلكم أعبدته . وتعلم أنه نهي عن صيام الدهر كله فقال : لا صيام من صام الأبد . رواه البخاري ومسلم وأحمد<sup>(٢)</sup> . ومن الغزوة .. فقال : « شراؤكم عزائكم »<sup>(٣)</sup> ، وأقر الصحابي القائل : وإن لبيدك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه .

(١) البخاري ٥٧ - ٥٩ ، ومسلم ١٨٦ - ١٨٧ وأحمد ح ٣ من ١٩٤ ، ١٨٦٥ .

(٢) عن حديث النبي ﷺ عن عائشة بن وداعة الغلال - رواه أبو يعلى في مسنده من طريق « بقة » من ثكلا في الإجماع من ٢٨٨ ط ٧ ورواه أحمد ح ٥ : ١٩٣ عن أبي ذر في قصة حكايات بن بشر الجبلي .

لقد عرف الاستعمار الصليبي واليهودي معية التصوف ووجدوها ذلولاً تسرع بهم إلى مثل الإسلام وتحميد دمه في عروق المسلم... وعلايا المجتمع، فحرموا على تعقيد التوسع في الطرق الصوفية، وبذروا الخلافات بين طرقها، وقرئوا إليهم كهنتها وسدنتها.. فأمسينا لا نرى فيهم - إلا قاعدا - رجلاً وشيخاً، ورحم الله صوفيا عليا قبا عرف التصوف فقال:

ليس التصوف لبس الصوف ترفعه ولا بكاءؤك إذ عشي المنشونا  
ولا عنيايح ولا رقص ولا طرب ولا تحبط كأن قد صرت مجنونا  
إن التصوف أن نصفو بلا كلر وتسبح لخلق والقرآن والديننا

\*\*\*

### ● بشرية الأنبياء :

قال الكاتب على لسان الصوفية<sup>(١)</sup> : ولهذا يفسرون كلام القرآن عن النبي ﴿ مَا لَنَا لِرَسُولِهِ يَأْكُلَ الْطَعَامَ وَيَمْسُ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان : ٧) بأنه السر الإلهي ، ستره النبوة في ثوب بشري عادي لرجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .. حتى لا يبتذل للسر بالإظهار والاشتهار .

### ● التحقيق :

وقبا قالوا بضح أنهم يصورون النبوة أمرا غير بشري في ذاتها حقيقتها ليست بشرية ، وقد سُتوت بأفعال البشر ، حتى لا يبتذل السر بالإظهار والاشتهار . وتجريد النبي من بشرية له مغزى خبيث ، إذ أنه لما كان النبي في حقيقته وجوهه - على ذمهم - ليس بشرا ، والأسوة به والقرآن ما التزمه مما لا يمكن لغير النبي ، وبهذا ينكر عمليا إمكان تطبيق قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) ، وهو المثلوق إلى الوثنية ، لما حيد عيسى إلا بعد استشعار أتباعه أنه فوق البشر ، وإن لم يكن هو الله ، فقالوا : إنه ابن الله . وقد سد النبي هذا الباب فقال : « لا تسبدوني في الصلاة » وقال : « لا تطروني »<sup>(٢)</sup> كما أطرت النصراني عيسى ابن مريم ، فلانما أنا عبد ، فقولوا : هذه ورسوله ، أخرجه أحمد عن ابن عباس عن عمر كما أخرجه الشبخان<sup>(٣)</sup> .

وأكد القرآن صراحة بشرية النبي فقال : ﴿ لَقَدْ أَنبَأْنَا أَنَا بِشَرِّ عِبَادِكُمْ بُرْهَى إِلَى ﴾ - آخر الكهف ﴿ إِنَّ نَا إِلَهًا لِّغَيْرِ مُبِينٍ ﴾ . الشعراء : ١١٥ .

### ■ الإدراك الصوفي :

ذكر الإمام الغزالي في كتابه « مشكاة الأنوار » أسباب الحجب عن الله في الفصل الثالث والأخير من الكتاب... وخلاصته هي ما قاله الكاتب من أن حجب النفس والعقل والعرف هي كجلك الإنسان الخارجي وليست حقيقة . ولا بد من تجاوز هذه

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٢) الإدراء للرح .

(٣) السد لأحمد : ١٦١ - وكتاب التوحيد والقرآن الشديد ص ٦٠ .

الأسوار حتى يستشرف المتصوف على روحه في بكارتها ، ويضع قدمه على عتبة ليرى مالا عين رأت ، ويسمع مالا أذن سمعت .. والتصوف إدراك من طريق الإدراك العالية ... والمتصوف عارف - ولكن هل هناك معرفة حرة لله في كماله ، وليس طلب المعارف الجزئية كالتطبيقات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ .

ويسمى الصوف إلى معرفة كلية خاصة بخلافة عن وسيلة للتفكير ولتحويلات العلم الوصفي المألوفة ، وأول العقبات هي النفس والمألوف ... كما في بعض الأخبار .. قال داود :  
يا رب أين أجلك ؟

فقال له .. أترك نفسك وتعال ... غب عنها تجدني (١) .

لوجه :

حقاً في بعض أحيائي أجده شعوراً بالغيب أتوقه قبل أن يحدث .. أراه في حلم مناما .. أو أستشعره يقظة في صورة باهتة كثيراً أو قليلاً .. وهذا يؤكد لي أن للنفس استشرافات لو وجدت صفوها زالداً لقرأت في علم الله المكنون أشياء كثيرة ، وربما هي التي يسميها المتصوفة بالكشف ... ولكن وأنا غير بنفسى .. كنت ممن غلب فيهم : « أفضاء عبادة وأطلاح سهر » ، ومبغنى الألفية (٢) ، تركتها من آن بعيد .. ول من شواغل الزوجة والأولاد والعمل والمجتمع الذي أحبه حباً جماً ، ومن إيمان بالعمل في الحدود التي رسمها الله له .. ما يجعلني في نظر المتصوفة محجوراً .

وليس هنالك يقين بأن هذا الإشراق هو معرفة « إدراك » بوسائل عليا .. فقد يكون هذا نتيجة تفاعلات نفسية في بؤرة اللاشعور .. وهي غلبت التجارب والأحاسيس والأشياء والتصورات ، تلاحت فكونت الفكرة التي استشفها .. فهي عملية نفسية يصنعها الله الرحمن الرحيم المدير لشئون خلقه كيفما شاء ومتى شاء فمن شاء ، صوفياً أو راهباً .. أو مادياً محجوراً . إن الله أمرنا بالصدق .. ومن الصدق ألا نصدر الأحكام ونقرر النظريات فجأة قبل أن تنضج وتصح ، وننتهي عنها كل الاحتمالات الأخرى ، فتخطى ، كما أخطأ المتصوفة هنا .

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) فيها ألف سية .

وأما أن عالية المتصوف هي معرفة الله في كماله .. فمحض التأمل في خلق الله مع القدرات الخاصة للإنسان من رسائل شخصية ذاتية ، ومن وسائل علمية تفتح الآفاق على كشف جوانب كمال الله ... وكالات الله لا تنهى « والرغبة في إدراك الكمال اللاتاني من بشر - إدراكه محدود مما كان في تساميه - قريب من المحال .. وغياث عايش .

إن تفسير (التجرد) بالطريقة الصوفية التي تعني ترك العمل للدنيا وممارسة النشاط الإنساني فيها باسم الله ، وكما أمر ، لن يوصلنا إلى الله ، وإن زين الشيطان لبعضنا ذلك على حيلة يلينا بفرور ، وإنما السبيل هو التزام ما جاء به الرسول ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آل عمران : ٣١ .

وخرقاً للذنب يقتضي إعراف الحجب ، ومقتضى الحب أن يعلمنا من كُنْه عليا .. بالمقدور الذي يتلما .. لا بالموسوعات التي نُصَلنا حين نخلأنا بالفرور .

ومن سنة الرسول ما قاله من نفسه : إني لأتقاكم الله ، وإني لأصوم وأطعم ، وأقوم الليل وأقام وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتي فليس مني (٣) . وقطع رسول الله الطريق على وسوسة الشيطان للمؤمنين الصادقين ، وسد باب الرهينة (إني لم أؤمر بالرهانية) (٤) - وفي رواية (إن الرهانية لم تكتب علينا (٥) وعرفنا البديل لها . فمن أتى سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أوصني . قال : عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ، عليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين ، عليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر في السماء ، واخزن لسانك إلا بحير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان » (٦) برغمت أحاديث كثيرة تشهد لحسين الحسين الشريفيين .

وأوصد عليه السلام الباب في وجه كل « مخلوق » منطو يزعم أنه في انطوائه قائم بالجهد الأكبر ، جهاد النفس ، فحدد عليه السلام أفضل الجهاد حين سأله صحابي

(١) رواية في باب التكاس كل من البخاري ومسلم ح ١ والنسائي ح ١ والدارمي ح ٣ وأحمد ح ٢ ص ١٥٨ ، ١٤١/٣ و ٢٥٩ .

(٢) روى في الكتب الستة كما أخرجه الدارمي في التكاس : ٣ .

(٣) روى أحمد في مسنده : ح ٣ : ٨٢ .

(٤) روى أحمد في مسنده : ح ٣ : ٨٢ .

جليل : « فلا أفضل الجهاد » . فقال عليه الصلاة والسلام ( أن يُقَرَّ ) جوادك  
وبهراق (٢٣) ذلك ) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد والدارمي وعبد بن حميد ، وابن  
حبان ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط والضياء المقدسي في المختارة عن جابر .

جهاد النفس ركيزة كبرى - ولا ريب - للمجاهد في جهاده .. ولكن ثمرته  
العلمية ، بل وظلها الوارف ، إنما هي في الميدان .. وفي التلاحم .. وصدق رسول  
الله . وأما من خالفه .. فهذه الله .

#### ■ الدعاء والصوفية :

امتدح الكاتب الصوفية حين قال عنهم (٢٤) : « والتصوف لا يسل .. وهو  
مرض .. فلا يسأل الله الشفاء .. ويقول له أحب : كيف أجعل نفسي إرادة إلى  
جانب إرادة الله .. فأسأله ما لم يفعل .. وأنا الذي لا أعلم ما ينبغي مما يفرض كيف  
يعترض الذي لا يعلم على الذي يعلم ، إنه لا يطلب من الله إلا ما يطلبه الله منه ، فيقول  
كما قال النبي إبراهيم : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ .

#### التوجيه :

هذا الذي قلناه عن الصوفية صورة تناقض مبادئ الإسلام .. مهما قيل في نهجها  
من أنها مواقف خاصة . نعم إنها خاصة ولكنها شاذة .. وما الشذوذ إلا انحراف من دين  
القطرة . إن الله لا يملك كلمة مطلقة عامة .. ﴿ أَفَهَرَى اسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر : ٦٠ .  
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِلَى قَرِيبٍ أُنِيبُ ذَعْرَةُ الدَّاعِ إِنَّهُ دَعَاكَ ﴾ البقرة :  
١٨٦ . فانظر كيف قرن الدعاء بالاستجابة .. وقرن القرب بالإجابة بالدعاء والداعي  
ليحققنا إلى الدعاء . ولم يستثن من هذا الصوم إلا ما أخبرنا النبي أنه مستثنى حين علنا  
الدعوة المطلوبة شرعا والمستجابة فقال كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله  
قال : لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم « وفي رواية : « ما لم  
يستعجل » قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت وقد دعوت فلم

أر يستجيب لي ، فيستحسر عن ذلك ويدع الدعاء (٢٥) .. فكان الصحابي المقرب يدعو  
الله في سجوده بكل شيء : « حتى إنه يطلب العلف لدايته ، فضلا عن أن يدعو الله أن  
يرسل عنه العلة حصية .

وقد كان النبي يدعو ويعلم أصحابه الدعاء فيقول كل منهم : « اللهم إني أسألك  
الشفعة الطافية في الدين والدين (٢٦) » . وفي صحيح مسلم ( ج ١ ص ١٧ ) عن أبي  
مالك الأشجعي عن أبيه قال : كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ ، الصلاة ، ثم  
أمره أن يدعو هؤلاء الكلمات : اللهم اغفر لي وارحمني واحدي وعافني وارزقني «  
فيطلب إلى جانب المغفرة الطافية والرزق أي صلاح البدن والحال الاقتصادي .

وقد كان يرفي ﷺ المرضى ويدعو بالشفاء لنفسه ونفسيه فيقول الدعاء المأثور  
« اللهم أذهب البأس ، رب الناس اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء  
لا يبادر مفسداً (٢٧) » ويصح يده على المريض ويطيب خاطره .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص أنه حكا إلى رسول  
الله ﷺ وجعا يجده في جسده ، فقال له رسول الله ﷺ ضع يديك على الذي يألم  
من جسده قل : « بسم الله » ثلاثا .. وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر  
ما أجد وأسألك الله ورؤي مسلم عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال :  
يا محمد اشتكت ؟ قال : نعم قال : « بسم الله أرتبك من كل شر يؤذيك ، ومن شر  
كل نفس تؤذي جسدك ، الله يثيبك . باسم الله أرتبك » .

بل إن المعوذتين سورتان ليستا إلا دعاء لدفع الأذى عن البدن وعن الدين - ونبي  
الله نوح النفس دفع الخلاك من ولده حين قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَعْمَلِي ، وَإِنِ

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٢ في الأدعية - والتبريد في الدعوات : ١٦٥ وأحمد ج ٣ ص ١٨٠ ، ٣٦٠ ، ١٥٤/٤ ، ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٢) وفي صحيح مسلم : اللهم عافني في جسدي ، وفي بدني ، وفي بصري - في سنن أبي داود عن  
عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه سمع الرسول ﷺ يدعو ويقول : « اللهم عافني في بدني - اللهم عافني في  
سمعي - اللهم عافني في بصري » اللهم فلي أعوذ بك من الكفر والفسق ، اللهم إني أعوذ بك من حجاب  
التقوى لا إله إلا أنت ، وهكذا أخرجه الترمذي دعوات ٦٦ وابن ماجه دعاء ١ وأحمد ٤٢/٥ وابن ماجه  
دعاء : هـ .

(٣) رواه المختار ، مسلم عن عائشة .

(١) يعقوب : يصاب بسيف العدو أو ملاحه أو نباله .

(٢) بهراق : وبهراق يعني واحد .

(٣) القرآن : محاولة لنهم عصري للقرآن ص ١٠٧ .

وَعَلَيْكَ الْحَقُّ ﴿٤٥﴾ هود : ٤٥ ، وَنَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا إِسْمَاءَ اللَّهِ الْعَاقِبَةَ فِي شَيْخُوخَتِهِ ، وَإِنْ يَرْزُقُهُ الْوَلَدَ ، قَالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ وَأَنِّي خِطْتُ الْوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي ، وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ، فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَبًّا ، يَرْزُقْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِي يُتَقَوَّبُ ، وَاجْتَلِدَ رَبِّ رَحِيمًا ﴿٤٦﴾ (مرم) . (٥ : ٣) .

ومن أمثلة البلاء في الهدن والمال والولد مع الصبر والدعاء أيوب عليه السلام ،  
وليه لال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيُؤَيِّبُ إِذَا نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَى الضُّرُّ وَقَدْ لَوَحَّمُ  
الرَّاحِيِينَ ۚ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ لَكَفَّضْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۚ إِنَّا نَاوِيَةُ أَهْلَهُ ۚ وَظَلَّهُمْ مَنَهُمْ ۚ وَحَمَّ  
مِنْ جَنَابِنَا ۚ وَلَوْ كَرِهَى الْغَالِبِينَ ۚ ﴾ الأنبياء : ٨٤ .

وكلمة « فاستجبنا » دليل على سبق الدعاء من غي الله أيوب . ﴿ فَنُفِثَ فِي السَّحَابِ الْمُنِّمَ »  
 الْمُنِّمُ : الله عليهم من المنِّين من فُثِيَ آتَمَ ، وَمِنْهُمْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَإِسْرَءِيلَ ، وَمِنْهُمْ هَارُونَ وَآخِيَّتَانِ . ﴿ مريم : ٥٨ .

أفهي لأحد أن يكون أفضل من النبي؟

ومن الدعاء المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت . . . تلك قاعة المصوفة . . . وهذا هو حكمتي إله ورسوله ، فأني اقربيقن أهدى سبيلا ؟

إن هواجس الجوع والجزع ، وشطحات الجهل ورد القتل للإنبياء الحنفي والفساد الاجتماعي والانحلال في صفوف الأمة الإسلامية .. نتج عنه الظلام والشدوة الفكرية الذي يروى عن الصوفية ، والمصادفون منهم براء منه - وأما ما روينا في غور الكتاب والنبوة .. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَلَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ النور : ١٠

وإن سبيل الهدى - ليس في غير الكتاب والسنة .. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ بِرُحْمَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة : ١٥ - ١٦﴾ .

(الظلمات هي الحجب بأنواعها الصارفة عن الله). وقد قال النبي ﷺ - هذا صراحة في حديثه عن القرآن «ومن الغنى الهدى في غيره أضله الله» ويروى أن قتال ذلك على كرم الله وجهه.

إن الدعاء في حد ذاته - عبادة - ما لم يكن يائس أو قلعياً .. وإن الله يحب أن  
يسمع من عبده تضرعاً إليه .. فكيف لا ندعو ، وكيف نزعج أن الصمت خير من  
مناجاة الله ودعائه بما يحب أن يسمع ، روى الترمذي عن أنس قال : قال النبي  
ﷺ : « الدعاء مع العبادة »<sup>(١)</sup> .. وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله  
ﷺ : « أطروا يا ذا الجلال والإكرام » ومعنى أطروا : أكثروا الدعاء ، رواه الترمذي  
فرواه النسائي أيضاً من رواية (ربيع بن عامر الصاحبي) ، وقال الحاكم : حديث  
صحيح الإسناد .

وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله طمئني شيئاً أسأله الله تعالى . قال : « سلوا الله العافية » فكثرت أياماً ، ثم جئت فقلت : يا رسول الله طمئني شيئاً أسأله الله تعالى ، قال لي : يا عباس صم رسول الله ، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة . رواه الترمذي ولاء حديث حسن صحيح .

عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من البرص ، والجذون ، والجذام ، وسىء الأسقام ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ومن أبي هريرة : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه شس الضجيج ، وأعوذ بك من الخيانة فإنه شس الهطاة ، ورواه أبو داود بإسناد صحيح .

وقد تضمن الدعاء طلب دفع ما يؤذي البدن وهو الجوع ، كما طلب دفع ما يهلك  
البدن وهو الحفاة .. ولا يقول أحد إنه أفضل من النبي ﷺ أو يعرف من وسائل القرى  
إلى الله ما لا يعرف الرسول ﷺ ولا يزعم زاعم أن ذلك أمر كان قد نسخ بالأمر الذي عليه  
التصوفية فإن أمر ما كان عليه النبي في حياته هو دعاء الله أن يكشف عنه الضر ويخفف  
عنه الألم .

روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت - وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : ه اللهم أعتني على غمرات الموت وسكرات الموت . بل كان يتألم . قالت عائشة : وازارأساه فقال النبي : بل أنا وازارأساه . رواه البخارى .

(١٣) الترمذی فی البدوین : ٤٠ ، وقال الترمذی : حدیث غریب لا یضربہ إلا من علی الوجه .



هذا هو الطريق إلى الله .. ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ ﴾ (يوجا أو رهبانية) ﴿ تَوَلَّوْا مَا تَوْلى وَأَهْلُوا جَهَنَّمَ وَاسْعَتْ ﴾ مصيرا ﴿ . النساء : ١١٥ .

### ■ ذم الصوفية لعلم الفقهاء :

ردد الكتاب موقف الصوفية من الفقهاء فقال : ويقول التصوف للفقهاء أنتم علمكم ميتا من ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، تقولون حدثنا فلان عن فلان ، وكلهم موفى والواهب الحق حلام الغيوب أقرب إليكم من حبل الوريد وهو معكم أبها كنتم .

علم الفقهاء نقلى من الكتب<sup>(١)</sup> ، وعلم الصوفية لدنى ، فهم أهل الحضرة الإلهية ، يعني الواحد منهم كراماته كما يعني عورته ، لأنها السر الذي بينه وبين ربه ، وعلامة المحبة والخصوصية ، والقرب وما بين المحب والمحبيب لا يصح إفتاؤه وإفتاؤه<sup>(٢)</sup> .

### العلوية :

هذا الذي نسب إلى الصوفية من التدين في صفوفهم مخالفة مكشوفة . فالتقية لا يأخذ من الموت وإنما يروى الحديث عن إنسان ثقة سمعه منه بنفسه .. وهذا الثقة فلروى عنه يخبر عن ثقة آخر قد مات .. ولعل موته أخبره بأن ثقة آخر أخبره بالحديث عن فلان ، وفلان الأخير كان ثقة عند الراوى عنه ، وبطل النقل بالتوثيق حتى تكون نهاية السلسلة رسول الله عن جبريل عن الله عز وجل ، فالرواية للحديث ليست عن الوقت .. وإنما هي عن الله ، والإستناد ( عن فلان عن فلان ) هو وثيقة الإثبات المصادق لليقين نسبة الحديث إلى النبي لما نقله عن الله سبحانه . أما الصوف الذي يزعم أن حبه لكفى لثقة روحه الصافية عن الله مباشرة فإن دعواه أن ما تلقاه إنما هو عن الله لا دليل عليها .. إذ لا معجزة ثبت ذلك له فتصديقه واتباعه دون تصديق واتباع النبي الموثق بالمعجزات هو الضلال المبين لكل من له سحنة من عقل ، ولعل ما ينكته علما لدينا هو

(١) القرآن : محاولة لنهم عيسى نصران من ١٠٩ .

(٢) نفس المرجع من ١١٥ .

خائف شيطاني ، وقد كان بعض الصالحين ينفذ به الشيطان في صورة ملك فيقول له : اغرب عني يا شيطان فلا وحى بعد سيد الخلق .. ولا معرفة إلا من كتاب الله وممة نبيه<sup>(١)</sup> .

لقد أمر النبي بتبليغ ما سمعناه منه فقال : « ألا ليليلع الشاهد منكم الغائب .. قرب مبلغ أوعى من سامع » وقال : « نضر الله أمرا سمع مقاتي فوعاها فأذاها كما سمعها » ومعنى هذا أن النبي أمر بتبليغ حديثه ، ولا سبيل إلى هذا إلى الرواية للثقة عنه إلى من يسمه جيلا بعد جيل . فالعلم في الحديث المستند بالرواية علم في أمر النبي برواية ما سمع منه .

ومن الكذب أن يقول الإنسان : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وهو لم يسمعه منه مباشرة كما أن الورع يقتضى أن يذكر الراوى من سمع منه ، ليكون ذلك المسموع منه هو المنحل لمسئولية الرواية التي رواها ... فقد يوثقه الراوى لجهاله بأخلاق فجعل حديثه غير مقبول .. وقد يكون راوى الحديث سمعه من النبي في حال ، وهنالك رواية أخرى لغيره في حال أخرى ، فإذا عُرف الرواة اهتدى إلى تاريخها ، وأمكن معرفة أى الحديثين أسبق ، ليضبط تاريخ التشريع على الأقل .. إلى جانب مميزات أخرى للذكر سند الرواية .

ثم إذا كان الصوف يعني كرامته فإننا لا نستطيع أن نصدقه فيما يزعم أنه علم لدنى ، لأن الكرامة - كالمعجزة - أمانة على تصديق الله له . فإذا خفيت لم يكن لنا دليل على صدقه .

ويعتق الصوفية يقول : إنه إذا أظهر المكرامة عرفنا أنه خير جدير بالولاية فكذلكه . لأن الصوفية يزعمون أن الولي الحقيقي يعني كراماته كما يعني عورته . وقد كل حال يكون علم الصوف غير صالح للاعتداه به . ولا دليل على ثبوت نسبته له .. فهو علم مهجور .

ثم ما أتبع التصور والتعليل لإحضار الكرامة بقوله : « ما بين المحب والمحبيب لا يصح إفتاؤه » لماذا ؟ إننا في غرامياتنا لا ننشى من أسرار المحب موضوعات خاصة هي

(١) اقرأ كتاب تليس المجلس لابن القيم الجوزي .

التي تتعلق بالجنس والنزول .. أما الحكمة والفضائل فذكرها .. لقد قال الله ﴿ وَلَمَّا يَنْفَعُ رَبُّكَ فَحَقِّقْ ﴾ آخر سورة الضحى - غرض قاعدة الحياة الإسلامية وهي إظهار فضل الله وكراماته ... وليس الإخفاء لها ، فأى رجل خالف أمر الله الذي نزل به الذكر الحكيم فهو منحرف ... وإن دعا إلى المخالفة فهو مبتدع - وفي حديث أن يجمع العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( إياكم ومحدثات الأمور ، كل بدعة ضلالة ) (١) .

﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ الطلاق : ﴿ وَمَنْ أَمْرُهُمْ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ سورة طه : ١٢٤ .

● ما قيل في عدد أسماء الله الحسنى :-

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ طه : ٨ . نقل القصر الرازي - وهو نقل لا نعرف له إسناداً صحيحاً - فقال : إن لله أربعة آلاف اسم : ألف لا يعلمها إلا الله وحده ، وألف منها لا يعلمها إلا الله والملائكة ، وألف منها لا يعلمها إلا الله والملائكة والأنبياء ، وألف منها يعلمها المؤمنون . ثلاثمائة منها في التوراة وثلاثمائة منها في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ، ومائة في القرآن ، سبع ومائة منها ظاهرة وواحد منها مكتوم لمن أحصاها دخل الجنة .

ولهذا يجب التوكل عند ما ورد في القرآن والسنة من صفات الله سبحانه وتعالى وبهذه الصفات يأتي دالاً على التناء في كلمة مفردة مثل الفتاح العليم . ويعلمها تكون دلالة بالإضافة مثل ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْإِصْبَاحِ وَجَنَّتِ اللَّيْلُ سَكَنًا ﴾ الأنعام : ٩٦ .

ومنها ما تناوله بنفسه لكنه زيادة دلالة على المدح بالإضافة : مثل ﴿ يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأنعام : ١٠١ . ومنها ما يحسن قرأته بصفة أخرى إذا كان كل من الصفتين يدل على ناحية من الكمال ، وتثير السؤال عن مقابلها ، مثل ( الأول )

(١) لمخرجه أبو داود سنة ٥ والبيهقي وقال : حديث حسن صحيح ورواه ابن ماجه - مقدمة ٦ ، ٧ - وسلم في الجمعة ٤٣ والدارمي : مقدمة ١٦ ، ٢٣ وأحمد ح ٣ : ٣٦ ، ح ٤ : ١٢٦ - ١٢٧ ، وجملة « وكل ضلالة في النار » تفرد بها البخاري وسندنا صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزيادة فتح الكبير .

يستحب أن يقال ﴿ الأول والآخر ﴾ الحديد : ٣ . وهكذا الظاهر والباطن ، والبدني والليدي .

### ■ مزية الذكر بالأسماء الحسنى :-

إنها تضمني على الذكر الشعور بالعبادة والثقة حين يعرف أنه مستب إلى الله القهار الرحيم ، وتعينه على التحقق والانصاف بما توحى به هذه الصفات من أخلاق الكمال كالبر والرحمة ، والمصطف والعدل ، والإتيان للعمل ، وما إلى ذلك .

وهذا هو المراد بإحصائها ، أما الذين يحفظونها أو يكتبونها إنما يحاولون التعرف على باب الله ، والوصول إلى مدارج السالكين ، ولما يعرفوا أو يصلوا .

### ● الذكر والصلاة :

قال الكاتب (١) : إن الله أمر بالصلاة ثم قال : ﴿ وَلِلَّهِ أَكْبَرُ ﴾ المتكبر : ٤٥ .

« مجرد أن تذكر أن هناك قوة إلهية ، وأن يسطر هذا المعنى في ذاكرتك وفي أفعالك على الدوام .. تنجيك وتحقق لك شرط المؤمن ، ويكون أفضل من صلاة الصل الذي ليس في قلبه ذكر » .

### ● وجد الملاحظة :

إن الذي يتذكر القوة الإلهية في ذكرته وأفعاله على الدوام ، لا يمكن إلا أن يكون مصلياً ومنتبهاً من كل تقصير ، كما في الحديث الصحيح : « لا يؤمن الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » .

فلا وجه للمفاضلة بين شيئين أحدهما خير موجود ، وهو الذكر الذي لا يصل ، وبين شيء آخر ليس مجرد مقالة اللسان ، ولا تأرجيح الأبدان .

(١) حسن الرجوع ص : ٧٦

## رب واحد وكين واحد .

حسن ما قاله أن الله واحد ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهُمْ عَلَىٰ شَكٍّ مِّنْ عَمْدٍ ۖ ١٩ - وفي الإنجيل : ه لا تدعوا لكم أبا على الأرض ، لأن أباكم واحد ، وهو الذي في السماوات . » اذهب يا شيطان ، إنه مكتوب : للرب إله سجدة . وإياه وحده نعبد . وفي التوراة : ه باطل الأباطيل : الكل باطل ، وقبض الريح . كأنها تعني قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعم لا محالة زائل  
أما قوله : ويقرر القرآن أن جميع أهل الكتاب من يهود ونصارى ومسلمين على هدى ، وأنه حتى الذين عبدوا الشمس على أنها رموز وآية من آيات الله وهم الصابئون أمثال إسماعيلين .. هم أيضا على هدى ولم أجروا منفردة ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى ، وَالصَّابِئِينَ ، مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ( البقرة : ٦٢ ) فهو عطاء مردود ، ولهم يكفر بالله إذا أمر عليه ، لأنه لهم يُغْفَلُ كلمة عامة جعلها الله شرطا للأجير والجنة . وهي الإيمان بمحمد عند يمينه أو بعدها . قال تعالى : ﴿ مَن آمَنَ بِاللَّهِ فَيَؤْتِ مِمَّا رَزَقَهُ مِنَ الْيَدِ الْيُسْطَىٰ وَأَتَىٰ الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَحِيلَ صَالِحًا ﴾ الآية .

أما من لم يؤمن ، أو آمن ولكنه لم يعمل بمقتضى إيمانه كحضر الدارسين للإسلام من النصارى والمشرقيين وهواة البحث العلمي لجرد البحث ، لا رغبة في الانضاج بنتائج البحث فعذاب الله في انتظارهم .

ولو أدرك الكتاب الفاسد من أسلوب الشرط ﴿ مَن آمَنَ ﴾ لما قال بعد ذلك : الآية تنسحب على من كانوا قبل مبعث النبي ، وإن كانوا ناجين في نفس الوقت .

• مصطفي محمود : القرآن محاولة لتفسير مصري - ص ١١١ : ١٢٢ .

(٢) نفس المرجع : ص ١١٢ .

فهذا موضوع آخر ، وقد قال سبحانه وتعالى قوله الحاسمة في الموضوع : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَخْلُقُوا بَيْنَ ظَلَمَةٍ وَسَيِّئَةٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ . النساء : ١٥٠ .

أما ما زعمه من تطور النفس البشرية تطورا اقتضى تعدد إرسال الأنبياء برسالات تناسب مع كل طور ، فهو قول مشهور .. ويحتاج بحجة أو نقضه بحال أوسع . أما قوله : « والصوفية في ارتضايتهم تبين مشارب أصحابهم بين تارك للشهوات ، وعازف عن الزواج على قدم جيسي ، وأخذ بالحق والعدل والقوة على قدم موسى ، فإنهم يسمون على أساس أن الأديان يصح لكل أمرىء أن يأخذ منها ما يستطبعه وما يتفق مع مزاجه وطبعه » فنقول باطل أيضا ، لأنه لا دليل على صحة ما وصلنا من هذه الأديان .

بل إن القرآن ذكر لنا أنها هرقة وموضع الشك . وما كان موضع ريبة في لسانه إلى الله لا يصلح أن يكون مرجعا للاستدانة به إلى الله ، بل إن النبي نهي عن الأخذ من الكتب السابقة ، وحين رأى صحيفة من التوراة في يد عمر ناه عن أخذ الدين من غير القرآن ، ونزلت آية صارمة تؤكد للمسلمين إقرار الله لنبي نبيه عن ذلك ، قال تعالى ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا لَأَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُفْلِكُ عَلَيْهِمْ ، إِن لَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . ( العنكبوت : ٥٤ ) .

وأقول الصوفية ليست حجة على المسلمين . وكما قال الإمام مالك في درسه بمسجد المدينة « كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك » إلا قول صاحب هذا القبر محمد ﷺ .  
وأما قول الكاتب : ( إن انقطاع الرضى إنما هو لشكامل نضج الروح وبلوغها أوج النضج عند البعثة المهدية ) بحيث لم تعد في حاجة إلى نبي بعد محمد ، ولا رسالة بعد الإسلام .. وأن كل من ادعى النبوة بعده ثبت بظلال دعوام ، لأنها لا تعتمد على معجزة تؤكد صدقه من أمثال ( الياء مبدأ حسن على ) ، فهو قول جيد وجهد مقبول .

إِنْ رَحِمَ اللَّهُ فِي النَّظَامِ الَّذِي وَضَعَهُ شَمَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، فَأَلْبَارِقُ يَقْطَعُ يَدَهُ ، غَيْرَ  
أَنْ مِنْ يَسْرِقُ وَيَقُولُ - صَادَقًا - ثَبَّتْ وَلَنْ أَسْرِقَ بَعْدَ الْآنَ ، فَإِنَّهُ يَعْلَى لَوْ أَنَّ الْأُمَرَ بِمَعَالَا  
لَرَفَعَ الْحَدَّ - ﴿ فَهَنْ كَاتِبٌ مِنْ بَعْدِهِ تَقْلُوهُ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي عَالِمًا ﴾ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿ ١١١ 〉 المائدة : ٣٩ .

وأما الرق : فكانت رحمة الإسلام أن يتم تسريحهم بالتدريج الذي شرعه الإسلام ، فلو حرّمه الله مرة واحدة لكان في هذا خروج آلاف المتسولين إلى الطريق بلا مصدر رزق ، وبلا صناعة أو زراعة تستوعبهم ، وهي كارثة وليست حلاً . فأوصى الإسلام بالعتق ، وكانت وصية القرآن تسريح الأسرى أو طلب الفدية فيهم . ﴿لِأَمَّا

أما الموجودون من الأتقاء فهم أصغرهم بالنسبة : إذا جعل القرآن ذلك ( الرقعة )  
كفارة للذنوب صغيرها وكبيرها (٢٧)

وإذا كان ما حدث في أيام النبوة هو العكس وليس الذنب ذنب القرآن ، وإنما ذنب النظام الذي تصح ، وقصور اختلافه التي تحولت إلى مسارح للمتع الحسية على الطريقة الفارسية ،<sup>(٣٦)</sup>

إعلان الأخوة بين جميع الطبقات فلا امتياز لأحد حتى تكون له الوساطة عند الله ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَعَلَّيْكُمْ رُجُوعَهَا وَتُنْفَخُ مِنْهَا رُوحُكُمْ ۚ وَتُجْعَلُنَا مِنْكُمْ جُمْلَةً سَوِيًّا ۚ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَلَا تُنْسُوا شُكْرَهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهََ الَّذِي أَنْتُمْ بِرُحْمَتِهِ تُكَفَّلُونَ ۚ ﴾ . ١ . ﴿ وَلَا تَحِلُّ لِمَنِ الْمَالُ حَقٌّ أَنْ يُكَفِّرَ بِهِ شِرْكًا ۚ وَلِلَّهِ الْبُحُورُ كُلُّهَا ۚ وَلِلَّهِ السَّمَاوَاتُ كُلُّهُنَّ ۚ وَلِلَّهِ عِلْمُ الْغُيُوبِ ۚ ﴾ . ٢ . ﴿ وَلِلَّهِ الْفَلَاحُ وَالْشَّرَاحُ ۚ وَلِلَّهِ الْوَسْطَانُ الْأَعْلَى ۚ وَلِلَّهِ السُّبْحُ وَالْمُنَاقِبُ أَكْثَرُ ۚ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ كُلُّ الْيَوْمِ ۚ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاقِبُ ۚ ﴾ . ٣ . ﴿ وَلِلَّهِ السُّمُوعُ وَالْبُصُورُ ۚ وَلِلَّهِ الْغُيُوبُ ۚ وَلِلَّهِ الْفَلَاحُ وَالْشَّرَاحُ ۚ وَلِلَّهِ الْوَسْطَانُ الْأَعْلَى ۚ وَلِلَّهِ السُّبْحُ وَالْمُنَاقِبُ أَكْثَرُ ۚ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ كُلُّ الْيَوْمِ ۚ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاقِبُ ۚ ﴾ . ٤ .

قال الكاتب: ان امرأة نوح وامرأة لوط وقعت منها الحياة الزوجية<sup>(١)</sup> وهى

(٦) طرح الفني من ١٨٠ - ١٨٦ .

(D) القرآن في عاونة لفهم نصري للقرآن من ١٧٤ ■ أولي .

(٣) القرآن : علوة عليهم هجرى القرآن عن ١٧٢ .

(1) خمس للرجل من ١٨٧ .

لا کھنوت \*

براهین الکاتب :

أقام الكاتب براهيم هذه الحقيقة على عدة أسس .

١٠٠

أَنْ إِلَهَ أُنْجَى الرِّسَالَتِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾  
أَحْبَبُ ذِكْرُهُ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ فَالْيَسْتَجِيبُوا لِي رِزْوَانًا ۖ فَمَنْهُمْ يُشْكِرُ ﴿الْبَقَرَةُ :  
١٨٦﴾

وقد شرع العبادة مهترة لكل امرئ فقال سبحانه : ﴿ فَلْيَتَنَزَّهْ فَاِنَّهُ يُرْجَىٰ فِى الْيَوْمِ الَّذِى هُوَ عِندَ اِلٰهِكَ الَّذِى يُرْسِلُ الرُّسُلَ اِذْ هُوَ مُجْعِلٌ لِّى الْاَرْضَ مَسْجِدًا وَرَبُّهَا طَهْرًا ۚ ۝۱۱۱ ۚ وَقَالَ سَبَّحانه : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَعًا كَتَبْتُمْوَا ۝۱۱۲ ۚ فَلَا حَاجَةَ اِلَىٰ وَسْطِ بَيْنِ النَّاسِ وَبَيْنَ اِلٰهِ ۚ وَلَا فَرَاقَ بَيْنَ الْبَشَرِ اَمَامَ اِلٰهِ ۚ فَاَلَسَاوَا وَالْعَدْلُ تَامَان ۚ فَنَحْنُ الْخَدِيثُ الْقَدِيسُ : « الْجَنَّةُ لِمَنْ اَطَاعَنِى وَلَوْ كَانَ عِدَا حَبِشًا ۚ وَالنَّارُ لِمَنْ عَصَانِى وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا قُرَشِيًا ۝۱۱۳ ۚ

وَقَالُوا :

الذين إيمان وأخلاق ، وهي مسائل تلعب من ذات المؤمن ، ولا ارتباط ■  
بالكاهن ، والمادى من الإنجليز قد يكون له خلق نتيجة للذكاء الإجتماعي ، كالبحر  
الماهر : يعرف أن الصدق وحسن المعاملة سبيل لتكثير عمله ، ثم كثرة ربحه ، فيجعل  
حسن المعاملة والصديق كوسائل للإعلام عن تجارته ، أما المؤمن فيرحم ويحسن المعاملة  
حتى لمن آساء إليه ﴿ لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ . الإنسان : ٩ .

• المرجع السابق ١٧١ - ١٨٢

(١) قال المكياب (أبنا تولوا) والصواب ما ذكرناه عن سورة القرة : ١٢٥ .

(٤) الذي في مقال الكتاب (بلان لم نجدوا) والمصواب ما ذكرناه عن سورة الواقعة : ٦ وإتمام : ■

(٣) القرآن عاولة لهم عصرى ص ١٧١ - ١٧٢ .

سقطات طبيعية بالنسبة لمن لم يتعمق بأصول الفقه ولم يملكه ويخلص التاريخ ، ويقع  
أبحاثه فيه على أصول علمية . وإنما ينال معلوماته من أى كتاب دون أستاذ أو دون  
منهج علمي على الأقل ، من هؤلاء الباحثين غير المختصين .

لنلهم في بحوث الدين ، سواء علوم القرآن أو التاريخ الإسلامي أو ما بينهما ،  
كمثل من رأى الأطباء معهم للشرط والمخدر ، فأراد أن يقوم بإجراء عملية جراحية  
بسيطة فزق عصباً من أعصاب العين أو الأذن . ونسى أنه ما كل من رأى عملية قام بها  
طبيب وأمكنه العثور على الشرط والمخدر يُسمى طبيباً ، كما في القتل النجس ، فاكل من  
لبن العمامة يزنيها ، ولا كل من ركب القرس عبالاً .

\*\*\*

## بيان سقطات الكاتب

### ١ - من تُسقط التوبة الحذ ؟

استشهد الكاتب بالآية ﴿ لَمَنْ تَابَ ﴾ على أن توبة السارق أمام الحاكم تسقط  
عنه الحد : قول لم يقل به العلماء ولا تؤيده السنة . فقد قال الفقهاء : إذا رفع أمر  
المحدود إلى الحاكم وثبت التهمة لم يجوز أن يحضر الإمام فيسقط الحد ، كما حدث حينما  
سرق قاطعة الخزومية ورفع أمرها للنبي فأمر بقطع يدها . ودفع المسلمون إلى النبي  
﴿ كَذِباً ﴾ فأسامة بن زيد لم يقطع في أمرها ، فغضب النبي وقال : « أقطع في حد من حدود  
الله يا أسامة ؟ والله لو أن قاطعة بنت محمد سرق قطع محمد يدها » أما قبل أن يرفع  
إليه الأمر فالتوبة تسقط العقوبة كما تسقط الذنب . إن قبلها الله - بشرط رد السروق  
إلى صاحبه .. فليدار الحاكم إذا يكون في الأمر الذي لم يرفع إليه أو يفصل فيه ، أما  
بعد ذلك فلا .

قلاية نص في حواشي عن عقاب الأخيرة للتائب ، أما القطع فلا يسقط بها عند  
الأكثرين ، لأن فيه حق السروق منه ، كما قال البيضاوي في تفسير الآية .

### ٢ - هل الرقيق مظهر للبطالة ؟

وأما ما زعمه في حكمة استبقاء الرقيق من تسريح آلاف لا حرفة لهم يروثون  
منها<sup>(١)</sup> . فهو كلام عاطفي . فالرقيق كانوا هم أصحاب الحرف الصناعية ، منهم  
الحائك والتجمل والنساج والتفنين ( الحداد ) والزارع وغيرهم .. وإنما لهذا حكم ذكرتها  
وذكرها غيري في غير هذا المقام ، وإن اتفقتا في أن الرقيق ضرورة اجتماعية لا ممدى عنها  
في الإضرار الذي وضعه الله وجوئه الفقهاء .

### ٣ - فتوى التاريخ الإسلامي :

وأما تخرج حكم بني أمية واتباعهم بأنهم جعلوا قصور الخلفاء مستراح للنسج

(١) هرقان عذوبة قهرهم تسريح الرقيق : ص ١٧٥ .



عليها : الخنث في الجين . ( المائدة : ٨٩ ) - القتل الخطأ ( النساء : ٩٢ ) - الظهار . ( المحادلة : ٣ ) (١)

تفتيب :

فيما قلته بنت الشاطيء بعض الحق : فذكر لفظ رقية منكراً جيد التسميع . أي رقية مؤمنة أو غير مؤمنة . وهذا قال بعض الفقهاء في كفارة الظهار واليمين . وكيل التذكير محمول على المهور ، والمطلق محمول على اللقيد وهو « رقية مؤمنة » كما هو الشرط في كفارة القتل . وفي قول الكاتب : « وصية » ، ودعوى بنت الشاطيء « الوجوب » مقال يحتاج التحديد .

فالوجوب هو في المسائل الثلاث عند المقدرة ، والموصية للوجوب في المسائل الثلاث . وفي التذر . وهي لتندب كفارة للصغار والكبار ، وتطوعاً ، فقد كانت آية البلد على ( تلك رقية ) ليل نزول الكفارات ، بل نزلت في مكة قبل نزول آيات الأحكام والجنود والمهادن . وقد بين النجاشي أن من يعتق عبداً يعتق منه بكل عضو عتق من العبد ، فغض منه من النار .

وأما العبد المكاتب : ففي قول طلبة المكاتب لولان : ذهب عمر بن الخطاب إلى الوجوب جرياً نداء ظاهر لفظ الأمر ( المكاتبون ) . وقيل الأمر محمول على التندب لأنه مشروط بأن يعلم السيد في العبد خيراً . وهذا مرجعه إلى دعوى السيد وحده . كما أنه متفق على أن للسيد أن يرفض بيعه بأهل الأثمان . فرفض المكاتب - وهو يقع بالأقسام - يكون جائزاً من باب الأول - وهذا هو رأي الجمهور .

وقيام الجمهور باطل : لأن أساسه كمال ملكية المال عند حيازه - بينا المال في الشرع له وظيفة يؤديها ، وهو في أصله ملك لله ، والعباد مستحقون وكلاء لله في المال ﴿ وألقوا ما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ . الحديد : ٧ . وقد أمر الله وكلاءه بقول المكاتب : فلا تجوز مخالفة .

ولا يجوز صرفه الأمر من الوجوب إلى التندب إلا بقربة دالة على الصرف .

٥ - الحياة الزوجية :

واتهام الكاتب لامرأى رسولين كركين نوح ولو ط بالحياة الزوجية (١) أمر لا يليق ، إذ لا يقبل أن يقذف به بيت الإنسان العادي فما بالناس بالموسلين .

وقد ذكر المفسرون أن خيانتها كانت مجرد التآمر مع الأعداء وإخطارهم بالاجتماعات التي لم يجد الرسولان عليها السلام إذاعتها وإنشاء سرها .

وقال الفيضاني المراد بالحياة الغاف .

\*\*\*

(١) الخبوات المصرية في عهد الفراعنة من ١١ .

(١) القرآن والتفسير المصري من ١٤٤ - ١٤٥



## الفصل الرابع

### الإنسان مخير أم مسير؟

- هل نيتنا عن البحث في القادر؟
- مذاهب الحتمية - مذهب فرويد - مذهب اللاتبيين .
- حل المشكلة .
- منطق المعجز .
- بين علم الله وعمل العبد .
- نقد الكاتب عن التاحين الشكلية والموضعية .
- دائرة القلب - ما يؤخذ على الكاتب .
- لماذا لا تكون النية مقدره من الله .
- ماذا نغزوه .
- حرية الاعتقاد .

## هل الإنسان مخير أم مسير ؟

### هل نبتا عن البحث عن القدر ؟

ذكر الكاتب أن النهي عن الخوض في هذا البحث فقال : (إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا) ، لأنه يحلّل علم أن المصلحة من المصالحات الفلسفية العالية التي لا يتيسر الرد عليها بطوم عصره . وأن الجدل سوف يترلق بهم إلى متاهة يضيعون فيها .. ولذا فضل الإيمان بالقلب على الزلزلة العقلية العقيمة .  
« وهي وصية لا تنسحب تماماً على عصرنا الذي دأبت له الفلسفة الجامعات ، وأصبحت درسا ميسراً يلتفت إليه العشر من كل يوم ... وبذلك أصبح السؤال مطروحا بشدة ... وفي حاجة إلى جواب » (١) .

### تطبيقات :

إن زيادة كلمة ( جاء ) في الحديث لا تجوز فكلمة ( إذا جاء ذكر القدر فأمسكوا ) بزيادة ( جاء ) لم ترد في كتاب وإنما المروي ( إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ) ، إذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا ) ولم يبلغ درجة الحديث الصحيح (٢) ، فهو ضعيف يروى مع الحسن لوجود طرق أخرى ضعيفة يساند بعضها بعضها .

وقد وهم السيد الطيب في دهره النهي عن الخوض في الموضوع فتحمل الإسلام مالا يجوز أن نحمله له ، فالحديث أنكره المشتقون من أهل العلم ... ولهذا تناول علماء المسلمين هذا الموضوع بالبحث والدراسة منذ فجر الإسلام وإلى الآن ، وما بعد الآن .

« القرآن يحاورهم عصرى القرآن من ٢١ - ٢٠ .

(١) فريج السائق ص ٢٢ .

(٢) الحديث رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وابن حنبل في أماليه عن ابن مسعود وحدث ، كما أخرجه الطبراني في الكبير أيضا عن ثوبان ، وأخرج ابن حدى في الكامل من عصرنا قال البيهقي في جمع الموضع المعروف بالمصالح الكبير رقم ٨٩٩ - ١٨١٠ . وقد جاء في الخامس من ٥٥٠ ذكر الحديث في المصنف رقم ٦١٥ ورواه في الحسن . قال المصنف : في إسناده مزيد بن ربيعة ، وهو ضعيف وكل ابن ربيعة : روى من وجهه في إسناده ما كلفها مقال ، وتضمن ابن حنبل في أماليه لمعه اعتنق .

ومن اعتبر الحديث صحيحاً قال : ليس المنع من الخوض في القدر من ناحية أفضل العباد فقط ، وكونه حجراً أو جبراً ، وإنما للمنع عنه وهو القدر حادثة واسعة جداً ، حيث يؤدي الخوض فيه إلى محاولة استكناه أسرار الكون والخلق كملكوت ، وتوزيع صفاته وتعلقات قدرته جل جلاله في هذا التدبير العظيم .. ذلك لأنهم يقيمون قدرة الخالق وقوله بقدراتنا ، فيصورون تدبيره وعلمه بجملة ، فيضلون ، وذلك لأن عظمة الخلق مردها إلى عظمة الخالق ، وإليها ترجع ، فلما لم إلى ذلك سبل ﴿ مَا أَفْنَاهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا عِلْمَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ الكهف : ٥١ .. هذا القدر بذاته الواسعة هو المنهى عنه .

وقد ذكر الكاتب في كتابه ( لئلا الموت )<sup>(١)</sup> في هذا الموضوع نفسه أن الأدباء حثت على البعد عن الخوض في القدر ، ولأن الجواب لا يمكن أن يأتي إلا بمكاشفة وإلهاماً من طريق القلب ، وليس العقل ، ولأن المعول فيه على إيمان المؤمن ، لا فلسفة الفيلسوف ، لأن العقل فيه لا يمدى ، والفلسفة لا تنجده<sup>(٢)</sup> .

وما قاله الكاتب عن القلب والإلهام ، تردده لذهب الإسرائيليين من الفلاسفة ، وقد التفت على أن مصدر الشريعة لا يصح أن يكون هذا الإلهام الصوفي . وإنما مصدرها الوحي والتصوص ، فانتسراح الصدر لأمر من الأمور وإشراق النفس بفكرة من الفكر ، لا يعني الوصول إلى الحقيقة ، فقد يكون هذا من ترين الشيطان وليس إلهام .

## مذاهب الختمية

### ١ - مذهب فرويد :

كان فرويد يرى أن سلوك الإنسان خاضع للغريزة ، تحت سطوة الجنس مثلاً - بجميع التوجّه للمهر ، وشغل ، ويرتدى أحسن الثياب ليجذب قلب المرأة أو ليجلب المرأة قلب الرجل ، وهكذا .. ولكنه حكمة عن رأيه ثم قال : بل إن الغرائز تخضع لإرادة المرء بوصيلة من ثلاث : التماسي - أو التكتيكي أو الإطلاقي .

(١) لئلا الموت : ص ٨٥ : ٨٦ .

(٢) لئلا الموت : ص ٨٥ : ٨٦ .

ومن ثم فندعى أن الإنسان مجبر على سلوك تحت ضغط الغرائز دعوى لم يعد يفرها بعد أن كانت مذهباً له .

### ٢ - مذهب لكانتين :

يرى الاجتماعيون اللذان يتجهون إلى تفسير الأحداث تفسيراً مادياً إلى القول بأن الرأى يحكمه النظام الجماعي الذي يحيا فيه ، فإن أين الطبقات الثرية له سلوك يختصه من طيفه ، وهكذا . فالمرء مجبر على سلوك ما ينصه من طيفه وريشته الاجتماعية .

ورد الكاتب عليهم بأن « تولستوى » كان من التباه الإقطاعيين بحكم الوزارة ، ومع ذلك لم يصرف تصرف الإقطاعيين بل كان طليعة الفقراء والفلاحين ، فاعلم الختمية التي أنسها علم النفس الطبقي ، وبالمثل « باكونين » و « كروپوتكين » طليعة القروية . فقد كانت من كبار الأحرار ، وماركس ذاته كان من أبناء الطبقة البرجوازية .

### القول :

وبالإضافة إلى ما قاله الكاتب ، رأينا الفيلسوف البريطاني برتراند راسل ( ١٨٧٢ - ١٩٧٠ ) ، وهو من أهل لطيفات البريطانية ، يرث مليون جنيه فيدها ويقيم بها مؤسسات علمية واجتماعية حتى لا يتي له منزل يسكنه إلا بإيجار ، كما تنازل عن لقبه ، وأخط يدعو إلى حياة يسودها السلام ، ويعمل مع الدعاة إلى الارتقاء بالطبقات والخصومات والشعوب المختلفة .

وفي صدر الإسلام رأينا صوراً كثيرة من هذا النوع . فعثمان بن عفان ومصعب بن عمير يتخللان عن حياة ناعمة في ثراء عظيم ، ليحييا بالإسلام وللإسلام جنباً إلى جنب مع من كانوا من العبيد والصغار .

وكثير من المهاجرين تركوا أوطانهم ، وهجروا أوطانهم ، وسلكوا سبيل الإيمان دون أن تحكمهم عقائد الجاهلية الموروثة بقيودها أو تطيع نفوسهم بطامعها .

وفي عصرنا الحديث نجد فارضاً وزوجته عائشة ، وهما أمريكيان قد أسلماً ضلعا عن أنفسهما مسح المجتمع الأمريكي . وتخلصا من نمط الحياة الأمريكية ، رغم دخلها الثلاث الكبير الذي يحصلان عليه من التثيل والحياة .

وقد حضرا ليحييا في القاهرة بالزى الإسلامى ، فعائشة متخوجة وزوجها ملتصق ،

وميتها بل وكل نعيشتها نسودها البسطة المطلقة .. وغيرها كثير ممن أسلموا من أبناء  
 وبنات أوروبا وأمريكا ، مما يدل على أن السلوك لا يحير المرء على حياته الطقية ، ولا  
 يشبه الاجتماعية إذا آمن بغير ما تكون عليه البيئة إيماناً حياً جازماً كما ينبغي التنمية الطقية  
 ما تشاهده من إهمال الفلاحين تنقية دودة القطن في المزروعات الشتوية ، وإهمال العامل  
 صيانة الحافلات ، الأوتوبيسات ، في القطاع العام .. رغم أنه من طينة عالية ، فكان  
 يجب أن تجعله بيته على الاندماج النفسي في عمله ، ولا تسمح له بأدنى تفرط .  
 والكاتب بما نقلناه عنه إنما يهدم مذهبه الشخصي الذي جاء في كتابه ( الله  
 والإنسان ) حيث قال هناك : - الإنسان ابن بيته وابن عصره . وابن مجتمعه بعد أن  
 قال : « الإنسان عندي مجبر على ما يفعل ، لا يترك له التاريخ مهرباً ، ولا مجال  
 الاختيار » (١) .

#### ■ حل المشكلة :

عرض الكاتب لأفعال العباد وهل هي فعل الله أم فعلهم فقال : « الإنسان إرادته  
 الحرة في الله - الداخلية التي تقيد بها حاجات الجسد من الطعام والشراب والكموة ،  
 فصلنا على العمل لتحصيها .. وحماية الأدوات الموصلة إليها ..  
 وغيرها من الناس أدوات تستعين بها على تحقيق مطالبنا وكذلك بما صنعه من  
 آلات ومواصلات وغيرها . فهو مقيد كذلك باحترام حريات الناس ونظم الحياة للمادة  
 والآلات . كما أنه مقيد ، وكل ما في الحياة من ناس وآلات مقيدون بحركة الطبيعة من  
 السموات والأرضين وما فيها لمصادمتها مدمرة ، ولهذا نحن مضطرون أن ندير حريتنا في  
 حدودها ، فلا يصح مغالبة نواحيس الكون ، ولكن يجب مصاحبتها والانتفاع بها على  
 ما هي عليه من قوانين (٢) .. ومعرفة هذه القوانين أم ممكن .. والتحرك دون مخالفتها أمر  
 واجب مريح .. والقوانين الأخلاقية ضوابط اجتماعية كإشارات المرور ! تنظم  
 المجتمع ، ولا تقي حرية السائرين والركاب .  
 والذي يكبح جماح نفسه عن المحرمات هو الحر الذي سيطر على نفسه ، فلم يستعبد

(١) الله والإنسان ص : ١١٨ .  
 (٢) حسن البنا : رسالة المؤتمر الخامس .

لها : وكل اختيار وروحية عند الفاتون .. ليس اختياراً ، وإنما إهدار للاختيار كالسباح  
 الذي يسبح في اتجاه تضاد مسيرة التيار ..  
 والخلاصة : أن في داخل المرء نفساً لها إرادة وعليه ألا يواجه بها قوانين المجتمع  
 والطبيعة ، وإنما يكيف نفسه معها . فإذا مشى مع هذه القوانين ، وهي دين الله ، كان  
 مثاباً بيته واتجاهه القلبي وإصراره حتى ولو حالت الظروف دون تحقيق النية .. وإن  
 خالفها عوقب بيته .. طاعة ترك لنا أن نختار الهدى أو الضلالة . ونسب الاختيار يكون  
 الجزاء .. وأما تحقيق ما نختاره فيمنحني في إطار إرادة الله ، ما شاء الله كان وما لم يَشَأْ لم  
 يكن . وقد جرى الكاتب في هذا مجرى أهل السنة وهو ما أستريح إليه ، وأضيف إليه  
 بعض الأدلة الحسية التي نكشف لنا نطاق الحرية وإطار العجز والإرادة الشخصية  
 فنقول :

#### ■ الدليل للمدى على الجبر والاختيار

كل منا يشعر أنه بذير الأمر ويأخذ لتحقيقه كل الأسباب ثم لا يحقق له ما يريد ،  
 حتى الملوك والجارون يعجزون عن أن يدفعوا عن أنفسهم المرض أو الموت ، أو  
 الضرر ، وأحياناً ينزيمون مع نوازل الأسباب المادية للتصبر ، بل كثيراً ما يعملون عملاً  
 يتخون به شيئاً فتلحق النتيجة عكسية كما في المثل العربي : « تأق الرياح بما لا تشتهي  
 السفن » ، أو كما قال أعرابي حين سأله سائل : بم عرفت ربك ؟ قال : عرفت بنقص  
 الزائم .

لدليل للشاهدة الحسية أنه لا يوجد في العالم من يستطيع أن يدهي أنه يتحكم في  
 الأحداث التي تقع في نفسه أو في بيته أو في الدولة التي يحكمها أو في العالم الذي يعيش  
 فيه .

كما أنه طعن قوة في العالم تستطيع أن تدخل قلب إنسان لتجبره على أن يحفظ أو  
 يؤمن بما لا يريد ، قد يتظاهر بالحب أو التقدير لشئ أو أحد ، ولكن لا يستطيع أحد  
 أن يدخل في قلبه الحب أو التقدير الصادق .

بل كثيراً ما يريد الإنسان شيئاً فيخطئ الطريق .. فهذا أبو حطب كان حريصاً على  
 تكليب رسول الله .. وتزول الآيات تنبئ بأنه من أهل النار وسيموت كافراً  
 « يصلي ثلاثاً حب .. » ومع هذا عجز أبو حطب عن أن يظهر في صورة مؤمن ولو  
 ظاهراً ، ليكون دليلاً يكذب عمداً فيما يرويه عن الله من أبناء .. إنه عجز حتى عن

التفكير في استخدام هذا السلاح .. لتبقى هذه معجزة تؤكد صدق القرآن والرسول ،  
ولتبقى كذلك دليلاً على عجز البشر عن تحقيق ما يطلبه في كثير من الأحيان ، وهكذا  
قل في الآية الكريمة : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا  
عليها » ولم يكونوا قالوا ذلك . فما يرى أحد عظاما المعاصرين - ومع هذا التحدي  
بأنهم ( سيقولون ) .. فإن الله صرفهم عن أن يميلوا القرآن في موقف الكتاب فيكون  
ولا يقولون ما قال القرآن إنهم سيقولونه ... وذلك لتحقيق المعجزة الدالة على خلق  
رسوله ، وأن الناس الذين هم في موقف التحدي عاجزون ، بل عاجزون على أن يبقوا  
مكتوفين عن التحدي بشيء قد يسورهم .

\*\*\*

## مشكلة الحرية والكفاف

وقد تعرض الكاتب للموضوع الذي نعالجه مرة أخرى في كتابه ( فقر الموت ) تحت  
تس العنوان : ( الإنسان مسير أم مخير ؟ ) وكان فيها قال رداً على سائل يتهم بعيشته  
التي تنهيه على سلوك لا يرتضيه ما نصه :

( الحرية عملية مرتبطة باحتكاك الإنسان بيئته وبظروفه ، فإذا لم توجد العوائق أو  
الصراع لم تظهر الحرية ، ولم يكن لها معنى أو وجود ، فوجود ليهو الحاجة والفقر  
والقانون والأديان والتقاليد أمر حتمي ، كما تمارس ظاهرة الحرية وجودها من خلال  
كل تلك القيود ، ولهذا فمن العبث اعتبار الإنسان مسيراً بسبب هذه الضغوط )

عقيب :

وهذا حسن ولكنه عقيب على هذا بقوله :

« ولا يمن للقارىء أن يصرخ لأنه لا يملك إلا الكفاف قالاً : لقد فلتت  
حرفي ، أين حرفي ؟ بل لقد وجدت حرفك مادمت قد وجدت الكفاف ، فما يزيد  
على الكفاف ليس حرية بل عبودية » .

وما قاله الكاتب بصحب الصولية ، ولكنه أيضاً يعجب الحكومات الاستبدادية  
بجمعاء ، مما كان لون الحكم : شيوعياً أو رأسمالياً .. إذ أنه ينهى عن الصراع في  
وجه الحكم بنية دفع المستوى المعيشي ، فالرأسمالي المشد يشد من يزعج الناس في  
الدنيا ليس له عطفها وحده ، وتتفخ عزائه على حساب الكادحين الضاعزين  
الساكين القاعدين ، وقد رسمهم خصومهم الشيوعيون بأنهم مُخَدَّرُونَ .. وقد سموا  
الذين يأتون الشعوب ، لأن بعض دعاة الأديان كانوا يدعون إلى الزهد بهذه  
الصورة ، ويعلمون على المرء أن يتفرض صاعماً بحقه في الحياة الكريمة ، أو في  
الساواة ، أو التقارب بين الطبقات ..

وهكذا الشيوعيون يحبون أن يسكت الشعب الذي يمكنه عن مطالبة الحكومة  
بأكثر مما هو فيه من أسوأ المصنفة . وذلك ليصغر الجول لولا القادة المترسعين على

دُسْتُ الحكم : الجالس على القصة تجرى تحت أقدامهم حركة الحياة والناس .. في صمت .

وهكذا رأينا الاستعمار الغربي يندس بين المسلمين باسم التصوف كثيرا من الموسمين بكلمة « مستشرق » فيتظاهرون بأنهم قلة في الزهد : وينشرون هذه الوصايا الخبيثة التي طأها الحق وباطنها الباطل .. وقد يدخل بعضهم في الإسلام صادقا ، ولكنه يظل متأثرا بنشأته الدينية الصليبية الأولى التي تقول :

« لا تدخل في ملكوت الله غنى » وتقول : « أعط ما تهبصر لقيصر » فتشجعه دوقه الاستعمارية على الانهكات بدية الحديد مبشرا بمسيحية منقطة باسم « صوفية إسلامية » .. وهو لا يدري أنه يخدم الفساد الذي أراد الخروب منه . بل وهذا سر تشجيع الاستعمار والحكومات الموالية له أولئك الصوفية بمختلف طرقهم ، وهذه الجمعيات الدينية التي تسلك المسلك الصوفي الداعي إلى نهذ الحياة .. والفرار إلى « الدير النصراني » ، أو « الخلوة الصوفية » .

ولا يقال : إنه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه فضل العيش بالكفاف . وما قاله الكتاب ليس جديدا ، وإنما الذي ورد فيها يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ( اللهم اجعل رزقي آل محمد قولا<sup>(١)</sup> ) يعني كافيا لوتهم فلا يجوعون .

قال تعالى : ﴿ وَبَارِكْ لَهَا وَلِدَهَا الْكَافَّةُ ﴾ : ١٠ - أي أرزاقها الكافية تماما وليس القليلة لأن الله ذكر ذلك في مقام الامتنان على عباده . والله يفيض بالخير والمرأ لا بالقليل الشحيح من العطاء .. جل جلاله .. وبخاصة وأنه يعطف ذكر الأخوات على الفعل ( يبارك ) والبركة لغة النماء والزيادة .

ثم لأنه غرق بين الكفاف والجفاف : الكفاف أن يجد المرء حاجياته التي يطلبها فلا تُدمر - بل أن الحاجة - شخصيته - نفسيا ولا بدنيا .

والجفاف هو العيش التكدس ، عيش الفقر المدقع ، عيش الخبز والملح ، دون غيرها ، مما لا ينسر للمراء أن يلتقط أنفاسه بين آونة وأخرى ، فيجد لقمة شهية تدفعه لشكر النعم ، ويسر له أن يقدم القيرى لضييف عزيز أو سائل محتاج .. الفقر الذي

(١) متفق عليه .

استأذ منه الرسول ﷺ وعلم أصحابه أن يستعذوا منه فيقولوا ثلاثا في الصباح وفي المساء : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر . لا إله إلا أنت » رواه أبو داود وغيره عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بين « فأتانا نجيب أن استن بسنة .

إنه بمقدار ما يكون للمسلم من ثراء وأسباب للنعمة تكون قدرته على الإسهام في وجود البر والرفع الخاص والعام . الخاص به وبشيعته الأقرين . والعام الذي يتسع لمن وراء هذه الدوائر من عالم البشر والطير والحيوان . وفي الحديث الشريف « نعم المال الصالح للرجل الصالح<sup>(٢)</sup> » وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ : « وإن هذا المال خضر حقر . ونعم صاحب المسلم هو . لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل<sup>(٣)</sup> » .

والإسلام الذي من تعاليمه المحفوظة في كتابه الكريم ﴿ هُوَ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَلَتَقْصُرَنَّ فِيهَا كَيْدُ هَوَى - ٦٦ - يدعو إلى بدل أقصى الجهد في عارة الحياة ، وليس لهذا من معنى أو نتيجة إلا التخلص من الفقر المدقع وحياة الجفاف التي يلهث فيها الفقير . كالسائل الذي أجابه الكاتب .

إن كل ما يتطلبه الإسلام .. إزاء المال - ألا يكون المسلم عبدا له ، وأن يسير في تحصيله وفي إنفاقه وفق القوانين التي أنزلها الله بشأن المال .

أما الحديث المشهور ( اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين ) .. فقد نبه إلى عدم صحة الإمام ابن حجر في الجزء الأول من شرحه للبخاري . بينما رواه الترمذي في الزهد عن أنس وجسته أيضا ولم يحمله في حرجة الصحيح وأخرجه ابن عسبة في الزهد والحاكم وصحبه من حديث أبي سعيد<sup>(٤)</sup> وعصب الإمام التزالي على استعادة النبي من الفقر مع ما روى عنه ﷺ من قوله « اللهم أحيني مسكينا » فقال :

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند جيد كما قال العراقي .

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٤٢ - وفي رواية أخرى : إن هذا المال بخضرة حلوة لمن أجله بمقدوره . وفي حقه قسم للموت هو . الطيبة المصرية ومكتبتها بالقاهرة .

ولا خلاف أن فقر المضطر هو الذي استعاض به - بينا الحق الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلّة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأل في دعائه **يَا مُصْطَفَى** وعلى الله وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء - . ويقضى الغزالي بذلك أن المراد من المسكنة هو التخلق بالتواضع ، والتضرع لله ، والشعور بالحاجة إليه ، فهذه صفات المساكين .

**■ الجبر في الاختيار :**

وبعد نهاية الشوط لجأ الكاتب إلى الإمام الغزالي في القضاء والقدر ، وهو أن المرء يجبر في الاختيار فقال :

والإنسان حر ، وهذا صحيح ولكن حرته مخلوقة ، أي مقدورة عليه ، وهذا تشبيه بأن نقول إنه محكوم عليه بالحربة ، ومضطر للاختيار ، وهذا يوضح في مترلة بين مترلين ، فهو ليس حراً حرية الله المطلقة ، وهو ليس مقهوراً مقهوراً مجبوراً جبر المادة العبياء .

وحينما نقول : إن النار تأكل الحطب فهذه علاقة جبرية حتمية لا يمكن أن تكون معها مسئولية ، والإنسان ليس مسيراً بهذه الدرجة فهو غير بما يعلم مسير بما لا يعلم .

أما كيف يخلق الله واحداً ليظلم كما يخلق آخر ليعدل ، فخصمه أن إرادة الله مطلقة ، فهو يريد المحبوب كما يريد المكروه ، ولكن قضت عدالته بعد ذلك أن يختار من يحب لما يحب ، وأن يختار من يكره لما يكره فاختار الشرير للظلم ، والخير للعدل ، ولو أنه اختار الشرير ليعدل واختير يظلم لانتقلب الميزان . وهذا مستحيل في حقه فهو الكامل في عدالته .

**■ متعلقة العجز :**

حسب ثمة العبد يسر الله له ما نوى من غير أو شر **﴿ قُلْنَا مَنْ أَخْضَى وَالْقَى وَصَلَّى بِالْأُخْضَى فَتُسَيِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَدَّلَ وَأَسْتَقَى وَكُتِبَ بِالْحُسَى ، فَتُسَيِّرُهُ لِلْيُسْرَى . ﴾** الليل ٥ : ١١ .

وما قاله الكاتب حق ولكن الآية ليست شاهداً له ، فالتبديل ليس هو التبديل جعله الله ثمرة ما في القلب من تقي وتصديق بالآخرة أو كفر بها ، وثمره حق السلوك

العمل من عطاء أو ينحلي . أي أن الاعتقاد على الشر والتدريب عليه سبيل إلى بناء الشريرين . إذا اصطعب ذلك التدريب فكرة وفلسفة مستقرة تكون دافعاً كامناً وراء السلوك . ولشاهد الكاتب لقوله بالآيات : **﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنبَأَهُمْ أَنَّهَا قُرْآنٌ ﴾** النحل : ١٨ ، **﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾** الأعراف : ٢٣ ، **﴿ قُلْنَا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾** الصف : ٥ .

ولا شاهد له بذلك . فأهل الحديبية كانت لهم النية الصالحة ، وافقها العمل ، وهو للبيعة على التضحية بأنفسهم في سبيل الله ، والكفار كانوا يقاومون دعوة الإسلام باللسان واللسان <sup>(١)</sup> تلبية للشر الكامن في الجنان <sup>(٢)</sup> .

وقوله **﴿ قُلْنَا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾** يرمز على أن فساد القلوب نتيجة لفساد الأعمال وليس مجرد العكس الذي يقوله الكاتب .

وكما تكون الحياة في العمل القاسم باعثاً على تبريره ، ثم اعتياده ، يكون الاعتقاد سبباً في الإجهاد إلى العمل الفاسد كما في الآية الكريمة **﴿ لِي قُلُوبُهُمْ مَرَضٌ فَرَأَوْهُمْ اللَّهُ مَرَضًا ﴾** البقرة : ١٠ .

ويرى الغزالي أن المرء مقود بسلطة الأسباب إلى الجنة أو النار ، والأسباب ناشئة بإرادة الله وخلقته ، واختيار المرء وإرادته فالحمة في إطار المشيئة والاختيار الإلهي ، فهو في اختياره الشخصي مجبر على ما يختاره .

**■ بين علم الله وعمل العبد :**

جاء في القرآن الكريم **﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكُنَّا بِقُلُوبِهِمْ قَدِيرِينَ ﴾** الأعراف : ٣٠ ، وقال سبحانه : **﴿ إِنَّا لَنَبْذُلُنَا لِقَوْمٍ أَلْفَ نَفْسٍ مَاتُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْنَا وَلَمْ يَسْأَلُوا عَنَّا شَيْئًا ﴾** الأنبياء : ١٠١ ، وقال **﴿ قَرِيبًا مَدْنَى وَفَرَقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾** إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله **﴿ (الأعراف : ٣٠) ﴾** وقال : **﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَزِيدًا مَنَظَرًا فَسَلَّوْا فِيهَا طَعْنَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا مَاحِيَةً ﴾** الإسراء : ١٦ . وقال **﴿ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ خَلَقْنَا عَلَيْهِمُ الْقُلُوبَ ﴾**

(١) الكائن : الرمح .  
(٢) الجنان : القلب .

(١) القرآن : محاولة للهيم عصرى للقرآن من ٢٩ .

في أمم قد علمت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿ (الأحزاب : ١٨) ﴾

## التفصيل

### ● من الناحية الشكلية :

ذكر الكاتب هذه الآيات شاهداً على سبق علم الله بأحوال الناس وسلوكهم قاتلاً : إنها هي التي بيني عليها جزأين الأخرى : فكتب الآيات كالاتي :

﴿ حَقَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ - ﴿ ومن صبغت هم منا الحسن ﴾ - ﴿ وحَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ - ووضعت بين أقواس وأبرزت الحروف بالحظ الأسود المميز لها من كلام الكاتب :

وثنان بين قول الله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ وقول الكاتب لأملائن جهنم بالجنة والناس ، لتصور الكاتب بأنها تملأ بكل الجنة والناس ، بينا الآية توضح - بلا لبس - أنها تملأ بعض الجنة والناس ، فلفظ (من) تقييد ، فله دلالة الخاصة .

وهكذا قال في الفرق بين الآيات الصحيحة الدالة على الجمع بلفظ الإسم الموصول (الذين) وبين ضمير المفرد في كلمة الكاتب (حَقَّ عليه) ، فضلاً عن التقارب البلاغي بين اعتبار الله لفظ (الذين سَبَّحْتَ) - دون اسم الموصول (مَنْ) الذي في عبارة الكاتب .. لهذه الأسطوانات مظهر للاستنباط بمراجعة النصوص القرآنية ، وهي جيب في كتابنا المهدئين يؤدي - دون سوء نية - فيما أعلن إلى ما نريده إسرائيل من تعريف لبعض كلمات القرآن تحت ستار الخطأ المطبعي ، فالنتيجة واحدة وإن اختلفت المقاصد والنهايات واختلفت العمد والخطأ<sup>(١)</sup> .

### ■ الناحية الموضوعية :

أما من الناحية الموضوعية فقد قال الكاتب : إن علم الله بسلوك العبد ومستقبله قبل الحكم على مصيره لا غشاضة فيه ، ولا يستلزم إكراه العبد على فعل ما علم أنه

سيعمله ، كالرجل مثلاً : يستطيع أن يحكم على ابنه بأنه يكون ذا مستقبل عظيم ، أو سيكون فاشلاً ، وذلك من ملاحظة سلوكه وعاداته ومواهبه ، فيجسّن إلى الأول وسجل الآخر - وفي المثل الأعلى : تعلم الله ليس استنباطاً ولكنه علم من صنع الحياة ورسم كل دقيقة وعظيمة فيها قبل خلقها .

### ● تعقيب :

وكان على الكاتب أن يبين الفارق بين كنه علم الله بالمستقبل وعلم البشر بذلك ، حيث ينبغي هذا الفارق عن إدراك قراء اللمحة التي تنشر مقالاته ، فعلم الله انكشاف الموجودات على ما هي عليه ، وهو علم قديم لا يحتاج الحواس .. وعلم العهد حادث وطريقة الحواس .. والاستنباط مما يُتخيل أو يُحس ..

### ■ دائرة القلب :

ذكر الكاتب أنها مجال المحاسبة والمواظدة<sup>(٢)</sup> ، واستشهد بقول الله : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (الأحزاب : ٥) ، ثم قال ما قصد : دإن ما يدور في القلب هو موضوع المحاسبة بالدرجة الأولى ، وليس ما يجري على مسرح العمل . ﴿ يَوْمَ تَكُنِ السَّوَابِقُ ﴾ (الطارف : ٩) ، إن السريرة هي محل الاجتهاد وعمل المحاسبة ، والسريرة هي السر المتجاوز للظروف والمجتمع والبيئة والزنية .. فهي المبادرة للطفلة والابتداء المطلق الذي أحضه الله من كل القيود : إنها روحك ذاتها ، وهي الكاشفة عن حقيقتك بمثل ما تكشف بصمة إصبعك عن غرديتك . وروحك فيها من حرية الله لأنها نعمة منه . ﴿ لَإِنَّا سَوِّفُهُ وَقَعِدْتُ لَهُ مِنْ رُوحِي فَتَعَوَّلُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ولأن فلك من روح الله ومن حرته فأنت محاسب على هذه الحرية .. وهذا سبب العطاء الإلهي ، وسبب العدل أيضاً .

ويعتني هذه الحرية جعل الله من ضمير الإنسان ونبته وسريته منطقة محرمة ، وقلمس أقلام ، لا يدخلها غير أو جبر .. وقطع على نفسه عهداً بأن تكون هذه المنطقة

(١) القرآن : سورة لقهم عسرى للقرآن من ٣٩ - ٢٢ .

(٢) في اللمحة (ليس) يكون أو ، وهذا خطأ .

(٣) القرآن : سورة لقهم عسرى من ٢٢ .



حراماً لا يدخلها جنة ، والمبادرة بالنية حرة تماماً . وقانون الخلق الأول : أن تكون الروح محرراً ، وقدر أقدس أقداس لا يدخلها قهر ، ولا يكرهها إله على شيء . لا هو ولا جنده ولا أنبيأؤه ولا أوليأؤه .

وفي هذا السر الأعظم يقول حديث نبوي شريف عن أبي بكر : لا يفضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بسر وقر في قلبه (١) . ويقول الله عز وجل في قرآنه ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارَؤًا سَكِرَاتٍ مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾ (البقرة : ١٠٩) فعبارة ﴿ مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ﴾ تنفي التدخل الإلهي . ويقول الله تعالى عذاباً للشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَآتِينَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْمَوَدَّينِ ﴾ (التغوير : ٤٢) .

فالشيطان لا يستطيع أن يدخل قلبك إلا إذا فتحت له الباب اختياراً ، وكنت من المفاويز ، ولكنه لا يستطيع أن يفتح عليك قلبك جبراً وقسراً (٢) .

ما يلزم على الكاتب :

١ - قوله : الحساب على مائتي القلب بالدرجة الأولى : قول يمكن أن يؤكده بالحديث : إنما الأحكام بالنيات . ولكن لوله : وليس ما يجرى على مسرح الفعل : على الإطلاق ، كلام غير دقيق ، وإنما يقبل منه أن يقول : وليس كل ما يجرى على مسرح الفعل ، لبعض هذا الذي يجرى على مسرح الأحداث يكون خطأ لم يقصد إليه الفاعل كمن رمى عصفوراً فأصاب إنساناً لقنله .

وحق هذا فيه لون من المزاخمة لما يصاحبه من عدم استكمال الإكراه والحرص على الناس ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً غَطَاً فَخَرُّهُ رَقِيْعًا مُّؤْمِنًا ، وَفِيهِ مُسَلِّمَةٌ إِلَىٰ نَفْسِهِ إِلَّا أَنْ يَضُرَّهَا ﴾ (النساء : ٩٢) . وكمن ينظر إلى امرأة أجنبية فيرى ما يحرم منها دون قصد فالعمل المفروض كأعمال المرائين أو الكفار الذين يقصدون بأعمالهم الطيبة رضاء البشر ، أو الجاه ، أو حسن السمعة ، لا رضاء الله ، فيحبط الرياء أو الكبر أهلهم ، تضاد نياتهم . وقد تكون النية طيبة والعمل مرفوضاً . كالمباذات التي لا تحرم على حبة

ما شرع الله لنا . وإنما فيها ابتداء . كما في الحديث : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رذة » أي باطل . أما أن يترك الأمر على حاله فخطأ . جسم في التغيير ٢ - التمييز بكلمة « قدس أقداس » تقليد للتصاري في مصطلحاتهم وقد فهمنا من التثنية باليهود أو التصاري . ثم جعل الروح هي ( قدس الأقداس ) أو منطقة الضمير الثابت ، قول شديد الضعف وهو انجاء لم يتفق عليه الفلاسفة . هل النفس هي الروح ؟ وهل القلب غيرها أم هل كل من القلب والنفس والروح شيء واحد ؟ أقول .

٣ - وقد استشهد للدلالة على مكان النية بالحديث المروي عن أبي بكر ، وفات الكاتب أن المراد بكلمة « السر » فيه ليس كما يعني ، فقول النبي ﷺ : لا يفضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام ولكن بسر وقر في قلبه معناه بإخلاص استقر في قلبه . وهذا الضمير نظري الحديث الذي رواه الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن جبريل عن الله عز وجل وقد سأله عن الإخلاص ما هو فقال سبحانه وتعالى في حديثه القدسي « الإخلاص سر من أسرار استودعته قلب من أحبته من عبادي » . يعني أن نصيف شيئاً إلى ما قاله .

● لماذا كانت النية مناط الجواز ؟

إن النية محلها القلب ، والقلب بعيد عن تأثير القوى الخارجية ولذا قالها : فهو موضع الاصرار والعمد الذي به تكون المزاخمة - فهو كما قيل : لا يحفل العدل المطلق على ارتباط الحساب بالنية ، وهذا قيل ، إنما الأحوال بالنيات .

ويراد بالنية صدق التوجه إلى الله بالعمل وإخلاصه له سبحانه . وإذا حدث هذا كان العمل بالناية أقصى الجهد البشري من الكمال ، لأنه يقصد به انرضاء الله ، كما أنه بالنية يتجسم المرء من الكفر والشيطان إذ أنه سرعان ما يقف إلى الله إذا خرج من تحت قهر الظلم وتأثير الشيطان .

إن اعتماد ربط الأعمال بالنيات يعني رجعة المرء إلى ربه عند كل نية ، بل ذكره فيتأحد من القنور ، وعن التجسس من الشهوات والسيئات . وعن التقصير في العمل

(١) نفس للربيع ص ٣٤ .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصري : ص ٣٤ .

(١) يقال : إنه ضيف .

الذي يعمل... فهذا الاعتقاد لربط الأعمال بالنيات آجراس تنقح حتى على غير العمل... أحسن المأوية التي يتركها الشيطان إليها.

■ لماذا لا تكون النية مقدرة من الله؟

عرض الكاتب هذا السؤال وأجاب ■ بما ذكرناه قبل هذا السؤال مباشرة ، ويقول الله ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادْهُمْ هُدًى ﴾ (محمد : ١٧) وقوله : ﴿ غَاثِرُونَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف : ١٤٦) ، فيسبب لاعتقاد القلب أو تمرد كانت الهداية أو الإغواء<sup>(١)</sup>.

التعقيب :

والظاهر أن الإجابة غير وافية... إذ الآياتان يظهران لنا أن الاحتداد ، وهو سلوك عمل مستقيم ، والتكبر في الأرض بغير الحق ، وهو بطر النصرة ، وهو كذلك سلوك غير سوى ، كلاهما يسلمان إلى نتائجها ، فسلوك المهتدي يؤدي إلى ازدياد الهدى ، وسلوك المستكبر نتيجة الانصراف عن الهدى.

ولكن يفهم من كلام الكاتب أن النية عمل قلبي ، والله قد ذكر أنه ترك للقلب كامل حريته ، ومن ثم كانت مؤامراته البعد ، ولكن بشكل على الكاتب قول الله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأفقال : ٢٤) . وقد أجاب عن هذا بقوله : معنى هذا أن الله يدع القلب حراً ، فتكون لكل إنسان سريرة هو حر فيها ، ولكنه يقيم سلطانه بين المرء وقلبه ، فهو يحول بين المرء وقلبه بالتحكي والإحباط لظلمة ورحمة لئلا أسيء السببات... ولتقدم التسييرات لكل حسب ضميره ونهته ومبادئه : إما لليسرى وإما لليسرى.

وقول الكاتب متناقض ، إذ أن قوله : معنى هذا أن الله يدع القلب حراً ، يناقض قوله : فهو يحول بين المرء وقلبه .

(أ) بالتحكي.

(ب) والإحباط - بتقديم التسييرات لكل حسب ضميره : إما لليسرى وإما لليسرى.

والقول الأخير مقبول إذا قصد ما جرى عليه السير في ضميره ، فلو بالتحكي.

(١) من المرجح من ٢٢.

والإحباط المحلولة بين المرء وتحقيق ما يقصده وبنيته ، وهو ظاهر العبارة... فما قاله حقيقة تؤكدنا نصوص أخرى ، ولكنها ليست بما تحتلها ألفاظ الآية المذكورة . فالاستشهاد بما تفسر الآية بغير معناها... ويغير ما تحتلها... وتقول على الله بما لم يؤده من الآية.

قال القرطبي في تفسيره ما نصه : « فإن هذا النص أنه تعالى لحال جميع اكتساب العباد ، خيرها وشرها » وهذا معنى قوله عليه السلام : ( لا ومقلب القلوب ) وكان قبل الله تعالى ذلك عدلاً فيمن أهله وعذله ، إذ لم يمنهم حقاً وأجب عليه فتزول حقة العدل ، وإنما منحهم ما كان له أن يفضل به عليهم ، لا ما وجب لهم . وهكذا قال السدي : فالقلب بيد الله متى شاء تحال بين العبد وبينه بمرض أو آفة كيلا يعقل .

وقال جاهد : المعنى يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ، وفي الترتيل ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (ق : ٣٧) ، (أي عقل) ثم ذكر الرأي الذي جرى عليه الكاتب بصيغة الرفض فقال :

وقيل يحول بينه وبينه بالموت فلا يمكنه استمراك ما فلت والآية أولاً : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ أَسْفُودٍ فَإِذَا تَوَهَّجَتْ يَتَأْتَى الْغُيُوتُ كَالْغُيُوتِ ﴾ (الأنفال : ٢٤) . وقد روى أن المسلمين يوم بدر عافوا كثرة العدو فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه : بأن يهد لهم بعد الحروف أمناً ، ويبدل مدبرهم من الأمن عوقاً ، مما يدل على أن موضوع المحلولة في دائرة الفكر وداعل القلب - داخل الإنسان وليس خارجه - وفعل : المعنى يقلب الأمور من حال إلى حال ، وهذا جامع .

واختيار الطيرى : أن يكون ذلك إختياراً من الله عز وجل بأنه أمهل لقلوب الجهاد منهم ، ولأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله<sup>(١)</sup>.

ماذا تخبره؟

إن ما اختاره الطيرى من تفسير الآية لا يتفق القول بأن العبد إرادة وكسباً ، وأن الله

■ غير القرطبي من : ٢٨٢٦ ط : السب

إذا شاء إيجاب إرادة العبد أحبطها ثم جزاء على نيته إن خيراً فخير وإن شراً شراً، وهذا يتمشى مع عموم قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ دُونِهِمْ مُخِيطٌ ﴾ (البروج : ٢٠) لولا أن يُقْبَضَ بأحاط الذي اشتق منه الوصف « محبط » غالباً بأن في الإهلاك بكفوله تعالى : ﴿ أَحَاطَتْ بِهِمْ عَطَشَاتُهُمْ ﴾ بينا القمل الثلاث « حائط » في غير الشر ، فالعبد يتحرك تحت سمع الله وبصره وفي قلبك مشيئة التي يمكن أن يقابلها : « كالطول والمشي » وفي العبد (١) .

ومثل هذا ما ذكره القرآن الكريم في المنافقين ﴿ وَكَرُّوا ذُنُوبَهُمْ لِأَخْلَوْا لَهُ عَهْدَ وَلَكِنْ كَذَبَ اللَّهُ أَنْبَاءَهُمْ فَبَطَلَتْهُمْ ، رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا مَعَ الْفَاقِينَ ، كَرَّ عُرْجُوا فِيكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا شَتَالًا وَلَا أَوْصَحُوا عِيَالَكُمْ يَتَرَوْنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَاغُونَ لَهُمْ وَلَهُ عَلَيْهِمْ بِالْغَالِبِينَ ﴾ (التوبة : ٤٦ - ٤٧) .

إنهم لم يفرجوا واعتصموا التقاعد ، وشاء الله هذا لأن في قلوبهم صالح المسلمين ، وفي عكس هذا المآل ما جاء في المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَتَبَّعْتَهُمْ سَبِيلًا ﴾ آخر العنكبوت . ﴿ وَمَا رَغِبَتْ إِلَهُ رَغِبَتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الأنفال : ١٧) .. إذ أرادوا الجهاد ورموا فيه بهم فلهام وولفهم إذ علم في هذا مصلحة المسلمين ، وكل من الطائفتين مجزئ بنيت وحيله ، ولم يستطيع واحد أن يفعل غير ما شاء الله ، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، أي ما تريدون إنقاذ شيء ويمكنكم أن تحققوا مشيئكم إلا إذا كان الله قد شاء أن يتحقق .

فليس مدلول على المشيئة واحداً ، ولكنه من باب المشاكلة .. فشاء الله بمعنى « يريد » . « يشاءون » بمعنى « يخططون » ما يفعلون ، وتكلمون ما يحبون ، وهذه المشاكلة لن بلاهي مثاله كما في كتب البلاغة .

قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طيفه لئلا يفتلط اطبخوا في جبة وفيما لم يأتوا اطبخوا في : يخططوا في ، ولكنه استعار كلمة (اطبخوا) ليشاكل معها فقط « طَبَخَهُ » مع الفارق اللغوي بين روعة المشاكل في الآية وبين القلق والاضطراب في البيت .

(١) الطول : يكسر الخطاء هو الحبل يربط به قدم المذنب ويثبت طرفه الآخر في روضه فوق يد الرعي ، بحيث يسمح للإذابة أن تتحرك للرعي في دائرة محدودة بطوله الحبل .

## حرية الاعتقاد :

ومن يدعي ما قاله الكاتب في حرية الاعتقاد قوله : إن إبليس اختار لنفسه الكبرياء فاعطاه الله ليصنع البتات التي تبعده من رحمته وفاقا لمعصيته وقوله في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ تَشَأْ تَزُولَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْقَابُهُمْ لَهَا كَاحِبِينَ ﴾ (الشعراء : ٤) . فهو لم يشأ أن يفهروا على إيمان ، لتظل أحراراً في اختيار عقيدتنا ﴿ قَمَنَ شَاءَ قَلْبُهُمْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِّرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

وقد ذكر الله الملاحاة بين إرادة العبد وسلوكه وبين إرادة الله ورحمته أو عذابه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي عَاقِبَتَهُمْ حَتَّى يَصُوبُوا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .



## الفصل الخامس

### لغز آدم وجواء

- نظرية داروين - كيف يتم التكيف مع البيئة ؟
- القرآن ونشأة العالم : أيفرق بين كلام الله والقرآن ؟
- في الآيات الكونية : في السماء - في الأرض .
- نظرية التطور وأطوار آدم .
- كروية الأرض والتطبيب .
- آدم بين المال والواقع - الأكل من الشجرة أهر رمزي ؟
- جنة آدم المصوبة .
- غسر المبرط من الجنة - الرجوع إلى الحق .
- السموات السبع .
- حقيقة موسى .
- ما الفرق بين الكتاب والباطنية ؟
- الحان وعطية آدم .

## أهي قصة الخلق أم لغز آدم وحواء ؟ \*

### ■ نظرية داروين :

رحل داروين على الباخرة « بيجل » ليجمع عينات من البر والبحر في أنحاء شتى من العالم ، ومقارنتها ببعضها وجد أن جميع الأنواع تربط بينها روابط متشابهة ، فالجهاز العصبي الذي يتكون من مخ وجبل شوكة وأعصاب حس في الإنسان هو الموجود في كل الحيوانات والطيور والحشرات ، وهكذا الجهاز العضلي بمضلاته وعظامه ، والجهاز التناسلي بالخصية والمبيض وقنواتها والرحم في كل حيوان ، وفقرات الرقبة المسبح في الإنسان كغيره من الحيوان ، حتى الزرافة مع طول عنقها ، ولكن تشكل هذه الأجهزة والأعضاء مع المنطقة التي نمش فيها تشكلات لحسية في البر أو البحر ، في المناطق الباردة أو الاستوائية .

ولاحظ أن الجنين يمر في الرحم بمراحل ثلاث :

(أ) يكون لولا أكل عينة سمكة ذات خياشيم .

(ب) ثم ينمو له ذبل بطسر بعد ذلك هو ما نسميه « عجب الدب » .

(ج) ثم يتغذى الجسم بالشعر الذي يأخذ في الانحسار عن جسم الجنين شيئاً فشيئاً

فلا يبقى منه إلا ■ ■ ■ يغطي الرأس .

### ● كيف يتم التكيف مع البيئة :

قال داروين : يتكيف الإنسان أو الحيوان بموافقة ذاتية تنبع من داخله وصراح يكون معه البقاء للأصلح .

وتعد انتقد الكاتب « داروين » في فكرة الخافز الدافئ الداخلي - أو التطور الطبيعي - دون يد تشكل التطوير من الخارج لاثلاً : إذا كان الخافز من الداخل طمعاً في

\* القرآن : سورة لقهم عصرى للقرآن من ١٦ - ١٧ بعنوان قصة الخلق .

التوصل إلى الأقوى على الحياة . فلماذا يخرج من عائلة الخارشيء كالحصان مع أن الجمار أكثر جلدًا واحتمالاً؟ وبأي حواجز يتطور من عائلة الوعل شيء كالغزال وهو أرفع وأضعف وأقل جلدًا من الوعل . وبمثل القراش المكون الرقيق لينة وأضعف قدرة من الزبود الطنان الغليظ الشكل ... فتشبه هذه الأنواع لا يمكن أن يفسره قانون بقاء الأصلح ، وإنما قانون آخر هو بقاء الأَجْمَل .. وأجمل في عين من ؟

قال المادهون : أجمل في عين الأثني حين تختار الذكر ، وبالنسبة للأثني فقياس الجمال عين الذكر . وأجاب الدكتور بأنه لماذا يختار الذكر الأثني الأَجْمَل ؟

إن القضية مازالت تطرح نفسها ، إن الجناح المتقوس ليس أفضل للطيران من الجناح السادة ، لا توجد مصلحة مادية هنا . وإنما هنا قيمة جمالية تفرض نفسها على جميع الحواجز .. هنا (خلق بديع السموات والأرض) الذي يحمل مخلوقاته ، تلمس آثاره في ورق الشجر وألوان الزهر وأجنحة القراش وريش الطواويس ..

كما نقف مذهولين أمام بعض الأشجار الصحراوية ، إذ نجد أن الطبيعة خصتها بدور محنة لتطور حلقة تقطع أسيال الصحاري الجرد لتجد فرصتها الخفية في الماء ، وتعامل بيض البعوض فتكشف أنه يملك أكياساً حوائية للطفول ليوم في الماء ولا يفرق . كل هذا لا يفسره إلا (عقل كل يفكر ويمتدس مخلوقاته) ، فلا أشجار الصحاري تعقل لتزود بدورها بأجنحة ، ولا البعوض يعرف قوانين أوشيدس في الطفو ليزود بيضه بوسيلة للزوم<sup>(١)</sup> .

لتعليق :

والإجابة لاشك جيدة لولا فساد العبارة في جنب الله ، فإن تمويه (عقل) ووصف الله بأنه (الفنان) وأنه (يفكر ويمتدس) وغير ذلك من الصفات التي هي للبشر ، من شأنه أن يرهب في أذهان القراء والبسطاء صورة مجسمة لله ، أو على الأقل يضع أمام النواحي تصورات لله يشركه فيها البشر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد حرم الله استعمال هذا الأسلوب فقال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْبَيْنَ ۚ يَدْعُونَ فِيْ أَسْمَائِهِ ۖ سُبْحَٰنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup>﴾ .

(١) القرآن محاولة لنهم عصري للقرآن من ٤٢ - ٤٧ .

(٢) الاعراف ١٨٠ .

وهذه الأسماء الحسنى معروفة ورد النص بها في القرآن والسنة ، وفي الحديث (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) . رواه البخاري ومسلم - ٥ / ١٧ - .  
وأحمد وابن حبان . وقد حكى الإمام الأصفهاني في «خاظر الخرومي عن دارون أنه قال : إني أرى أن الأحياء التي عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أولية ، تنفع إنشائها فيها نسمة الحياة .

وفي كتاب «الدين والعلم»<sup>(٢)</sup> نقل عن أحد العلماء الأمريكيين في كتاب الله باسم «سر التطور البشري» «الإنشآت نظرية التطور» ومع هذا فقد جاء فيه : «حين يقرر المرء أن تطور الإنسان من غير استمداد من قوة معنوية ، وتقدمه في الطريق المرسوم للرفق من الحيوانية إلى الإنسانية ، شيء مستحيل ، فمثل هذه الاستحالة كما يستحيل أن يقال أنه في مطبعة ما ، قد جمع كتاب عن تمثيلات شكسبير بالقاء صناديق حروف الطبع على الأرض فإذا بها تتكون منها كلمات وسطور وصلحات القليلة .. انفلا ومصادقة من غير أن يكون وراءها قوة أحدثت ذلك الترتيب .

وليس من شك في أن التطور أوجد الإنسان لا من المصادفات البهجة بل هو تطور كانت فيه من أوله إلى آخره يد الله القادر المتعال .

وقد نشرت الأهرام في ١٩٧٦/١١/٨ تحت عنوان «كشفت حمزة (٢٠٥) مليون سنة» «ببر نظرية دارون عن التطور» ما نصه : تم اكتشاف بقايا عظام جمجمة إنسان مع عظام بشرية . وهذا يدل على أن المخلوق الإنساني للتصيب في السابقين لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه القرد .

وفي الأخبار (مارس ١٩٧٣) نقل عن مجلة الإيكونوميست البريطانية في ١٠ مارس ١٩٧٣ : إن المجلس التعليمي في ولاية كاليفورنيا قرر أن تشرح جميع الكتب الدراسية الخاصة بالعلوم إلى أن نظرية الارتقاء الداروينية نظرية افتراضية وليست حقيقة علمية . وأنه ما قبل عن أصول الحياة لا يعود على أحسن تقدير أن يكون مجرد افتراض ذكي .

نحو ثلاث المجلة : وهذا انتصار للعظماء الذين قاوموا النظرية سنة ٦٣ .

(٢) حوث ناش : الدين والعلم ص ٢٠٨ .

## القرآن ونشأة العالم

● تعرض الكتاب لعدة نقاط : موجزها لأكيده أن في القرآن مالا يفهم - وأنه يشير إلى النظريات العلمية السائدة في تفسير الآيات الكونية كالمادة الأولى للكون ، وتفسير ظاهرة الليل والنهار ، ونظرية دورة الشمس والقمر ، والحركة الداخلية للجهاد كالجبال ، وأن آدم هو طور خلقت قبله ، وأن شجرة الخيطت التي أكلها آدم هي الجنس ، وأنه يقر بتفسير الملاحدة لظاهرة الوحي .. وستناول فيما يلي هذه النقاط .

### ١ - ألقوا بين كلام الله والقرآن ؟

قال الكاتب : والقرآن حينما نزل يشير إلى مسائل علمية لا يرضها كما يرضها إنعتين بالمعادلات ، وإنما يقدمها بالإشارة والرمز والجاز والاستعارة واللمحة الخاطفة والعبارة التي توهم في العقل كبريى خاطف ، إنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها ، ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلا . ﴿ مَثَرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفْقَانِ وَالْجُودِ حَتَّى يَسْمُرَ لَهُمْ قُوَّةَ الْحَقِّ ﴾ ( فصلت : ٥٣ ) ، والله يقول عن كلامه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ( آل عمران : ٧ ) . ويقول عن القرآن ﴿ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا خَلْقًا نَبَاتًا ﴾ ( القيامة : ١٩ ) . أى أنه سوف يشرحه ويبيته في مستقبل الأعصر والدعور .<sup>(١)</sup>

## نقد الكاتب

### (أ) حل في القرآن مالا يفهم ؟

قد دعوى الكاتب أن القرآن يأتي بكلمة ( قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها ) : قول غير سليم . وكيف هذا والله يقول في وضوح : ﴿ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ( القمر : ١٧ ) ويقول آتيا أن لتدبر القرآن وموجعا من لم يتدبره ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانِ أَمْ عَلَى قُلُوبِ الْغَالِيَةِ ﴾ ( الفال : ٢٤ ) والله لا يكلفنا المستحيل حتى يأمرنا بفهم مالا يمكن فهمه ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْقًا ﴾ ( البقرة : آخر آية ) . ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ( المائدة : ٦ ) . ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الشَّيْءِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ( آخر الحج ) .

والقرآن كما قال الرسول : « مائدة الله فاقبلوا مآذنه ما استطعتم » رواء الحاكم عن ابن مسعود ، وليس إثباتها مجرد التلاوة وإنما المراد ما ينجم عنها من فهم وسلوك .. ومحال أن نُدعى إلى مالا غالبة منه .. ولها كان القرآن جميعه واضحا سهل المثال من طالبه . وقد جاء بلسان عربي مبين ، وعلى نبح يفهم منه الجميع ما يفهمهم .

وقد فهم آية في عصر فلها مفهبا ، ثم يأتي في عصر آخر من يفهمها فيها نافعا كذلك ، والنقط يوحى بما ينفع الناس في كل زمان ومكان . وكل إنسان على حق فيها فهمه ، لأن اللفظ مادام يحمل المعنى ويمشى في إطار الشريعة المشرقة فإن المعنى المستنبط منه يكون سليبا وصحيحا مادامت القرائن تدل عليه . وهذه ميزة للقرآن الكريم عما عداه .. أن تحضر الحكمة منه دائما .. منها تنوعت حليلات الحكماء من رواده .

( ب ) لقد لوحنت عبارة الكاتب أن ثمة قارفا بين القرآن وبين كلام الله ، فكلام الله لا يعلم تأويله ، والقرآن تكفل الله ببيانه فقال :  
والله يقول عن كلامه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ( آل عمران : ٧ ) ويقول عن القرآن ﴿ لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا خَلْقًا نَبَاتًا ﴾ ( القيامة : ١٩ ) .

فإن كان كذلك فقد أخطأ ؛ لأن قوله .. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ جاءت في سياق الحديث عن القرآن الكريم ؛ وهي الآية السابعة من سورة آل عمران ، ونصها : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَبِغْيَةِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، فالذي لا يعلم تأويله إلا الله هو المتشابه من القرآن ، وقد بين الله ما علينا نحوه فقال : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَ بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ( آل عمران : ٧ ) .

## ٢ - في الآيات الكونية :

### في السماء :

( أ ) قال الكاتب<sup>(١)</sup> : في البدء كان شيء كالدخان جاء منه الكون بنجومه وشمسه ، وذلك قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَسْمَوْنِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ( فصلت : ١ ) . بشير الكاتب إلى نظرية السديم التي تدع إلى أن المسافات والأرض كانتا شيئاً واحداً ، ولد أثبت العلم بطلانها ، للكل عطفه المستل .

( ب ) وفي تفسير ظاهرة الليل والنهار قال الله تعالى : ﴿ يَكُونُ الظُّلُمُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ ( الزمر : ٥ ) وهي تشير إلى أن الأرض والنهار كنصفي الكرة يترقى الواحد على الآخر بفعل دوران هذه الكرة المستمر<sup>(٢)</sup> .

( جـ ) وفي هيئة القمر<sup>(٣)</sup> قال تعالى : ﴿ زَالِقَتِ الْقُرُونُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ يس : والمرجون هو فرع النخل القديم اليابس لا خضرة فيه ولا ماء ، ولا حياة ، وهو تشبيه حرق القمر الذي لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة .. وذكر القرآن دورة الشمس والقمر في غلبيها فقال ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ( يس : ٤٠ ) .

### مسافات الكواكب :

ذكرها القرآن الكريم فقال : ﴿ وَالسَّمَاءَ فَاتَتْ الْغُبُورُ ﴾ ( الذاريات : ٧ ) والحبك هي المسافات<sup>(٤)</sup> .

### في الأرض :

#### ( أ ) الحركة الداعية للحياد :

قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ كَمُزْمَرٍ مِّنَ السَّجَابِ ﴾ ( الملئ : ٨٨ ) وتشبيه الجبل بسحابة هو تشبيه يقترح على الذهن فكوباً ذروباً فضفاضا مغلغلاً ، وهو ما عليه الجبل بالفعل ، فـ الأشكال الجامدة إلا وهم ، وكل شيء يتألف من ذرات<sup>(٥)</sup> .

#### ( ب ) المياه الجوفية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ أَرْسَلْنَا قُدْرًا مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ ﴾ وهو بذلك يشرح دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض إلى جوفها ، إلى خزانات جوفية ثم إلى نافذات ويتابع نموه إلى سطح الأرض من جديد<sup>(٦)</sup> .

#### ( جـ ) خلق الإنسان والمواب :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ مَّاءٍ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ ( الأنبياء : ٣٠ ) وقال : ﴿ وَرَأَى اللَّهَ يَخْلُقُ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾ ( النور : ٤٥ ) وقال ﴿ أَكْفَرْتُم بِالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ؟ ﴾ ( الكهف : ٣٧ ) ثم قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ خَلْقٍ مَسْنُونٍ ﴾ ( الحجر : ٢٨ ) فالآيات تبين أن الله خلق الحياة من ماء وتراب ، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، وهو الطين المثلث المفسر المختلط بالتراب ، وهو ما اكتشفه العلم بعد ألف وأربعمائة سنة<sup>(٧)</sup> .

(١) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس السابق ص ٥١ .

(٤) نفس المرجع ص ٥١ - ٥٢ .

(١) نفس المرجع ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠ .



■ نظرية التطور وأطوار آدم :

قال الكاتب : وكان خلق آدم في أطوار (وقد خلقكم أطواراً) (نوح : ١٤) -

ومعنى هذا أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلاق جاء هو ذروة لها ..  
 واستدل على هذه الأطوار بالآية التي ذكرها بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَهَذَا صُورَةُكُمْ  
 تَمَّ صُورَتَكُمْ لَمَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ فكلمة ( ثُمَّ ) للتزنيب الزمني ..  
 والزمن بالمعنى الإلهي زمن طويل جداً .. ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا  
 تَعْلَمُونَ ﴾ .. وفي مكان آخر قال : ﴿ تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَرُهُ  
 خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج : ٤) .

(هـ) كروية الأرض :

واستشف الكاتب من قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمَّا لَمِثْلَ نَوْمِكَ لَأَلَّا تَقُولَ لَرَأْسِي ضَحِيصًا كَتَانٌ لَمْ يَلْنِ وَلَا أُمُوسٌ ﴾ (يونس : ٦٤) الاستدلال على كروية الأرض فقال : لا تفسير للآية إلا أن تكون الأرض كروية دوائر نصفها ليل ونصفها نهار - فإذا جاءت المساحة يكونون في ليل وانقصف الآخر في نهار .

● طلب

وهذا غير ما فهمته مدرسة النبوة ، وقد جرى لسان العرب على القول . آتتكم ليلاً أو نهاراً . فلا يهبط منه إلا التوثيق الزمني الذي لا يتعلق بكروية الأرض الدوارة<sup>١٦٦</sup> واستباط كروية الأرض تفسير ضيق الهدف من الآية ويذهب بالغلابة منها وهو الضمير بولت الساعة . ليستغرق الجذر منها كل وقت الحياة من ليل أو نهار ، وما ذكره الكاتب عن الأرض والسماء لا نسلمه له . بل إنه مما يعاب على الكاتب شدة نهايته على أحدث المعارف ومحاولة إلصاقها بالقرآن .

وخطاً لهذا المسلك يبدو على سبيل المثال فيما قرره من أن القمر خراب بائس ، لا  
خضرة فيه ولا ماء ولا حياة ، كفرع النخل القديم اليابس ، بين أذاع علماء الموقبت  
- عقب ما نشره الكتاب من نفسه بشهرين - أن الصور التي التقطها مركبة الفضاء  
السوفيتية «لونا» عن القمر ترجم معالم عمران وآثار حياة قومه .

أما دعواه أن آدم طور خلاق جاء في أعلى ذروة لها ، واستشهاده بما ذكره من آيات فباطل :

أولاً : لأن قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ أَنْفُسًا ﴾ إنما هو في خطاب الناس جميعاً ، والتعبير ضمير الجمع في « خَلَقَكُمْ » يدل على أن موضوعه ليس هو « آدم » ولكن هو « بنو آدم » وهذه الأطوار شرحها القرآن وشرحها السنة .

عَنِ الْقُرْآنِ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَلَقًا مَلَكُوتًا فَجَعَلْنَاهُ نَفْسًا • ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون : ١٢ - ١٤) ، فهي أطوار الخلقة كما لال السهولي في تفسيره كما هي أطوار الضعف والقرّة والشيوخوخة في الآية الأخرى ﴿ اللَّهُ أَلَدَى خَلْقِكُمْ مِنْ هُنَّ خَلْقًا ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ هُنَّ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ هُنَّ خَلْقًا وَشَيْئًا • يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْغَفِيرُ ﴾ (الروم : ٥٤) ، وكل هذه أطوار في خلق الإنسان .

وفد جمعت بين النوعين من الأطوار تلك الآية الكريمة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَظْمَةٍ لَمْ يَحْرِجْكُمْ بِطَلًا ، ثُمَّ وَثَبُوا أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ بَعَثْنَا سُلُوكًا ، وَنَحْنُ مِنْ بَعْدِ مِنْ قَبْلُ ، وَثَبَلُوا أَنْفَالًا مُسَمًّى ، وَلَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (خاطر : ٦٧) ، وطور التراب هنا يشير إلى المصدر الأول للغذاء الذي تتكون منه الحلابا كما ينطق الله منه النطفة والدم .

ومن الأطوار التي خصها القرآن بالذكر أطوار المراء في الرحم ، قال الله سبحانه : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ عِشْقًا مِنْ بَعْدِ عِشْقٍ ، فِي ظِلَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ ، فهذا - كما هو نصير الكتاب - قد كشف لنا الخلق داخل الرحم ، فبصفه بأنه يتم على أطوار ، ﴿ عِشْقًا مِنْ بَعْدِ عِشْقٍ ﴾ وأنه يجري داخل ظلمات ثلاث ، هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الغلاف « الأمنيوس » ، كل غرفة منها داخل الأخرى ، والجنين في ظليها ، وهي حقائق تشريحية لم يكن يعطسها أحد <sup>(1)</sup> وقد أكلسها العلم الحديث .

وقد وهم الكتاب في دعواه جهل العرب بأطوار الجنين جهلاً مطلقاً ، فقد تناول

(١٦) القرآن : محاولة لنهيم عصري للقرآن ص ٩٤٦ .

(٦) القرآن والتفسير لمصري ابنت الشاطبيء : ص ٩٢ ط أول .

وأنه يحكمها ولا تتحكم في أعماله ، ذلك البقين والتصور الذي بنى من قوله ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، وفي تعبده عن خلق السماوات في يومين ، وخلق الأرض في يومين ، وخلق جميع الأكوان الأرضية موزعة من لوجيات تحت الثرى في يومين ، ما يدل على سرعة الإنجاز للأمر العظيم الذي يأخذ دهوراً مجرد تصميمه فثباتاً فضلاً عن إخراجهم إلى حيز التنفيذ - بيان للقدرة .

بينما يبرز هذه الصورة الإيمانية لقهر الله وقدرته أن يجعلها محدودة ومقيدة بالسنة الكونية والتكوينية الجيولوجية التي لا تحدث في لحظة (بين الكلاف والتون) كما قال المؤمنون ، بل تحدث طبقا للمتغيرات الطبيعية للأشياء التي تتحول إلى أطوار متعددة طولها بعد طور في مرحلة زمنية بعد الطبيعة.

إن ظاهر النص القرآني يؤدي دوراً تربوياً في بناء عقيدة المسلم في قدرة الله وإن احتمالات العنمية في خلق السماوات والأرض وسنن الله الكونية فيها تؤدي دوراً تربوياً آخر في بناء عقيدة المسلم في حكمة الله وإبداع تديره سبحانه .

ومن هنا كان من الخطأ تزييها - كما أنه من الخطأ عقابها بما كما أنه من الخطأ تفسيرها  
مذهب بوكاي ومصطفى محمود وأما المذهب المفسر الكتاب للأطوار بالآزمان الجيولوجية لا  
دليل عليه ، فإن اليوم الذي وصفه الله بأنه كخمسين ألف سنة . إنما هو يوم القيامة . .  
يوم العذاب ، كما هو السياق للآيات : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ  
ذَلِيلٌ ، بَيْنَ يَدَيْهِ الْعَاقِبَةُ ، فَخَرَجَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ  
أَلْفَ سَنَةٍ فَأَصْبَحَ شَرًّا جَمِيعًا . إِيَّاهُمْ يَرْجُوهُ يَوْمَئِذٍ وَزَكَرُوا بِهِمْ . . يَوْمَ تُكُونُ السَّمَاءُ  
كَالْمُهْلِ ، وَتُكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِزِيقِ وَلَا يُنَالُ حِمِيمٌ حَمِيمًا . . ﴾ .

فكلمة (إنهم يرونه) أي اليوم الذي (مقداره خمسون ألف سنة) وهو من أيام العذاب .. ومن أيام الآخرة ، سواء كان الطول على الحقيقة ، أو الطول كتابة من شدة العذاب الذي لا يخلص منه .

والسلام بظاهر المعنى والبعد عن المجاز : هو مذهب السلف وجهابهم المسلمين ، وإياه لم يمنع من حمله على المعنى المجازى مانع .. فإنه هو اليوم الذى ذكر الله أنه أُلْفَ سِتة في قوله سبحانه : ﴿ يُذَكِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَخْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفٌ سِتَّةٌ مِائًا تَعْلُونَ ﴾ ( السجدة : ٥ ) . يعنى أن الله العبد لكل ما فى الحياة فإذا أنهاها كان الحساب فى يوم عَصِيب يطول على العصاة فهو كَأَلْفِ سِتة مما تطولون .

أرسطو وحكام العرب في الجاهلية ذلك ، وتقل ابن سيدة في التخصيص عن العرب أنفسهم سيما خاصة لكل حال من أحوال الجنين ، وكل مرحلة ووضع ، فالقرآن غناهم بما يجهلون .

وتحسّر الكاتب للأطول بالأزمان الجيولوجية إنما يتابع فيه المشرقين وعلماء الغرب  
عموماً - وعن قالوا بتضيق الأيام بمعنى المرحلة الجيولوجية المستشرق الفرنسي بوكاي في  
كتاب تناول فيه نظريات العلوم والفلك عند آخر نقطة وصل إليها العلم .. ورددنا إلى  
القرآن باعتباره مفتاحاً لكل هذه المكتشفات العلمية.

والواقع أن تفسير مصطلح محمود لأطوار جيولوجية الإنسان يناقض القرآن كما بيناه ، أما تفسير بوكاي فيقول : خلق الله الأرض في مرحلتين جيولوجيتين .. والنساء كذلك ، واعتبر الإنسان في طور رابع من مراحل ستة لخلق السماوات والأرض وما فيها من حيوان ونبات وغازات ومعادن فهو استلهم للآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت التي تضمنت خلق السماوات في يومين - وخلق الأرض والسماوات وما في الأرض في ستة أيام .. ثم خلق الأرض وأقواتها في أربعة أيام - وإذا فهم من الآية يؤمن لخلق الأرض في يومين لخلق أقوات الأرض ومن عليها .. وهو قوله سبحانه **هو قال إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ويحسبون له أنباء ذلك رب العالمين** .. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها فلأتيا أتيا طائعين . ففصل بين سبع سموات في يومين .. وأوحى في كل سماة أمرها ، ولربنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا **ذلك العزيز العليم** .

واكتفى بركاى بقوله : ظهر الإنسان في المرحلة الرابعة .. ولم يقل بأنه مشطور عن سابق .. ولكن السؤال الذي نعرضه إذا كان الله قد قال : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ كما أنه سبحانه في حياته قبل الزمان والأيام .. سواء الأيام الشمسية أو القمرية أو الأزمته الفيزيائية الجيولوجية وهذا يقتضي أنه منفرد في وجوده وحياته وأفعاله بما ليس كمثله شيء .. وكل هذه الأزمته هي للأكوان وليس الله كمثلها . ولذا أقول للمقول وللقبول أن يترك تفسير الأيام لصاحب هذه الأيام علام الغيوب .. ونضع نحن هذه الدراسات العلمية للتكوينات الجيولوجية .. بدلاً من أن نربط تصورات الزمنين والباحثين عن الإيمان بتصوير يشجب اليقين بقهر الله للسنن الكونية

وقال بعض أديباء العلم : إن كلمة ﴿يَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى أن الألف سنة هي ستين ضوئية تجلبد المسافة بين الأرض وأقصى نقطة في عالم السماوات . وغلب عن القائل أن الله ليس في جهة . ولا يشغل حيزاً حتى يجعل خروج الأعمال إليه على الحقيقة . وعروج ماتم في الحياة من تدبيرها وعرضه على الله ... وتدبير الله يتناول ما خلقه وما يسر الناس لعمله من خير أو شر . وكل من التفسيرين مقبول ... ولكل مسلم أن يختار ما تظن أن إليه نفسه .. دون أن يقع في التجسيم - أي نسبة الله إلى جهة ، ووصفه بشغل حيز من الفراغ أو الانحياز في جهة .

وقد وقع في سحر نظرية التطور كثيرون قالوا ما قاله الكاتب في تفسير خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، بل هي نظرية أفلاطون فيها أملاطون ، وذكرها العرب في صور شتى في تفسير القرآن بما ليس حصرياً ، وإنما هو يوناني وثني ، ونسب النزاع في بطلان أن آدم كان طورا خلقياً لأحد المخلوقات كالقرد أو غيره وله سبحانه : ﴿وَاللَّهُ أَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعل نسله من سلالته من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم الشج والابصار والأنف والأفئدة قلباً ما تشكرون . (السجدة: ٧ - ٩) .

فهو يقرر أنه خلق قبل آدم خلقاً أحسنه ثم بعد ذلك خلق آدم من طين ، ثم جعل نسله من سلالته من ماء مهين ، ثم بعد خلق آدم من الطين نفخ فيه الروح ، وجعل له السمع والبصر ، هذا فضلاً عن أن نظرية التطور رفضها جمهرة كبيرة من أهل العلم فقالوا : إن كل نوع له أصل خلقته واحترف دارون نفسه بأنه لم يستطع أن يعرف سر الحياة ، وأنه كلما تعمق في بحوثه هذه أدرك أن أصل الحياة هو الله تبارك وتعالى (١) .

ونظرية التطور تفتقر الارتقاء إلى الأعلى والأصلح . وآخرون قالوا : إلى الأجل ، والشيء لا يسنى حسناً إلا إذا تضمن الملاج والجمال المنعنين عن التطور . ولهذا فإن أي دعوى للتطور من أجل التحسن باطلة بعد أن قال الله عما خلقه قبل آدم ﴿وَأَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ، وبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿ وهذا الطين لا شك أنه ليس أحد المخلوقات النامية .. ثم إن الله ذكر نفخ الروح في يده على أنها بعد خلق

الإنسان ، حيث إنه يلفظ « ثُمَّ » فقال على الترتيب الزمني ، ومعنى هذا أن المخلوقات التي سبقتها - وهي ذات أرواح كالقردة - لا يمكن أن يكون التطور منها والمنشعب عنها هو الإنسان الذي كان من طين ، وبلا روح .

### ■ آدم بين المال والواقع :

قال الكاتب ما نصه : إن الآية - ١١ من سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ بَقَاً لِّلْمَلَكَةِ اسْجَنُوا لَادَمَ : فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ . نحدد أن خلق الإنسان ثم حل مراحل زمنية ، ثم خلص إلى أن آدم جاء عبر مراحل من التخيل والتصوير والنسوية استغرقت ملايين السنين ، بزماننا وأيامنا بزمان الله الأبدى (٢) .

ثم قال في قوله تعالى ﴿الَّذِي أَخْلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (أي إله هدى سورة الشطور حتى بلغت ذروتها في آدم ص ٥٣) .

ثم عال ابتداء آدم من الماء والطين على مراحل تطورية في الأرض بأنه كان ودة واحتكاساً وحقاباً لخطية آدم الذي خلقه في البدء - في أحسن تقويم - وخلق له من نفسه زوجة ، وأنسكه كوكب الجنة . ثم وقع تحت إغراء إبليس فأكل من الشجرة ، وكان العقاب هو الطرد والإجهاط إلى الأرض والنزول إلى التيه المادي - طين المستنقعات - هذه المرة إلى جرثومة في طين الأرض إلى نقطة بدء أولى من الصفر .

قادم الذي حبط إلى الأرض - كما يصرح الكاتب - ليس إلا جرثومة من طين الأرض انبثقت في تدرج - عبر خمسة آلاف مليون سنة - كما تقول علوم البيولوجية ، وعبر مراحل وأملوار بدأت باطنية الأول « الأسيا » ، ثمعداً إلى الإسفينج والزعويات والقشريات في رحلة قاسية ، وعبر صراعات حامية مع يرثات متعددة تكافح لها الحياة ، وأتت بالله آدم على توبته بأن هداه في رحلته الدامية وأخذ بيده خارجاً بها من رحم الأرض ومن طين المستنقعات حتى وقف مبتصفاً على قدميه ، محاكياً آدم الأول ، آدم الصورة والمثال الذي خلقه في الماكوت ، ولكنه في هذه المرة آدم جديد . ص ٥٧ ، ٥٩ من الكتاب .

(١) الإمام حسن البنا في محاضراته بدروس الثلاثاء ١٢/١٢ سنة ١٣٦٠ هـ . ١٩٤٠/١٢/٣٠ م .

(٢) الفرقان : علوة لعمم حصري القرآن ص : ٥٢ .

وسياق آيات البقرة من الآية ٣٠ إلى ٣٨ ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَالَمِينَ﴾ في سياق الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفتد فيها ويسلك للسماء ونحن نسمع بحميتك ونفقد لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوا بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تكونون وما كنتم تكفون . ﴿

﴿وَأَذِّنْ لِلْعَالَمِينَ﴾ استجروا لآدم ، فاستجروا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجتهما مما كانتا فيه وقُلْنَا : اضبطوا ، بهنكم يفتن عنو ، ولكم في الأرض مستر ومتاع إلى حين . ﴿فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَاقْبَلْ عَلَيْهٖ ، إِنَّهُ هُوَ الْقَرِيبُ الرَّحِيمُ﴾ . ﴿

﴿إِنَّكَ اضْطَرُّوا مِنْهَا جُنْحًا وَإِنَّا بِأَيْدِيكُمْ فِي هَدًى . لَقَدْ نَعَى هَذَانِ فَلَا عَرَفَ عَلَيْهِمَا وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . ﴿

هذا السياق يدل على أن آدم المملوك هو بعينه وخفيه ودمه وروحه - آدم الأرض - وكيف غاب عن الكاتب قوله تعالى : ﴿الْأَنْزِلُ وَالرِّدَّةُ يَنْزِلُ غَمْرِي﴾ ؟ (النجم : ٣٨) . ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (الذثر : ٣٨) .

فتواب الله و لآدم الأرض وكيف يتم مكافأة على توبة آدم آخر ، هو الذي كان في المملوك وعالم المال ؟ هذا مالا يتصوره العقل وقانون العدل .

### ■ الأكل من الشجر طاهر ومزي ؟

قال تعالى : ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف : ١٩) .

وقال الكاتب :

هاتين أولاء أمام مخلوق وهبه الله طبيعة مزدوجة فهو روح مضطحة على المملوك ، يستطيع أن يعيش هو وزوجه منة الروح .. وزواج الروح ، فيكون له المخلوق بدون

حاجة إلى نسل . وهو في الوقت ذاته جسد يمكنه أن يختار منة الجسد وزواج الجسد ، فيتجدد في شجرة النسل مثل أسلافه من الحيوانات (وهذه هي الشجرة) .

تعقيب :

وقد أثبتنا عدم صحة نظرية التطور .. ومن ثم قدعوا أن الشجرة هي شجرة النسل مثل أسلافه من الحيوانات دعوى باطلة ، إن أراد بكلمة أسلافه أصوله .. أما إن أراد بالأسلاف مجرد من سبقوه من خلق الله من ليس هو طوراً لهم .. فذلك موضوع له حديث آخر ، ونخلصه أن الشجرة هي شجرة معينة لآدم وقوله سبحانه : ﴿لَا تَقْرَبُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فيه بيان لشيء واحد من أشياء متعددة ، وهذا يدل على قصد من خصوص النهي ، وقد أثبت العلم أن من الأطعمة والأدوية ماله تأثير على سبوط الشر فلا غرابة في أن يكون النهي من الله من هذه الشجرة لحكمة تتعلق أيضاً بسلامة البدن ، إلى جانب الحكم التربوية الأخرى ، وفي هذا النهي دعوة إلى ما يؤدي إلى تكريم آدم بالمخاطب على سترته التي تسقط بالأكل من هذه الشجرة ذات الخواص المؤذية ، وفي سترته جلال واحترام ومهابة وصون لاداه ، ولهذا لا عجب إذا ■ إن الطعام هو طعام على الحقيقة ، والأكل هو الأكل الذي لمرقه . وقد كان آدم مثلاً رجلاً له زوجته .. بأكلان من مختلف الأطعمة الحلال حتى وقعا في تناول ما حرم الله فكان جزاؤهما الخروج من الجنة إلى شقاء الأرض بعد أن عرفا كيف يسلط الصالحون . وعاقبة الصلاح والطاعة ، ليكون منها وفيهم يورثانها خصائصها البشرية . حين لا شعوري إلى هذه الجنة .. ظفرو يورث بنه كل نفس - بما ذاقته من تجارب والطباعات وعادات - فيها يشبه الخلاصة والبلور وتصلها الجينات ..

إن الله لم يترك آدم في الجنة للمنة الروحية فقط لكنه منح جسده المنعة التي يحتاجها ، فأذن له أن يأكل وزوجه من الجنة رَغَدًا حيث شاءا - إلا شجرة واحدة عيَّنهما لها ليعودهما كيف يجاع النفس والسيطرة عليها ، والفرس بطاعة الله والتزام أوامره لأنها أوامره ، مع غرض النظر عن حكمة التشريع إذا جهلتها ، وعما يزينه الشيطان من مزايها فيما حرمه الله ، فإن ما حرم الله علينا ليس بخلاً منه ، ولكنه مجرد اختبار للإنسان ، والأشياء عنده متساوية ، لا غال فيها ولا رخيص . ﴿بل يلهي بيهبوطان يخلق كيف يشاء﴾ (المائدة : ٦٤) ومن ثم لم يذكر الله لنا نوع هذه الشجرة ، لأنه لا قيمة لمرة توعها ولا صبرة في ذلك . إنما المبرة في مجرد الامتناع لأوامر الله سبحانه أو

القرء عليه . فما قيل من أنها شجرة الخنطة ، وما قيل من أنها شجرة الكرم<sup>(١)</sup> ، لأنها مصدر الإسكار والخمر ، وما قيل من أنها شجرة التل ، إنما هو حطس<sup>(٢)</sup> ويحث فيها لا طائل تحته<sup>(٣)</sup> . فالعصية ههنا كبيرة مها كان ما عُصِيَ فيه من القصة المأخوذة . وكما قال الإمام الغزالي : لا تنظر إلى عظمة العصية ولكن إلى قيمة من تعصيه وعظمت .

### ● جنة آدم للمعصية :

وما ذكره الكاتب من أن « الجنة هي جنة الطاعة ، والإسلام للناموس الإلهي ، وأن الأكل من الشجرة يعني مخالطة زوجته بالجلد ، مما أدى إلى شقاقه بعد هذه المخالطة » كلام لا يسلم له .

### استدلال الكاتب :

قال : وما يدل على أن الشجرة رمز للجنس ما يروى القرآن عن آدم وسواه بعد نفوق الشجرة ، وكيف بدت لها سواتها والسواة هي العورة - وكيف طلقا بخصفان عليهما من ورق الجنة ، أي يغطيانها بأوراق الشجرة خجلاً ، ولجعل من الأعضاء التناسلية لا يألى إلا بعد تدفوق اللذة منها ، ولهذا لا يجعل الطفل من أعضاء التناسلية ولا يغطيا ، بينما يجعل البالغ حقن من ذكر اسمها .

ثم لرى القرآن يخطبها بعد تدفوق الشجرة على أنها جمع فيقول ﴿ اقْبَلُوا بِغُفْلَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٦) . بينما كان الخطاب من نفس الآيات قبل الخطبة هو خطاب إلى منى ﴿ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ قَرَّبَا وَلَأَ تَقَرَّبَا عَلَيْهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (الأعراف : ١٩) . ومعنى هذا أن الاثنين أصبحا ثلاثة وأن الأكل من الشجرة قد أدى إلى الحمل .

وفي سورة ملة : ١٣٢ ﴿ اقْبَلُوا بِهَا جَمِيعاً يَتَخَفُّكُمْ لِيَتَخَفُّكُمْ ﴾ . وهو خطاب إلى منى وجميع في نفس الوقت ، وفي نفس العبارة ، ولا تفسر كذلك إلا أن يكون الإنسان هما في ذات الوقت جمعاً ، وأن الأكل من الشجرة أدى إلى التكاثر وكلمة

(١) الخشب .

(٢) الحطس : التحديق .

(٣) لا طائل تحته : لا فائدة منه .

﴿ اقْبَلُوا ﴾ بكسر الياء ، وقراءة ابن حيوة بضمها ، قال الكاتب إنها لا تعني الهبوط من السماء إلى الأرض ، وإنما الهبوط هبوط في الدرجة من رتبة التفضيل والانفتاح على اللذات إلى رتبة الانغلاق على الخواص الأرضية المصودة ... وكلمة الجنة تعبير مجازي عن الرتبة العالية للكونية التي كان فيها آدم قبل المعصية ، أو هي مجرد وصف للحقيقة الفناء .

### ملاحظات الدليل :

١ - نوهم الكاتب أن الأكل من الشجرة هو العملية الجنسية حيث يكشف كل من الرجل والمرأة عن سواتهما علناً ثم ذلك خجلاً من منظرهما لسرا العورة .. وهذا الفهم خاطئ . « لأن القرآن جعل كشف العورة أمراً نالاً ومتربهاً على الأكل من الشجرة ، يعني أن الأكل ثم أولاً ، ثم أعقبه انكشاف العورة كما هو نص الآية الكريمة : ﴿ قُلْنَا ذَاكَ الشَّجَرَةُ بَدَتْ لَهَا سَوَاتُهَا وَطَلِفًا يُخْفِيَانِ عَنْهُمَا مِنْ ذَلِكِ الْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف : ٢٦) . الجملة شرطية : الشرط إذا ذاقا الشجرة ، والجواب ﴿ بَدَتْ لَهَا سَوَاتُهَا وَطَلِفًا ﴾ . الآية ، وهذا يعني ظهور السواة والارتياح من كشفها ، والمخلف السرج لسرها بأكروب ما يجدان : وهو ورق الشجرة .

والسبب أن الكاتب يقرر أنها خجلاً لسرا العورة بورق الشجر ، فيجعل الشجرة تعبيراً مجازياً عن شيء معنوي ، وهو إشباع غريزة الجنس ، ويجعل ورق الشجر الشيء المعنوي ورقاً حياً حقيقياً يظهران بسرعة إليه ليسترا به « وهذا منتهى الاضطراب في الفهم . ويذكر الكاتب أن الخجل من العورة لا يكون إلا بعد الإشباع الجنسي .. ومن ثم فإن الأطفال الذين لا يعرفون الإشباع الجنسي لا يخجلون من كشفها .. وهو قول غير علمي . فكيف من الرجال يخجلون بعد صلباتهم الجنسية بذلك بين أصحابهم ، وهكذا تبلى بعض النساء ، وإن كنا نعيهم هؤلاء بقلة الحياء بحكم التقاليد التي أرساها الإسلام حين تنهى عن ذلك .

وفي الوقت الذي يجبل فيه المرء من ذكر أعضاء الذكر ، الثاني للحياء للوروث ، نرى بعض الصالحين والأساطدة الجامعين الذين لم يتمكن تقاليد الإسلام منهم ومعايير الأدبية من تنويرهم وفي قلوبهم « لا يباؤن بالاستحجام عرايا تماماً أمام زملائهم .

ثم هل نسي الكاتب أندية العراة ؟ بل الشعور العارية لا كل هذا ينتقض حجته .  
أما الأطفال فإنما يفعلون ذلك قبل تأديبهم وتعليمهم ، وقبل أن يمسخ عليهم  
الجميع بيده وتعاليمه .

٢ - وأما استشهاد الكاتب بقوله : ﴿ أَهْبَطُوا يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ ، وروعه أن  
الجميع لآدم وحواء والحمل ، فهو خطأ فاحش .  
أولاً :

لأنه حين ترورنى امرأة حامل لم تلد غائق لا يصح في اللغة أن أقول مثلاً : ليلى  
حضراء ، حتى هي وجنينها ، لتضمير الجميع لا يطلق إلا على ما كان له وجود في عالم  
الشهادة ، ولا نقول في امرأتين حبلتين أو إحداهما حبل : اذهبرا إلى المدرسة ، أريد  
بالجميع المرأتين والجنينين ، لأن الجنين ليس أهلاً للخطاب ، وعجلى أن يخاطب الله  
بالتكليف مالا يعمل من الأجنة . ولا يقال إنه تفخ الروح في الجنين ، لأن الروح لا  
تدب في الجنين في بعض قول أهل العلم إلا بعد أربعة أشهر ، والآية تقول : ﴿ فَالْأَلْهَمَّا  
الشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ، والفاء في قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ تنيد  
التزييب ، والتعقيب ، أى أنه حين وقع الزلل تبعه الخروج من الجنة مباشرة .

ثانياً :

المراد بالجميع آدم وحواء وإبليس كما هو مباني الآية التي بترقاً<sup>(١)</sup> الكتاب . لأنه  
يقول : ﴿ فَالْأَلْهَمَّا الشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ . وَلَئِكَ أَهْبَطُوا : يَنْصُرْكُمْ  
يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ (البقرة : ٣٦) وهو قول بين .

وما ذكره من أن الخطاب لآدم وحواء بالثنى قبل ذلك فهو في سورة الأعراف .  
وقد تبع ذكر الحديث عن آدم وحواء حديث عن الشيطان ودوره معها . ولذا أيضاً  
كان الضمير هائداً على الشيطان وحواء وآدم ، وسياق الآيات - ﴿ وَبَايَعْنَاكُمْ مَعَكُمْ قَتَلْتُمْ  
وَزَوَّجْنَاكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْغَالِبِينَ  
\* فَرَسَوْنِ لَهَا الشَّيْطَانَ يُؤْخِرُ لَهَا مَا وُورَى عَنْهَا مِنْ مَوَاقِئِهَا ، وَقَالَ : مَا نَهَاكَ  
رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ \* وَلَقَسَهُمَا فِي

(١) بترقاً : قطع جزء منها .

لَكُمْ أَنْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ \* فَالْأَلْهَمَّا يَتُورِينَ ، فَلَمَّا ذَلَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَودَ الثَّمَرِ وَطَفِيفاً  
يَخْضِرَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ،  
وَقُلْتُ لَكُمَا : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تُلْهِزْنَا  
وَتَوَحَّشَا لَتَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* قَالَ أَهْبَطُوا : يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ فِي الْأَرْضِ  
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ \* ﴾ (الأعراف : ١٩ - ٢٤) .

وأما ما جاء في سورة طه : فالخطاب لآدم وحواء بالثنى في قوله : ﴿ قَالَ أَهْبَطَا  
وَعَلَيْكُمَا جَعِيمٌ ﴾ ، وأما الجميع بعد ذلك في ﴿ يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ فهو التفات لبني  
الإنسان جميعاً من أمه عهد ، تذكر قصة الصراع بين الحق والباطل ، ووقوف البعض  
إلى جانب الحق ومساعدة الآخرين لهم ، ونهي بني الإنسان أن يستجيبوا للهدى ،  
وتحذروهم الشقاء إذا لم يستجيبوا لله سبحانه .

ولذا فالقراء يقفون عند قوله سبحانه ﴿ جَعِيمٌ ﴾ ، ثم يتدلون القراء بقوله  
﴿ يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ ، فلما يأتينكم ينن هدى ، فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا هَذَا فَلَا يُغَيِّرْ وَلَا  
يُغَيِّرْ \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ وَاعِزِّي فَإِنَّ لَهُ نَاصِيَةً هَتَكًا وَنَاصِيَةً يَوْمَ الْحِجَابِ أَغْمَى \* قَالَ  
رَبِّ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُخْذِلَنِي وَلَقَدْ كُنْتُ يَهِيمًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمَ تُنْسَى ، وَكَذَلِكَ نُخَذِّلُ الْمُجْرِمَ مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ  
وَأُنْفَى \* ﴾ (طه : ١٢٣ - ١٢٧) .

ونسلوب الالتفات عن الخطاب في الحكاية القاصية ﴿ قَالَ أَهْبَطَا ﴾ إلى الخطاب  
للخاسر : ﴿ يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ . الآيات ، من الأساليب البلاغية الرقيقة التي  
يعلمها علماء البلاغة ، وكان على الكاتب أن يدرس هذا الفن ، كما كان عليه أن  
يدرس المنطق وفن أدب البحث والمناظرة ، إلى جانب اطلاعه على المعنى الواسع في  
العلوم الحديثة ، لأن دراسة القرآن كما تتطلب ما درسه ، تتطلب التعمق في الدراسات  
اللغوية والنطقية .. وفي السنة كذلك .. وفي أسباب التزول : حتى يضمن لنفسه  
العناصر من القوام في هذا الطريق الشاق الذي سلكه ، ولبأسه البتار في محاولته التي  
سماها « محاولة » لتفسير عصرى للقرآن

وقول الله ﴿ يَنْصُرْكُمْ يُخْضِرْ عَدُوَّكُمْ ﴾ ، فلما يأتينكم ينن هدى ، والهدى هو  
القرآن ، يدل على أن الخطاب في ﴿ يَنْصُرْكُمْ ﴾ ليس موجهاً إلى آدم .. وبعبارة

أخرى : هو دليل الالتفات ، مع ما تلا ذلك من خطاب صريح وتناء واضح للأمة الحمادية .

ومن الإنصاف أن نقول : إن ما ذكره الكاتب - من تحليل الجمع بوجود الحمل - له أصل في تفسير الجلالين : إذ قال الجلال المحلى : ﴿ أَهْبَطَا ﴾ بما اشتلنا عليه من اللزنية ﴿ تَغْضُكُم ﴾ أى بغض الذرية ﴿ لِيَحْمِلَ عَنَّا ﴾ .. ولكن ما جاء في تفسير الجلالين لا يعنى الحمل ، ولكن يعنى ما أودع الله في الصلب والفرات من خاصية الإنجاب .

ولم يفرق بين هذا القول الذى لا يتناقض مع العقل والمنطق وبين كلام الكاتب ، فإن كان له أرقام متتابعة الجلالين فقد أخطأ الفهم أو خالفها .

لأنه :

لوسلما بأن ضمير الخطاب في ﴿ تَغْضُكُم لِيَحْمِلَ عَنَّا ﴾ يراد به آدم وحواء لكن على لغة من يجمع الثنى جمع الكثرة من القبائل العربية ، ولا يعنى الجمع إلا آدم وحواء حينئذ .

ومثال ذلك في القرآن قول الله عن سليمان وداوود : ﴿ وَكَانَا لِمَكْنُومِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ . بعد قوله ﴿ وَقَاوَدَ وَسَلَّمَاكَانَ إِذْ يَمْكُؤَانِ إِلَى الْحَرْثِ ﴾ ( الأنبياء : ٧٨ ) .

أو أن الخطاب لآدم وحواء - باعتبار ما سيكون من وجودهما ووجود نسلهما ، فالجمع في ﴿ تَغْضُكُم ﴾ لا لحمل علم وجوده في جوف حواء ، ولكن باعتبار ما سيكون ، وهذا لون من البلاغة معروف . وهو ما ذهب إليه الزمخشري ومطابقة معه (١) .

وقال البيضاوى : المراد من الخطاب ليس آدم وحواء بل ذريتهما ، والمندوة هي التزاع على الحياة ، وأخرج القرطبي هذا عن مجاهد والحسن (٢) .

وردى البيضاوى غولا بأن ﴿ أَهْبَطَا ﴾ خطاب لآدم وإبليس ، وعليه التزاع بين بنى آدم وبين بنى إبليس ، وإنما عير عن بنى كل بالبضية ، لأنهم بضر لبيهم وجزء

منه . ومن ثم فالصراع بين الحق والباطل . وهذا ما رجحه ابن القيم ، لأن الله حين ذكر المعصية قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ ﴾ ولم يذكر حواء . ثم قال : ﴿ أَهْبَطَا مِنْهَا جَنِيحًا ﴾ . فهذا يدل على أن الخطاب بالإهباط هو آدم ، ومن زين له المعصية ودخلت الزوجة فيها ، وهذا أن المقصود إخبار الله تعالى للمكلفين من الجن والإنس بما جرى على أوبىهما من شؤم المعصية فلا يقتدوا بهما (٣) .

### الشجرة في التوراة :

جاء في سفر التكوين : أن آدم وحواء لم يكونا يرتديان شيئا ، ومجهلان أن عدم لبس الثياب يكشف العورة حتى أكلا من شجرة المعرفة ، ففرقا وجوب الاستئثار . وهذا الذى روى في التوراة ونقله الكاتب يكذبه القرآن بقوله : ﴿ يَتَرَفَّعُ عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا مِنْ نَارٍ ﴾ ( الأعراف : ٣٧ ) ، فالترفع إنما يكون لشيء موجود قبل الأكل كما جاء به .

### ■ تفسير المصنف من الجمع :

صحيح أن المفسرين اختلفوا في ( المهبط ) الذى هبط منه آدم وحواء ، وفي المكان الذى هبط فيه : فقل عن المنذر بن سعيد البلوطى وأبى مسلم الأصفهاني وأبى محمد عبد الحق بن عطية في تفسيرهم عن جماعة أنها ليست جنة الخلد ، وإن كانت في السماء في رواية الحسن .

وخالف الحسن آخرون : فروى بسند لم يصح أنها كانت جنة في الهند ، وقيل بعدن وقيل بمكة ، وقيل هبط بسريديب من الهند يجبل يقال له ( بود ) أو ( راهون ) كما نزلت حواء بمكة وإبليس بالأبلة والحية في سجستان ، فهي لذلك أكثر بلاد الله حيوات . وقيل بل هي جنة الخلد وهو مذهب أهل السنة ، وقالوا : هي التي دخلها النبي ليلة المعراج وقيل بالترقف . والمترلة : على أن جنة آدم بستان باطن ، لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج منها . بينا القرآن يحكى تكليف آدم بها . ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ وأجاب أهل السنة بأن التكليف الذى في الجنة ليس إلا التكليف بالمعرفة والتوحيد (٤) .

(١) المرجع السابق ص ٦ و ١٧ .  
(٢) تفسير القرطبي ج ١ : ص ٤٦ .

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ١٦ ط أول مطبعة المطبعة في مصر .  
(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

ولا طائل تحت البحث ، وإن كان بعض أدعياء العلم يلجئون هذا الباب الذي فتحه الإسرائيليون بأقوال جرت على ألسنة بعض العلماء القدماء<sup>(١)</sup> ، وقد ذكر ابن القيم مختلف الآراء وأدلتها في مفتاح السعادة فليرجع إليها من شاء .  
ولو علم الله في بيان هذا خيرًا لذكره لنا ، ولكنه سبحانه أراد أن يسوي أنفسنا عن الخوص فيما لا يجدي لكبلا نشغل أنفسا والناس به . إذ الوقت هو الحياة ، وإهلاكها انتحار أثم من يفترقه . ولكن مع هذا فإن تفسير المهيوط بأنه مهيوط للثبوت والانتقال على الخواص الأرضية خطأ .

( أ ) لأن آدم وآي إنسان مسلم لا تُرثع<sup>(٢)</sup> من دونه الآفاق الروحية نهائياً لمصيبة ، بل إنه لا يظل بعدها منفلقاً على الخواص الأرضية ولكن الأمر كما قال القرآن : ﴿ إِن الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ( الأعراف : ٢٠١ ) والإبصار : هو انفتاح البصيرة إلى ملكوت الله ومعرفة الحق والواجب ، والتخل عن الإثم والفواحش .

وبعبارة أخرى بالثبوت النصح ، يعود إلى باب الله فيجده مفتوحاً .

( ب ) ثم كيف يوصف آدم بالانتقال على الخواص الأرضية ، وقد قال الله فيه ﴿ تَمَّ اجْتِبَاءَ رِثَتِهِ فَابْنُ سَبِّحْ عَلَيْهِ وَهَكَذَا ﴾ ( طه : ١٢٢ ) . وهل يتصور الاجتباء دون انفتاح لرحمة الله وقضه أمام من يحبه ٢٠ .

( جـ ) ثم إن الله ذكر الجنة ذات ثمار ، وذكر طعاماً وغروجا منها . فلا بد أن يكون هذا على الحقيقة . وكما قال في قوم موسى : ﴿ أَهْبَطُوا يَسْعَاءَ إِنْ لَكُمْ مَا تَتَّقُونَ ﴾ ( البقرة : ٩١ ) بمعنى اذهبوا مصر : فإن المهيوط جائر بهذا المعنى .

ولكن لما كانت الجنات الباقية تكون أكثر ما تكون بريرة ، فإن اللفظ المناسب للخروج من الجنات إلى غيرها كون هو لفظ المهيوط . سواء أكانت الجنة في مرتفع فعلاً ، أم لا . ومن بلاغة القول اختيار اللفظ المناسب الذي يبين برائة المعنى المراد كما هو الأمر هنا .

( د ) وقد اعترف الكاتب بأن آدم وسواء غطيا عورتها من ورق الشجر . . . إذن -

(١) مفتاح السعادة ج ١ - ص ١٢ وما بعدها .  
(٢) لا تخلق .

خلجة أمر حقيقي ، وهي ذات شجر ، والمهيوط منها على الحقيقة وليس على الجواز الذي زعمه الكاتب .

وقال القرطبي في بيان سر المهيوط من الجنة - رداً على ما زعمه الكاتب وأمثاله - ما نصه : « ثم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطه منها عقوبة له ، لأنه أهبطه بعد أن نال عليه وقبل نوبته ، وإنما أهبطه إما تأديباً له وإما تقييلاً للمحنة . والصحيح في إهباطه وإسكانه الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك ، وهي نشره فيها . ليكفهم ويمتنعهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروية ، إذ الجنة والثار ليسا بداري تكليف ، فكانت تلك الأكلة سبب إهباطه من الجنة . وقد أن يفعل ما يشاء »<sup>(١)</sup>

وقيل : كانت الجنة فترة لتدريب على أكمل نظام للحياة الإنسانية ويكون آدم في شوق عارم إليها يذكر به ويحاله - عندما يذكرها - أنها له ليجلسون في طلبها . ويستمر كل ما ذكرناه أن تكون الجنة جنة مادية حقيقية ، وليست بالمعنى المجازي الذي قاله الطيب مصطفى محمود . أي ليست مجرد ( جنة الطاعة والإسلام للناموس الإنساني ) . فهذه الجنة المثوية إنما هي بعض ما وعد الله به المؤمنين في الجنة ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ حَيْثُمُ قَدْ خَلَوْا مِنْ غَلَبَةِ الْيَوْمِ وَالْأَمْرِ وَالْمَقْصُودِ ﴾ ( الزمر : ٧٣ ) - ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ﴾ ( الحجر : ٤٧ ) - ﴿ نَحْنُ نَعْتَمِدُهُمْ يَوْمَ يُنْفَخُ الصَّلَافُ ﴾ ( الأحزاب : ٧٤ ) - ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى أَزِيدَانَا ﴾ ( يونس : ٢٦ ) .

فإن الحسنى هي الجنة والزيادة هي رؤية الله يوم القيامة - وإعياها عنهم عند غير لأفضاية والمعتزلة الذين ينكرون رؤيتنا له سبحانه .

وهذا وقد قال الفسرون : إن زواج آدم وسواء وحمل سواء وولادتها إنما كان جميع ذلك في هذه الأرض بعد خروجها من الجنة ، إذ ألقى الله الشهوة الجنسية في آدم هذه الأرض بعد أن أهبطه إليها<sup>(٢)</sup> .

الرجوع إلى الحق :

كان ما كتبه بناء على ما نشره الكاتب بمجلة صباح الخير ولكنه عندما أعاد نشره في كتاب أضاف بعد مناقشة القراء له - قوله :

(١) القرطبي في تفسيره ٢٧٢ ط : الشعب  
(٢) تفسيره للقرآن - ج ٣ - ص ١٦٦ .



ولا مانع من أن تكون الشجرة شجرة تؤكل بالفعل فتؤدي إلى إطلاق المرمونات واشتعال الرغبة الجنسية ، ومن ثم تُلقي بآدم إلى الغفلة الجنسية ، وتكون الآية صادقة حرفياً ومجازياً ص ٦٣ .

تعقيب :

وخطأ الكاتب في هذه المرة - يرجع إلى أنه ذكر الحكمة غيباً ورجماً بالغيب ، والغيبيات - كما يعلم - لا يجوز التحدث عنها إلا استناداً إلى نص .  
والخطيئة هي مخالفة لأمر الله بالأكل من الشجرة - لأنها كانت هذه الشجرة ، أو كانت قسماً ، أو نوعيتها الغذائية .

ثم إن آدم لم يجره وعرف خطأه بمجرد الأكل ، لا بكليات من الأكل المتكررة تؤدي إلى تمثل هرمونات بدرجة تهبب غريزة الجنس .

وما أحسن ما عظم به الكاتب ما لاله إذ قال : « ولا يمكننا القطع في هذه المسائل - ويجب أن نقول : إن الشجرة مازالت لقراء ، وإن قصة الخلق مازالت من أمور الغيب ، لا نستطيع أن نقول فيها أكثر من الاجتهاد » (١) غير أننا نقول إنه من المقطوع به أن الشجرة كانت مادة أمّا ما نوعها ؟ وما هي ؟.. فهذا هو الغيب ، ونقول إن الخلق لآدم كان من قراب ، وأما أين هبط وكيف ثم الخلق ؟ فهذا هو الغيب .  
السموات السبع :

اعترف الكاتب بأن العلم بباغبر متحقق : قالوا إن الطهف سبع ، وثم سبع درجات من الأطوار الموجبة ، من الأحمر : إلى البضجى . وبالمثل السلم الموسيقي سبع درجات في جميع حالاته ؟ وأن هناك سلماً يكرر نفسه من أسفل سافلين إلى أهل عليين ، سبع محاولات وسبع أرضين مثل ما للضوء سبع درجات ، والألوان سبع درجات ، والألغام سبع طبقات ؟

هذا مجرد احتمال .. ولكنه يشير إلى أن حافى القرآن من أسرار لا يمكن المورد بها مروراً هنا ، وأنها تحمل مدلولات غاية في العمق (٢) .

تعقيب :

وهنا احترق الكاتب إنسانيتنا ، فاعترف بجهلنا أمام واسع علم الله ، ولكنه أثار

سؤالاً فقال : كيف جاء القرآن بهذه الموافقات التي انفتحت مع نتائج العلوم والبحوث والجهود الفنية عبر مئات السنين ؟  
أصناف ؟

وإذا سلمنا بمصادقة واحدة .. فكيف سلم بالباقى ؟ وكيف يحظر على ذهن نبى أنى مشكلات وقضايا وحقائق لا يعرفها عصره . ولا تظهر إلا بعد موته بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة ؟

« وإذا أخذنا بالتفسير المجد الذي يرى في ذلك الكلام الذى يحى على لسان محمد ﷺ صورة من نشاط عقل باطن انفتح تماماً على الحقيقة المطلقة . إذا قلنا هذا فقد اعترفنا باعترافاً مهذباً جداً ، وعلمياً ، بالوحى .. فما الحق المطلق سوى الله ، وما الاحتياج على الله والاتصال به إلا الوحى بعينه ، ولكن القصة لم تنته ، لأن القرآن يزودنا بما هو أكثر من كل ما قاله العلم فيطلعنا على بعض الغيب .. كقصة آدم وإبليس واسجاد الملائكة لآدم » (٣)

### ● حقيقة الوحى :

ما ذكره الكاتب من تفسير الملاحض ، وإلزامهم عليه ، وقوله : « إنه اعتراف مهذب جداً ، وعلمى بالوحى » فيه إنكار لوجود الملائكة الذين ذكر الله أنه اختار منهم جبريل مهلباً للنبي كلام الله ووحى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ . علمه شديد القوى .  
طوبى ( أى قوة ) فاستوى . وهو بالآلى الأهل . ثم ذنا فندى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عيسى . أى محمد عليه السلام - ما أوحى . ما كذب القواد ما رأى . فلما رآه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . جلد ستره المتقى .  
( النجم : ٤ : ١٤ ) .

وقد روى المفسرون عن رسول الله ﷺ تفسير كل ، وعلامته أنه رأى جبريل بالآلى في حجم سد الآقى ، وهو ما نراه في السماء بالعين المجردة حتى نهاية البصر ، ثم نزل جبريل بصورة مصغرة فقابل النبي وأبلغه ما أوحى الله به إليه ، وهكذا ليلة المعراج رأى جبريل مرة أخرى عند شجرة نسمى « ستره المتقى » جاءت الأحاديث بوصفها .

(١) عس الرجح .

(١) القرآن محاولة للهم حصري للقرآن ص ٦٣ .

(٢) عس للرجح ص ٦٣ : ٦٤ .

وقد جاء في البخاري وغيره أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن يأتيه من ملائكة الوحي فأنهيرهم أنه جبريل ، فتكروا لجبريل ، فأظهروا بقصصهم له ، وفي هذا نزول الآية ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ٩٧ : ٩٨) .

وهذه الآيات نص صريح في أن الوحي له ملك كثر به الملاحدة . وتناول القرآن حديث الوحي والذي يأتي به إلى النبي وأنه ثقة عند الله ذي العرش فقال : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ۚ إِنَّهُ تَنَفَّسَ ۚ وَإِنَّ لَقَوْلَ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۚ ذِي قُوَّةٍ جُنتُ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۚ فَطَاعَ ثُمَّ أَمِينٌ ۚ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۚ وَقَدْ رَأَى بِالْأَفَاقِ الْمِينِ ۚ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِنَبِيْنٍ ۚ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۚ ﴾ (التكوير - ١٨ - ٢٥) فلو كان أن يكون الوحي حديث نفس أو تخيل شيطان .

حقاً : إن للوحي طرقاً متعددة ، ولكنه في كل الأحوال ليس بقرار القلب ولا حركته ، ولا تابعا من النفس ، ولكنه إضافات حلوية إلى قلب النبي وعقله وإيقنة إليه ، كما في الآية الكريمة ﴿ وَمَا كَانَ يَشِيرُ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ ۚ بِلَا إِلَهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ (الشورى : ٥١) .

قال السيوطي في تفسيره ﴿ وَحْيًا ﴾ يعنى مناماً أو إلهاماً - ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ كحديث الله لموسى عند الشجرة المباركة ، ﴿ وَرَسُولًا ﴾ أى ملكاً كجبريل .. ومن أمثلة المنام وحى الله لإبراهيم أن يذبح ولده - ووحى الله للنبي محمد ﷺ أنه سيدخل البيت الحرام .. وفي منام إبراهيم قال القرآن : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ : يَا بَنِي إِدْرِيسُ اتَّبِعُوا مَنِ أَلْفَيْتُمْ فَآتُوا مَادًّا قَرِيًّا قَالَ يَا أَبَتِ إِنَّكَ أَمْرٌ مُتَعَبِدُنِي بِشَيْءٍ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات : ١٠٢) .

ولما كان إسماعيل يعرف أن رؤيا الأنبياء وحى ، وليست حديث نفس قال : ﴿ الْعَقْلُ مَا تُؤْمَرُ بِهِ ﴾ : فهو إذن أمر من الله وليس اختراع قلب .

وفي رؤيا النبي محمد ﷺ قال : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ فَبَدَأَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آتِينَ مَحَلِّينَ وَمُؤْمَرِينَ لَا يَخْفَوْنَ ﴾ (الفتح : ٢٧) .

ولما كانت أمراً من الله خرج النبي إلى مكة للعمرة فيها يسمى عام الحديبية ، وتعد

الناس إلى ذلك ، واعتبر المتخلفين دون عدد آثم ، ولم يقبل عنهم وفضح أمرهم فقال سبحانه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَاكُمْ وَأَمْوَالُنَا فَأَمْتَلْهُمْ لَكَ ۚ يَقُولُونَ يَا لَيْتَهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (الآيات : ١١ من الفتح وما بعدها) . وليست كل الرؤى كذلك وحياً أمراً مطاعاً بالرغم من أن النبي ﷺ قال : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة »<sup>(١)</sup> - فهذا الجزء يكفي للفت النظر ولكنه ليس الحقيقة المؤكدة التي نجدها عند الأنبياء ، فهي تحتمل عند غير الأنبياء أن تكون أختصاصات أحلام .

وأما الإلهام فليس في الحقيقة وحياً بوحى ، وإنما هو رأى تفنى عنه اللسان ، وانكشف للنفس ، وقرأى للقلب أو البصيرة . ومنها يمكن من أمره فإنه من باب « الخيال » في أصلق أحواله ، كقول عمر في المدينة لقائده في بلاد المعجم : يا بنياربة الجبل الجبل . ومن باب الإلهام الذي كان فيها زعموه لعبد القادر الجيلاني الصوفي . روى أنه قال لامرأة : سيكون الجنين الذي في بطنك ذكراً ، فجاء المولود على غير المعتاد من صدق إلهام الشيخ ، لسأله المرأة عن هذا فقال : القادر كذب عبد القادر ، فجرت مثلاً .

أما الإلهام فربما كان مراد السيوطي به هو نفث المعنى عن روح القدس في قلب النبي ، كقول الرسول ﷺ : « إِنْ رُوحُ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنَّهُ لَا مَوْتَ نَفْسٍ حَتَّى تَسْتَكِلَ وَرُوحَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ۚ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِطْعَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ مَا عَدَدَ اللَّهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ »<sup>(٢)</sup> .

وليس هو الإلهام الصوفي ، ولا إلهام الفيلسوف . وربما كان مراد السيوطي بالإلهام هو ما قاله الخازن والبغوي من مثل إلهام أم موسى ﴿ فَأَوْجِئْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَ مِصْرَ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَتَيْدِ فِي أُمِّهِ ﴾ (القصص : ٧) .

(١) رواد البخاري عن أبي سعيد ، وسلم عن ابن عمر عن أبي هريرة ، ورواه أحمد عن أبي رزين ورواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود - انظر الفتح الكبير بضم الزيادة إلى - الجامع الصغير للسيوطي - ج ١ - ص ١٤٨ .

(٢) باب التحويل في معاني التحويل للخازن ١٠٧/٦ وما يشه معالم التحويل للبغوي .

أما الإلهام بمعنى انشراح الصدر لأمر من الأمر فليس هو وحي الأنبياء ، وإن كان لهم منه الكثير صفته البشرية .

ومن أسرار الوحي ما ذكره النبي نفسه قالاً : إنه كان يأتيه أحياناً في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت . وكان الملك يلبس به في هذه الحال حتى إن جيته ليطعمه<sup>(١)</sup> عرقاً في اليوم الشديد البرد ، كما كان يأتيه الوحي في صورة وحية الكلبى أحياناً أخرى ، وكان دحية حكماً وسياً محباً بين قومه . وربما أتى الوحي في مثل طنين النحل .

وهكذا .. الطنين أو صلصلة الجرس لا يمكن أن يسبب إلهاماً أو انفتاح قلب ، بل إن شئت قلت : هي وإدراج إلى القلب تأتيه من أعلى ولا تنشق منه . وحديث النبي ﷺ القائل : ( ألا وإني لأعلم بالأمر ما علمني الله ) قاض بطلان دعوى الإلهام ، وصريح في أن الوحي يكون بالقلبي .

وفي لغز الموت<sup>(٢)</sup> قال الكاتب : « إن الوحي كان يأتي الأنبياء بين النعاس ( وهو مقدمات النوم ) وبين اليقظة ( الاستيقاظ في النوم ) لأن هذه لحظة صيقة يخرج فيها العقل من إطار ظروفه ، ويتحرر من الألفة والعمود والأحكام العادية ، وينظر حوله من جديد ليصدر أحكاماً جديدة أكثر تحرراً وإلهاماً » .

« ونورتن » اكتشف قانون الجاذبية في هذه اللحظة ، وكل المخترعين والمفكرين والشعراء والمفكرين تلتفت أذهانهم في هذه اللحظة والفرق بين النبي والمخترع في تلك اللحظة .. هي مساحة الرؤية التي تتكشف لكل واحد ، التي يشبه جهاز تليفزيون به مليون سهام ، ومساحة الرؤية شاسعة ، وقدرة استقباله كبيرة فهو يستطيع أن يستقبل صوراً من المريخ على شاشة ( مانورامية ) عريضة ، لأنه مزود بوسائل إلهية .

والمخترع هو جهازه ترازستور صغير كاد يستبح إلى محطة القاهرة بصعوبة ، لأنه يعتمد على إجهاد الحائط الذي قد يخطئ ويصيب ، لكن الاثنين سبحانه جني إلى جنب في بحر الحقائق .

مقريب :

وهذا أيضاً نوع من الخطأ ، ينقضه الروى من أن الوحي قد يأتي مناماً ، وقد يأتي بقطعة كما ذكرنا ، ولا يجوز الإفتاء بالتصديق في أمر بقول ليس عليه دليل مادي ولا ورد به حديث مروي .

وقد روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الوحي كان أحياناً يأتيه وهو نائم على فخذها ، فتشعر بنقل بكاء يرض<sup>(٣)</sup> فخذها ، فتعرف أنه الوحي ، وهكذا قال زيد ابن ثابت حين نزل الوحي على النبي ﷺ وكان نائماً على فخذ زيد .

هذه بعض الصور الثابتة لنزول الوحي في حال الاستيقاظ في النوم ، نفي أن الوحي يكون فقط بين الناس والنوم . ثم إن ظاهرة النقل تدل على أن الوحي شيء زائد على الذات ، فهو كان مجرد خروج العقل من إطار ظروفه ، كما يقال ، لكان الجسم بالياً على وزنه إن لم ينفض .

وهذه كلها آثار دالة على أن الوحي ليس شيئاً ذاتياً كما فهم الملاحدة ، وأن فهمهم ليس فيها ذكياً ولا زكياً ، بل غاية في الغباء والجهل . فقد حدث أصحاب النبي أنهم كانوا يعرفون نزول الوحي عليه ، إذ تأخذ عليه الصلاة والسلام شدة وناتية الرخضاء : أي حرق ينفضه ، لغزارته . وقد أتى الوحي في صورة رجل يسأل النبي وهو بين أصحابه ، ثم ينصرف وهم يرونه منصرفاً ، ثم يخفي أمامهم دون أن يشعروا عنهم أصحاب أو يفتد شفة ، كما في حديث مسلم : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم - إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، ولا يعرف منا أحد : حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبتيه .. ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد : أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنجي البيت ، إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . فصبنا له سناءً وصداقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره شره . قال : صدقت . قال فأخبرني عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه

(١) يفضله : يتصبب - يسيل .

(٢) من : ٩٤ . طبعة دار النهضة العربية .

(٣) يرض : يفتأ : يشطط بهت .

فإنه يراك قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عن ذلك بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أمارتها . قال : أن تُلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة <sup>(١)</sup> يطاولون في البنيان . ثم انطلق فلبث ملياً <sup>(٢)</sup> ثم قال يا عمر : أتستري من السائل ؟ قلت لله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . ومعنى أن تلد الأمة ربتها أي سيدتها ، أي تكثر الرأري أي الإماء ، حتى تلد الأمة بنتاً لسيدها .. وبنت السيد تكون حرة ، ولها مئة السيد على أمها ، وللمائة المئرة .

مع الدكتور محمد حسين هيكل :

ذكر الدكتور محمد حسين هيكل : أن أول الوحي أتى في جبريل النبي بصحيفة معه في المنام فقال اقرأ ، فلما استيقظ وقد نقشت الآيات في صدره عجب لما رآه في منامه <sup>(٣)</sup>

وبالرغم من أن الرواية ليست هي التي جرى عليها المفسرون ، وسندها ضعيف فإن هيكل ذكر أن الملك الذي رآه له حقيقة مرئية أنه فيها بعد .

أي قال : الله هو الحق المطلق !

ذكر الكاتب هذه العبارة ، فما الحق المطلق سوى الله <sup>(٤)</sup> والتملذه في المرحلة الثانوية يعرفون أن من أساليب القصر ، الأسلوب الذي يجتمع فيه المثنى ثم الاستثناء ، مثل العبارة التي ذكرها ، فلما إذن : الله هو الحق المطلق وليس شيئاً آخر : يعني أنه سبحانه معنى معين محدود ليس له ذات ولا صفات ولا مدلول غير ما ذكره الكاتب .. وهذه سقطة أرجو أن يكون الكاتب وقع فيها جهلاً بأساليب اللغة ، وليس قصداً أو جرياً وراء فلسفة خاصة تنكر ذات الله وصفاته ، وترجم ذلك الذي قاله - دون أن يقصد لصدهم لها أرى - **كثيرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** .

ما الفرق بين الكاتب والباطنية ؟

الباطنية فرقة من الشيعة متفق على كفرها ، يقول الآق من النبي ﷺ وعن الوحي كما نقله عن الغزالي بالنص :

« النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ( العقل عند الفلاسفة ) بواسطة الثاني ( النفس عند الفلاسفة ) : قوة قدسية صافية مهياة لأن تتنقش - عند الاتصال بالنفس الكلية - بما فيها من الجزئيات ، كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد من يجري الأحوال في المستقبل إما صريحاً بعينه ، أو مُدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما ، فتنفرد فيه إلى التعبير . إلا أن النبي هو المستعد لذلك في البقعة ، فذلك يدرك النبي الكليات للعقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية » <sup>(١)</sup> .

هل يختلف هذا عما قاله الكاتب ( ما الحق المطلق سوى الله وما الانفتاح على الله والاتصال به إلا الوحي بعينه ) ؟  
الحفان وخطيئة آدم :

قال الكاتب : « ويقال إن شريعة الطهارة وقطع الفلفة الزائدة من العصور التناسل كانت الكفارة التي قضى بها آدم على نفسه بعد الخطيئة كمنحولة للخصاء - لقرؤا مما فعل ، ثم أصبحت قلباً دينياً من يومها <sup>(٢)</sup> » .  
فقطيب :

ولا أدري : أجهل الكاتب ما روى عن رسول الله ﷺ في تاريخ الحفان ، وأن أول من طعمه إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان الخليل قد اختن بمكان اسمه القدوم . فادوم ؟ ففتح القاف أو ففتحها مع ضم الدال مشددة أو مخففة أو بزيادة ألف بعد القاف . فأنه يرجع الأساطير التي لا أصل لها على ما ورد به الحديث الشريف ، ثم يملأ هذه الأساطير منطق علم النفس ؟

روى البخاري ومسلم في صحيحهما « اختن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدم » وكذا رواه أحمد . وروى مالك بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب : « كان إبراهيم ﷺ يقول الناس ضيف الضيف ، وأول الناس اختن ، وأول الناس قصر الشارب » <sup>(٣)</sup> .

(١) فضائح الباطنية للإمام الغزالي ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) القرآن : محاولة تفهيم عصرى للقرآن ص : ٦٣ .

(٣) ما رواه البخاري في فضل الأنبياء ٨ - والاستئذان ٥١ ورواه مسلم على تحريف القدم - أما البخاري فقيه الحنفية وتشديد الحال ، وبالشيعة هو مكان بالشام اختن فيه ، وبمكة الروايات الأخرى . وهذا ما يستوجب وجوب الجمع بين الروايات ، فلا عبرة بمن قالوا إن إبراهيم اختن نفسه بألة التجارين المعروفة بالقدم لأن القدم بالتحريف يطلق على المكان وحمل الألة .. وذلك لأن الحمل على الألة مستغرب .

وهل يحل المكاتب - وهو الطبيب - عملية الخصاء ، والفرق بينها وبين عملية الجب . فالخصاء قطع الخصيتين وعملية الجب هي قطع الذكر فلنقص ثقافته المنوية أطلق لفظ الخصاء وهو يريد الجب .

وكيف يتصور من آدم أنه يقدم على الخصاء أو الجب فيقتضى على سبب التماس وهم يعلم أنه إنما رُج به إلى الأرض من أجل ذلك . وكيف يعالج آدم الخطيئة بخطيئة أخرى - وهم العدوان على النفس - نفسه هو عليه السلام ؟

وكيف يقال إنها عملية للتخلص من داعي العملية الجنسية - والمعروف أن الحيوان إنما هو من أسباب استكمال العملية الجنسية في أحسن أحوالها ؟ وكيف يقدم آدم على إنفاء نفسه دون أن يستفيق . وقد كانت خطيئته التي يستنفر منها أنه ألقى نفسه ؟ والرجل الإلهي المطيع لا يتحرك أي حركة إلا بقانون إلهي . وقد لنا أنه لا يصح أن تُنسب الخطيئة الأولى التي عاش آدم نادما عليها طول حياته . ثم إن الكفار من العبادات ، والعبادات لا تكون إلا بنص شرعي ، وبلا كانت بدعة مرفوضة ، وإن كل بدعة ضلالة ، ولا تعالج الخطيئة بخطيئة أخرى .

## الفصل السادس

# الغيبيات

## ● عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة

- حديث الفل مع سليمان
- السحر
- عجل السامري
- الضالقات في العقد
- البرذخ
- ن ، والفلم وما يَسْطَرُونَ
- المور والإثبات
- يوم عند ربك

## ● يوم القيامة

- ما هي القيامة
- علامات الساعة
- الدخان - يأجوج ومأجوج
- كيف تأتي الساعة ؟
- مأخذ بيت الشاطئ

## ● البحث

- اللمة في اختبار لفظ ميت في ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾
- منكره الروح - ﴿وَسَأَلُوكَ عَنْ الرُّوحِ﴾
- كمال القرآن - في كتاب لغز الموت

## عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة

تناول الكاتب عدة أمور غريبة له فيها أخطاء ، وله فيها نظرات جميلة - وأهمها ما يلي بعبارة الكاتب :

١ - القرن :

من الشياطين قرن ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ ﴾ (بصرف) <sup>(١)</sup> عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَلْيَنْتَبِهْ  
فَهُوَ لَهُ قَرْنٌ ﴿ (الزعرور : ٣٦) هي في حرايتها كقراءة الآية ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا  
نَبِيُّ رَبِّكَ - بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرْنُ ﴾ (الزعرور : ٣٨) لا تدرك على كنه  
ومكان القرن .

ومن الملائكة قرن : ﴿ وَقُلْ قَرْنُهُ : هَذَا مَا كَذَّبْتُمْ عَنْهُ ﴾ (ق : ٢٣) - فالسلام  
واجب وإن لم يكن لنا إدراك لجوهر القرن . <sup>(٢)</sup>

٢ - الملائكة :

قال تعالى : ﴿ وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ قُلُوبُهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ لا أحد يعلم المراد  
بالثمانية ، أم ثمانية قلوب فيزيقية أو مثنائيزيقية || أم ثمانية ملائكة ، أم ثمانية صفوف  
من الملائكة <sup>(٣)</sup> ؟

نفس الدعوى :

أقول : الإطلاق في القرآن ينبع لنا التشكيك في هؤلاء الحملة ، مع السجادة تفسير  
الملائكة بالقوانين الفيزيقية أو غيرها ، لأن قوله ﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾ تنقسم قسمين جميع  
الغلاء ، والقوانين إما لا يحفل ، وكل تفسير يخالف قواعد اللغة العربية <sup>(٤)</sup>  
﴿ وَكَذَلِكَ أَرْكَاهُ قَرْقًا عَرِيًّا ﴾ (طه : ١١٣) - ﴿ يَلْسَنُو عَذَابَ ﴾ <sup>(٥)</sup>  
(الشعراء : ١٩٥) .

(١) انظر ما ذكرناه في جهنم لهذا الكتاب .

(٢) القرآن : محاولة فهم معنى : ص ١٢٦ : ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨ .

ثم قال : كتب تحمل مخلوقات = عرش الله ، وكوسى الله ٢ : الله ، الذى يقسم  
عرشه كما قال القرآن - ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ( البقرة : ٢٥٥ ) لعل  
ذلك قوى كهر مغنطيسية هائلة .. ألا تلك قوانين الجاذبية بالشمس والنجوم فى فضاء  
الكون ؟

ومع أن التفسير بأن الله قوى كهر مغنطيسية هائلة خلقها شاهدة على عطية - كلام  
يزيد الإيمان ، فهو لا يصح أن يقال فى تفسير حكمة العرش . لأن الله ذكرهم وذكر  
تسميهم بالصيغة الدالة على أن صاحبها ممن يعقل .  
ثم إن تفسير الكتاب - ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَنِيَّ فَهَيِّئْ لِي بِهِ مَلَائِكَةً :  
تفسير خاطئ .. وإنما هذا القرين الكافر من أصحابه الكفار .

كما يدل عليه سياق الآية ﴿ لَقَدْ كُنْتُ فِي غَلَابَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ  
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَا لَنِيَّ فَهَيِّئْ لِي بِهِ مَلَائِكَةً هَذَا  
مُتَّعٌ بِالْغَيْبِ مُتَّعٌ قَرِيبٌ . ﴿ إلى قوله : ﴿ لَأَنْ لَقَرْنَهُ رَبَّنَا مَا أَطْلَيْتَهُ وَلَكِنْ كُنَّا فِي  
ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ( ق : ٢٢ - ٢٥ ) .

#### ليلة الملائكة :

لأن الكاتب : ولا تعدد لياقات الملك وكفائاته ووظائفه ، كما تعدد وظائف  
الإنسان ومواهبه .  
ولا أدري من أين أتى الكاتب بهذه الدعوى التى يتقضاها الواقع .. فجبريل أمين  
الله على الوحي .. وهو نفسه الذى نزل على النبي بقول : لو شئت أن أطبق عليهم لعل  
كفار قريش ( الأخشبين ) جعل مكة للعبث : فقال له النبي : لا ، غشى أن يخرج  
الله بين أصلاهم من يؤمن بالله ورسوله .  
وفى إحدى الفروقات نزل جبريل مددا مع الملائكة ، وقال للنبي كيف تضع  
سلاحك ونحن لم نضعها : كما فى كتب السيرة .

#### الشك فى الحديث :

ذكر الكاتب حديث رؤية النبي جبريل فى صورته الحقيقية مرتين إحداهما فى ليلة  
مقمرة ، وقد سد جبريل الأفق . ثم قال وهو حديث يمكن أن يشك فى صحته .

ومع أن اليوم الذى رأى فيه النبي جبريل عملاً الأفق روى أنه كان بقار حراء وليس  
فى البقيع ، كما روى الكاتب (١١) . ومع أن الكاتب ذكر بعد ذلك أن جبريل قد ينزل  
إلى الأرض فى أى صورة ، فإن الذى يعتنى أنه سقط فى زعمه إمكان الشك فى صحة  
الحديث بسهولة ، وهو حديث رواه البخارى ومسلم .

والذى يدعى أن تذكره أن الطريق إلى رفض الحديث له منجى على معروف ، وله  
فى معنى علم مصطلح الحديث ، وعلم الرجال - أو رجال الآثار .. فلكنى يحتاج له إنكار  
حديث ما - فى البخارى أو غيره لا بد له من سلوك منهج المحدثين .. وأن يقدم الأدلة  
على دعواه ، وإلا كان ساقط المقالة .

#### زلة :

قالت بنت الشاطلي فى نقدها الكتاب : « بل أظن التأمل فى قوله - تأويلك لايات  
النجم : ٤ : « ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوسَى ﴾ فَكَيْفَ شَهِدَ الْقَوَى » ، والنكوير :  
١٩ : ٢٠ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فَوَيْ قَوْلُهُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ » .

وحينا يصنف الله أحد مخلوقاته بأنه شهود القوى .. وبأنه ذو القوة والمكانة ، لا بد  
أنه حائل عظيم فى قوته ، وفى إمكانياته ، وتفهم من القرآن أن جبريل يمكن أن ينزل  
إلى الأرض فى أية صورة ، ويحمل الوحي إلى أى نبي من أى عصر وبأى لغة .. ثم لا  
أملك إلا أن أتو الآية الحكمة : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ  
وَعَلَّمَ الْغَيْبَ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ ( الأحزاب : ٤٠ ) واستغفر الله لى وله (١٢)  
وهكذا زل الكاتب حين قال : وفى هذه البشرية من رأى الجن والملائكة  
والشياطين شهوداً ( ص : ١٢٣ من كتابه الطبعة الأولى ) ، بينما قال الله فى الشيطان :  
﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ ( الأعراف : ٢٧ ) .

ويستنى من هذا ما روى من أن النبي ربط شيطاناً فى سارية المسجد لهذه  
خصوصية مروية رواية ثقة « جون ما نسمعه من غرافات غير موثوق بروايتها ، أما  
الملائكة والجن فقد يرون فى أشكال شتى ، وهذا مروي فى السنة (١٣)

(١) القرآن عمولة لنهم عصرى للقرآن : ص ١٢٨ .

(٢) بنت الشاطلي : القرآن والتفسير المعاصر ص ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥ .

(٣) تفسير البقرى الآية ص ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْنِي رَجُلًا مَدِينًا ﴾ من أى حرية  
ص ٧٥ ص ٢١٠ يندش خيرين كبير ، طبعة الثانية سنة ١٣٤٧ هـ . وكلما أخرجه ابن كثير عن مسلم  
يلتزمه إل فى اليهود ، وأخرجه عن أحمد عن أن سيد الخناري . ( ابن كثير فى تفسيره ج ٧  
ص ٢٠٩ ) .

قال الكاتب : إنهم لا يتسلون ولا يموتون ( ص ١٣٠ ) . وتقول : أما عدم تسلطهم فقال بذلك المتكلمون : مستدين إلى نصوص واردة في ذلك ، وأما أنهم لا يموتون ، فهذا أمر لا ندري من أين أتى به ، وهو يتناقض مع عموم قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ خَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ آخر القصص .

ولا شك أن الملائكة شيء ، بل ورد أن إسرافيل عندما ينفخ النخلة الأولى لا يبقى ملك ولا إنسان ولا ذو روح إلا مات ، ثم يقبض الله إسرافيل . ثم إذا كان الموعد الذي شاهد للبعث أحيا إسرافيل فنفخ النخلة الثانية ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ . ( يس : ٥١ )

حديث الثقل مع سليمان :

لأن الكاتب : العلم يقول الآن - بناء على الشواهد والملاحظات - إن الثقل له قوة وكذلك التحل . وكل فصائل الحشرات التي تنهى مجتمعات وغلايا وتنظفات ، فيدون لغة متبادلة كان يستحيل على تلك الألوف المولفة من الحشرات أن تنظم في حياة ، وتنوزع بينا الوظائف .

تعليق :

وهو قول جيد لغيره قال حسب ذلك : وإدراكه لخلو سليمان أمر ممكن مثل إدراك سليمان لله (١) .

ولا أعرف للشبه ملزى ، أريد أن اقول ألهمت سليمان معرفته كما عرف سليمان ربه ؟ أم يريد أنها أدركت مقال سليمان : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ ( النمل : ١٩ ) . كما أدرك سليمان الرسى ؟ الاحتمالان لا دليل عليهما .

السحرة :

قارن الكاتب بما أدخل على التفسير من خرافات فقال : إن أساليب السحر جاءت إلى الأرض لأول مرة في بابل ، نزل بها ملكان عاروت وماروت .. جانا إلى الأرض في شكل بشر (٢) ، وقد ذكر علماء التصريف لطلان الحديث الذي يروى أنها ملكان ،

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .

ولذا قالوا : إنما أطلق لفظ « ملكان » على رجلين كانا يتظاهران بالصلاح : خداعا للنج ، ولقد سيطرته يرسل المرسل للهداية وليس للتضليل ، وأحسب الناس من الابتلاء وافق إبليس .

عجل السامري :

قال الكاتب : إن السامري صنع بالسحر عجلا من الذهب له خوار (١)

وجه الحق :

لم يذكر القرآن أن السامري استطاع ذلك بالسحر ، وغاية ما جاء في الكتاب الكريم ﴿ وَلَكِنْ حَمَلَكُمُ الطَّوْغُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَوْمَ فَقَذَفْنَاهُ ، فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ فخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا : هذا إلهكم وآله موسى : قسى . ألا يتردأ ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضررا ولا نفعا ؟ ( طه : ٨٧ - ٨٩ )

قد احتال شهاب بن إسرائيل على المصريين فاستمروا منه الخلق ، كما حمل اليهود ذهبهم ، ودخل المسيح مع موسى .. ومن مجموع الذهب سبك السامري لهم عجلا .. جلد رؤوفه اليهود فهدوه .. لهذا تصوير لما في نفوس اليهود من عبادة للاله ، ووثنية كوثنيهم الرافضة في الآية الأخرى .. ﴿ وَجَاوِزًا يَبِينَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَقَامَ عَلَى قَوْمِهِمْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ ، فَأَقَامُوا : يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجَاهِلُونَ . ﴾ ( الأعراف : ٣٨ )

وقد ذكر القرآن أن عجبات السحر لا تؤثر في طبائع الأشياء ، فهي خداع للرائين ليس خبر وكما قال القرآن ﴿ فَإِذَا حِيلَ لَهُمْ وَبَعَثْنَا لَهُمْ غُثَّيْنًا مِنَ الْفُلْجِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ السَّحَرِ ﴾ ( طه : ٦٦ ) فغاية السحر التحليل والاختراع .. ﴿ يُعْطِلُ إِلَهُكُمُ ﴾ أما في الواقع فهي لا تسمى .. والسحر باق على طبيعته . ولذا قال القرآن ... ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَى ﴾ ( طه : ٦٩ ) .

النفثات في القيد :

قال مصطفى محمود : ثم حكاية الساحرات النفثات في القيد . هذا السحر الذي ورد في القرآن هو علم قديم قد اندثر (٢)

(١) نفس المرجع ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ .



الجواب : ما جاء في سورة الفلق كناية عن يفتلن في الغارب والندوة كما يقول المثل : لا يفتلج بين الناس بما يشبه السحر : فكذلك أن السحري يفتل في العقد ليؤم الناس أنه يؤكد سحره فإن النمام يؤكد النيمة .. مما يجعل الحق يصدق بما يسمع من أكاذيب .. وقد جاءت في سورة الفلق الامتناع من الكلمات ومن شر التفات في العقد .. كما ورد في سورة الهمم الآية : « الكناية عن الكلمات بحالة الخطب » وأما قوله « حَمَلَةُ الْخَطْبِ » أي السائمة .

وقد أنكر محمد عبده القصة التي تروي أن النبي سحره ليد من الأفعى اليهودي ، وأنكر أن تكون كلمة التفات في العقد قد نزلت بشأن ليد ، إذ لو صح وقوع الأنبياء تحت تأثير السحر لجاز أن يتهموا بالنفلة في بعض الأوقات وأن يكون المروي عنهم مما جاء في ساعة فقدان عقولهم وغيوبتهم تحت تأثير السحر . وهذا طعن يوجه إلى إثبات النبوة ، وسلامة ما بلغنا من الوحي .

وحكي اليهودي عن بعض المفسرين قول من قال : المراد بالنفلة في العقد إبطال عزائم الرجال بالخيال .. مستعار من تلهين العقدة بنفث الرين ليسهل حلها . وصحيح المحققون حديث البخاري ومسلم أن لبيد بن الأحصم سحر أبا لثبي وأن النبي أخبر أصحابه بما أخفاه اليهودي إثباتا لنبوته وأنه يوحى إليه بما يشاء الله من أمور الغيب . وأما ما يروي من أنه وقع تحت تأثير السحر فكان ينبغي إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله ، فهو حديث موضوع أقبح على الحديث الصحيح ونبه إليه العلماء وصحيح القاضى عباس الحديث جمعه قال : إن ما أصيب به النبي من السحر كان في الجوارح والحمد لله لا في القلب والعقل ، وهو عرضة للأفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم يتحلّى به كما حصل له<sup>(١)</sup> كالأوهام التي تطوف بذهن المهنوم ثم يزول .

## ■ البرزخ

قال الكاتب : فإذا جئنا للبرزخ : ﴿ وَمِنْ قَدَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٥٠) . ذلك البرزخ الذي يفصل أرواح الموق عن ديار الأحياء ، فإن

(١) شرح الشفا للقاضى عباس : ٢٧٨/٢ ، ٢٧٩ وشرح التورى حل سلم ١٧٤/١٢ وقته ليلة للسيرى من ٥١١ - ١١٦ الطبعة الخامسة .

القرآن يعود فليكن الضوء على معناه في آيتين منفصلتين ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَلَا عَالِيَهُمْ فَرْجٌ ، وَهَلَا بَلْعُ لُجَجٍ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِهْرًا مَخْبُورًا ﴾ (الفرقان : ٥٣) والحجر المحجور هو المنع الممنوع المحظور .

وقال تعالى ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِصَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ (الرحمن : ١٩ - ٢٠) .

ومن الواضح هنا أن البرزخ ليس مجرد الأرض الفاصلة ، فالأرض الفاصلة لم تمنع من سبيل الأنهار لتصب في المحيطات . وإنما في القوانين التي جعلت المحيطات في الجفص من الأرض ، والأنهار تنزل إليها من حوالى الجبال ، ولو حدث العكس لتولت كل المياه العذبة .

ثم إن الله جعل مياه المحيطات ترتفع في المد - بفعل جاذبية القمر - ولكن بمقدار .. ولو كان القمر أقرب إلى الأرض بما هو .. لكان المد العال الذي يحدث كفيلا بأن يجعل المحيطات تصب في الأنهار فتلوثها ، ولما وجدنا قطرة ماء تشربها ..

إن البرزخ إشارة إلى القوانين الفيزيائية التي تمنع وتضبط وتفظ لكل شيء حدوده ومكانه .. وهذا بقدر ما قاله القرآن الكريم عن الموق : ﴿ وَمِنْ قَدَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٥٠) فليس معنى البرزخ هنا فاصلا مكانيا يفصل أرواح الموق عن ديار الأحياء ، وإنما معناه القوانين المانعة .. فالأرواح بعد الموت تبدأ حياة ذات قوانين مختلفة حالت دون مخاطبة معها ، لأن بيتنا وبينها برزخا ، هو اختلاف القوانين بين حالنا وعالم الأرواح .

## ■ كتيب :

والفسرون ذكروا أن البرزخ هو الحائل الذي يحول بين الموق والحياة الأولى .. قاله الكاتب من أن الحيلة هي طبقاً للقوانين ، لا يمنع منها مانع .. كما أن البرزخ الذي بين البحرين : كونه ذا قوانين - لا يمنع من صحة قول القسرين قديما ، إنه الفواصل الأرضية بين الأنهار العذبة والبحار الملوحة ، فما قالوه ، برزخ فعلا تصام إليه قوانين إلهية أخرى أودعها الله الكون رحمة بن وبعنا خلقه ، سبحانه وتعالى .

## ■ ن . وَتَقَرُّرُ وَمَا يَسْطَرُونَ :

قال الكاتب ... وأغلب الظن أنه ليس قلمنا الذي نكتب به المقالات وتلهمنا فيه

الشياطين ، وإنما المقصود به هنا القلم الإلهي الذي يكتب به الله أقذارنا في القروح المحفوظة ، أو القلم الذي تسطر به الملائكة الملائكة .

أقول : وأغلب الظن أن الكاتب عز عليه أن يقسم الله بهذا القلم الذي قد نعرسه خبير القول فقال : إن المقصود بالقلم القلم الإلهي - إلى آخر ما قال .. وهو صفة منسوبة إليه .. وفي التعبير هذه العبارة أقوال كثيرة .. والذي أريد أن أقوله : إن الله حين قسم بالقلم أراد تعجيد العلم في ظل تعجيد أداؤه الأولى وهي القلم : وكما تلهم الشياطين إضلالنا فكذلك يلهمنا الرحمن عظات بالغة تحفظنا أفلامنا ، بل نكتب به القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والسيرة العطرة ، والعلم النافع ، وكل ذلك مما يجعل العلم منزلة رفيعة في الحياة .. فكما من الله علينا بالمخيل والأعصاب ، ومنها شراب نافع ومنها مسكر يحبس حرام .. كذلك من الله علينا بالقلم إذ قسم به - وهو سلاح ذو حدين - لينبها إلى وجوب الترفع عن أن نخوض به أوصاف الفكر ، بل إن ما يرجح أن المراد هو القلم الذي نكتب به المقالات أن الله عطف عليه الكتابة التي يسطرها الناس ، مشركهم وكافرهم ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . ولو أنه أراد بالقلم الإلهي الذي يكتب به الله أقذارنا لقال : والقلم وما أسطر ، أو وما يسطر وبك .

كما ينبغي أن يكون المراد للملائكة أنه لم يرد لهم ذكر في الآية ولا الآيات التالية لها . وما يرجح أنه قلنا الذي نكتب به أيضا ، أن الآية زلت بالقلم والكتابة عقب الآية التي زلت بالقراءة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ .. وهذا يدل على أن القراءة والقلم والكتابة هي قراءتنا وقلنا وكتابنا .

وقد ذكر البيضاوي أن القلم إنما قلم الله الذي كتب به في اللوح المحفوظ ، وإنما القلم الذي نكتب به لعظم فوائده . وقد ذكرنا وجه الترجيح .

#### ■ آخر والآيات :

قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَيَعْنَدُ أَمُ الْكِتَابِ ﴾ ( الرعد : ٤١ ) . وقال الكاتب : والتفسير الأصح أن الآية للدلالة على سعة المنفرة والرحمة بتدريج تصل إلى اللامعقول ، إلى محول القدر المقدور ، والله حرفة فعل ما يشاء ﴿ لَا يَسْتَلِ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ .. وبذلك أفصح الله الأمل للتائبين ، وجعل التوبة تسخطي القدر المقدور

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .

قوله .. وهذا دليل على مطلق حرمته الله ومشيئته رحمته . وتلهم هذه الخيرية العظيمة مرة أخرى بما يروى القرآن عن أيام الله فهو يقول في إحدى الآيات : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عَلَّمَ رَبُّكَ عَلَى سِتْرٍ مِمَّا تَطْهُونَ ﴾ .. وفي آية أخرى يقول عن الملائكة : ﴿ نَعْرِجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِيقَاتُ عَشِينَ أَلْفِ سَنَةٍ ﴾ ( المارج : ٤ ) .

ومعنى هذا أن أيام الله هي كما يشاء الله ، فإذا شاء أن يكون اليوم بألف سنة ، وإذا شاء أن يكون اليوم بخمسين ألف سنة ، فهو ليس خاضعا لزمته مثلا .. وإنما هو يخضع لزمته .. وهذا شرح علمي رفيع لمعنى الأبدية ، أو زمن من لا زمن له (١) .

#### ■ جواب القول :

والله الذي قاله في فتح باب الأمل للتائبين قول من الأقوال التي جاءت في تفسير الآية ، ولكن عبارة ( محو القدر المقدور ) هي العبارة التي يجب أن يحورها الكاتب ، فالحق المقدور شيء ثابت لا بد من الإيمان بتفاديه ، كما في الحديث ، « وأن تؤمن بالقدر غيره شره » .

في تخصيص البيضاوي للآية قيل في المعنى :

- ١ - محو السمات ونبذ الحسنات مكانها .
- ٢ - وقيل يحو من كتاب الحفظه مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره لها . أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه .
- ٣ - وقيل : يحو ( قرأ ) أي جبالا من الناس .. وثبت ( آخر ) .
- ٤ - وقيل « يحو » الفاسدات « وثبت » الكائنات .

وقرأ نافع وابن عامر وحذرة والكناني ﴿ وَثُبَّتْ ﴾ بتشديد الباء ، وحينئذ ﴿ أَمُ الْكِتَابِ ﴾ - اللوح المحفوظ . إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه .

أقول : وحذف القول الذي يظلمه كل من الفعلين ( يَمْحُو ) و ( يَثْبُتْ ) يحصل كل الوجوه التي قلناها عن البيضاوي ، ولا يحصل ما قاله الكاتب من محو القدر . فالحق لا يسمى قدراً إلا بعد وقوع القضاء الذي قضى الله به في علمه .

(٢) غنى المرجع ص ١٢٧ : ١٢٨ .

إنما الذي يتصور بعد وقوع ما قدره الله هو نحو الآثار الناشئة عنه من سبحة ، أو إزالة للآثار الموجودة ، وبكوت الحى ، وهلاك المادى وهكذا .

كما لا يتحمل قولاً آخر نقله البيضاوى ، وهو أن اشرو والاثبات يراد بهما التامسح والمنسوخ ، لأن التامسح والمنسوخ مظهر للتعارض أو التضاد فى نصوص الوحي .. والتعارض مظهر يدل على عدم صحة دعوى أن القرآن مصدره واحد وهو الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢)

ولقد تضمن كتاب (النسخ فى الشريعة الإسلامية) <sup>(١)</sup> بيان بطلان دعوى النسخ فى كل آية قال مفسر إنها منسوخة .. حتى لم يعد مجال لذكر هذه القضية بعد ذلك .

### ● يوماً عند ربك :

وما ذكره الكاتب عن تفسير الزمن بالنسبة لله فهو جاز ومفهوم ، ولكنه ليس للمنى الذى تحمله الآيات : فتره تعالى : ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج : ٤٧) ليست فى معرض أيام الآخرة ، ولكنها وردت فيها بحمل أحد معنيين : أن الله يهمل بالعذاب العصاة مدة طويلة ، لو أحصيت بالأهام المعروفة فكان - يمكن الحساب - أن يكون اليوم كالرمز الرياضى الدال على ألف سنة .. وفى الأدب القسوى للعامة ، وهى متشعبة من الرمية : «يوم الحكومة سنة» يعنى فى التأتل والصبر .. وسباق الآله يدل على هذا قال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج : ٤٧) .

فهو سبحانه صبور لا يعجل بالعقوبة .

والاحتمال الثانى : أن تكون بيانا لأمد العذاب وطول أيامه من حيث أن أيام الشدائد مستطالة .

وقال البيضاوى : إنه لا مانع من أن تكون الآية على الحقيقة ، بمعنى أن العذاب فى الآخرة يكون اليوم فيه ألف سنة مما تعد من سنى الدنيا .

وهذه الأوجه الثلاثة قيلت فى آية المعارج : ﴿وَفِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (الحج : ٤٧) .

(١) بقلم المؤلف - نشرته دار العربية بدمشق . وانظر أيضا للمؤلف : لا نسخ فى القرآن ... لماذا ؟ مكتبة ودية بدمشق .

سنة ﴿إذ هو يوم من أيام العذاب﴾ «سأل سائل» «بعذاب واقع» «للكافرين ليس له دافع» «الآيات»

ولفظ (ق يوم) يطرأ ويجوز متعلق : إما بالفعل «سأل» <sup>(١)</sup> . أو باسم الفاعل .. «واقع» <sup>(٢)</sup> .

وإذا علم أن الزمن نشأ عن حيرة كواكب فى الفلك .. وأن عالم الآخرة لا يخضع فيه مقياس الزمن لدورة فلكية معلومة لنا ، فإننا يمكن أن نتصور كيف يتعظم أن يكون اليوم ، وهو وحدة زمنية ، أن يكون له وجود حين لا تكون أسبابه ، وهو دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس .

(١) ولتقدير سأل فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - «سائل»

(٢) ولتقدير : بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

## يوم القيامة

■ ماهي القيامة :

قال الكاتب<sup>(١)</sup> : والقيامة باختصار هي تجلّي الله بجلاله .. وخلق بين وجود الله وبين تجليه بجلاله ، فالتجلّي بالذات يحدث الفهر التام لكل شيء .. ولقاء الصور المادية بأسرها ، فلا صورة بالمادة يمكن أن تقوم أمام ذات الله في روحه وكرامه ولجلبه ، الجبال تلدوب ، وكل صنوف الحياة تصحق ، لا صوت ، لا حياة . لقد رفع الله الحجاب عن سبحات وجهه ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾<sup>(٢)</sup> . ويقول يوحنا اللاهوتي عن هذا النور : والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئها ، لأن مجد الله قد أثارها . رؤية يوحنا : ص ٢٦ .

وهو النور الذي لم تحمله الفلوات أول الأمر ، لصفت ، ثم بمنها ربيها في نشأة أخرى ليكون الحساب ﴿ وَلَنُثَبِّتْكُمْ لِيَمَّا لَا تُعْلَمُونَ ﴾ ( التوبة : ٦١ ) نبي في صورة مظاهرة لا تعلمها .. فالقيامة صورة مبكرة لما حدث لموسى حين تجلّي له ربه ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَهْلَةً دَعَا ، وَحَرَّ مُوسَى صَعَقًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

أما تفسير القيامة بنظريات علمية عن اصطدام القمر بالأرض ، أو ذناء الشمس ، أو تقلص الكون وانحراله ، أو تمدده ، أو نشته في الفضاء ، أو اصطدام المادة بالمادة المضادة ، فكل هذا فضول لا مبرر له ، فالإنسان يموت بأسباب وبدون أسباب .. وكذلك تموت الأمة ، وتموت الحضارة وتموت أجناس الحيوان بأسرها وتموت النجوم في أفلاكها .

أقول : وهذا اتجاه لا يفر منه المؤمنون ، بل إيمان بالغيب كرم .

١ - القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص ١٤١ - ١٤٢ .

(١) الزمر : ٦٩ .

(٢) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن ص ١٤٩ - ١٥١ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

ولكن اختيار الكاتب لفظ [ تجلّي الله بجلاله ] - وهي كلمة لم ترد في الشرع بخصوص وصف القيامة - اختيار غير موفق فهو تدلّل في معرفة كيفية وقوعها . لما أنكره الكاتب على ذوى التفسير العلمى للقيامة وقع فيه بالتفسير الخيالى الذى لم يرد به نص إلا نص التوراة الذى اعتمد عليه : والتوراة عرق لا يمكن أن تصلح مصدراً للثقافة ولا غيرها ، وحسبنا ما صوره الله من صفاتها وأعراضها وما ورد من دلائلها .

■ علامات الساعة :

لا يعلم أحد وقتها . ولكن قد جاءت النصوص بعلامات اقترابها ، فيها الدخان وظهور بأجوج وأجواج واجتيازها السد ، وغروج الدابة من الأرض تكلم الناس ، وانتشاق القمر ، وإن تلخ الأرض زيتها ، وقد وردت النصوص بذلك كله ولكن لنا مع الكتاب وثقات .

■ حول الدخان :

قال الكاتب : قال تعالى : ﴿ فَارْكَبِ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ \* يُغَشِّي النَّاسَ فَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ \* رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ ( الدخان : ١٠ : ١٢ )

وفى الإنجيل : رؤية يوحنا : الإصحاح : ٨ : ( ففتح بئر الهاوية فصعد دخان من البئر كدخان أثون عظيم ، فأظلمت الشمس والجو من دخان البئر ) ، وذكر يوحنا أنه يستمر خمسة أشهر فقال : « وفى تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم »<sup>(١)</sup> .

تطيق :

وما قاله الكاتب : قول فى الآية من عدة أقوال أخرى : إذ لال البيضاء فى يوم الدخان للبين :

١ - بأنه شدة جماعه ، فإن الجائع يرى بين وبين السماء كهيئة الدخان ، من ضعف بصره ، أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار ، أو لأن العرب تسمى الشر الثالب دخاناً . وقد ضطروا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها واستنشقوا بالني حين كان بمكة ، وابتعد الإتيان إلى السماء ﴿ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴾ لأن ذلك يكتفها عن الأمطار .

(١) المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٤٧ .

٢ - أو يوم ظهور الدخان المفعود من أشراط الساعة ، لما روى أنه عليه السلام قال : « أول آيات الدخان : وزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عدن آتية » تسوق الناس إلى المعشر . قيل وما الدخان ؟ خلا رسول الله ﷺ الآية . وقال : « بلاء ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة : أما المؤمن فيصيه كهيئة الزكام ، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من متخذه وأذنيه وديره » .

٣ - أو يوم القيامة . أي انتظر يوم القيامة .

والقول الأول يرجعه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ (الدخان : ١٤) - لقد كشف الله عن قريش حين استجارت بالنبي فاستسقى ماء . وكذا قوله تعالى بعدها ترضعاً لذلك اليوم : ﴿ يَوْمَ نَغْشَى الْبُطْهَ الْكَبِيرَ إِنَّا مَسْطُومُونَ ﴾ (الدخان : ١٥) وكان ذلك يوم بدر ..

والقائلون بأنه يوم القيامة قالوا : هي البطشة يوم القيامة ولكن يمنع من ذلك أنه سبحانه وتعالى قال ﴿ إِنَّا نَكْشِفُ الْعَذَابَ إِلَى الْكَفَرِ ، وَالْعُرْدَةِ لَا تَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ .. وَلَكِنَّا قَبْلَ الْمَوْتِ » وهو ما حدث في مكة بعد استسقاء النبي لها ، أو ما يحدث قبل قيام الساعة .. وقد رجعت القول الأول ذكرناه .

ورؤية يومنا لهذا تبشر بالنبي ، فتحكي قصة الدخان الذي جاء قريشا بمكة بسبب الفحط .. كما أن الرؤية تحصل أن يكون الدخان علامة تقرب قيام الساعة .. أما الخلاف في المدة : فالحديث أصدق ، لأن له سندا ، والسند ولو كان ضعيفا - خير من الإنجيل الذي لا سند له .

### ● حول يأجوج ومأجوج :

لأن الكاتب : يشير القرآن إلى أن يأجوج هم الجنس الأصغر ، ( الصين وبنو درويش ) عاشوا في آجال وأحقاب من الجهالة والتخلف ، والشعوب المتقدمة من حولهم تبني أسواراً من العلم والنصح . وذو القرنين وصهر الحديد والنحاس ، كلها رموز للعلم والصناعة التي كانت دائماً تعجزهم وزاء حاجز من الجهل والتخلف ، وتقع حولهم ضداً .. حتى إذا جاء اليوم الموعود ، وتغشوا عن أنفسهم هذا التخلف وأخطوا بفساد الصناعة ، وصنعوا الحديد والصلب والقنبلة الحديثة وجبنه وتكاثروا إلى آلاف الملايين وهدموا السد ( رمز الجهل الذي يعزهم عن العلم ) ساحوا في الأرض وكانت الحرب التي تصنع ختام الحياة ، كما في سفر الرؤيا الإصحاح العشرين :

( متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض ، يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب ، عددتهم مثل رمل البحر ) (وتلغ الألف في الألف الثانية التي بقي على نهايتها ثلاثون عاماً) (١)

تقريب :

وهذا الذي استوى الكاتب عقب عليه بقوله : إنها تدعى الواحدة كنز يد الأخرى ، ولا غلظ إلا الصمت : فكل هذه التأويلات لا يحق لنا أن نؤولها ﴿ وَمَا يَكْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، والساعة لا يعلمها إلا الله ..

وهذا اتجاه قوم من الكتاب ضل عنه الكثيرون بالرغم من أن قوله ﴿ وَمَا يَكْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ليس في موضوع يوم القيامة ، وإنما هو في شأن التشابه من القرآن . ولكن بنى الرزية التي رواها أن القرآن ذكر القصة وليس فيها إشارات تدل على أن الألفاظ خارجة عن حقيقتها إلى المجاز .

بل كثرة التفاصيل في القاديات يؤكد أن المقصد هو الدلالة الحقيقية ، وليست المجازية أو الرمزية قال تعالى : ﴿ وَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ قالوا يا أيها القرين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً (أجراً) على أن نجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال ما مكني (جعلني) فيه رببي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم زمناً (ساجز) . أتوفى زبر الحديد . (كسل الحديد الكبيرة) حتى إذا ساوى بين الصدفين (جاني الجبل) قال انفطروا ، حتى إذا جعله نارا قال : أتوفى فرغ عذبكم يطروا ، (بحاس عذاب) فما استطاعوا أن يظهروا وما استطاعوا أن تغبوا . قال : هذا رحمة من رببي . فإذا جاء وعد رببي جعله دكاء وكان وعد رببي حقا . ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضِهِمْ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَنَجَمَعْنَاهُمْ جُمُعًا ﴾ (الكهف : ٩٣ - ٩٩) .

وقد يقال كيف يمكن الاغتراب من هذه الكتل النارية الملتبة في بناء السد ؟ كانت هناك نيفضة عظيمة تتحكم في الحرارة بالعلم كما فعل في مصر الحديث ، ثم بادت كما بادت حضارة المصريين القدماء يعلمهم الواسع في التحنيط والكيمياء . أم دخلت العجزة في ذلك ؟

وفضلاً عن ذلك فلا يزال سد الصين العظيم أثراً سياحياً يزار ، وكذا سد باب  
الأبواب ، وهو يدل على أن السد حقيقة مادية لبناء ضخمة كما قال بعض المفسرين .  
واسكندر ذو القرنين حقيقة لا يختلف في وجودها إن اختلف في تعيين شخصه من بين  
أشخاص يحملون اسم أو وصف ذى قرنين .

ويقال : إن يأجوج ومأجوج هم المفلول والشار ، الذين زحفوا على البلاد  
الإسلامية بقيادة جنكيز خان من الشمال الشرق لآسيا يجتازين نهر سبجون ﴿ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٦) والحديث المرتفع من الأرض وينزلون يسرعون  
الخطو .

وكان أول غزو لهم غزو بخارى في ١١ ذى الحجة سنة ٦١٦ هـ ثم اتجهوا إلى  
مرقند ، فدخلوها في المحرم عام ٦١٧ هـ فاصبى وخربين ، ثم عبروا جيحون إلى  
نيسابور ، ثم اتجهوا نحو الري فتهبوا ، ثم دخلوا طبرستان ثم فروين وقتلوا من أهلها  
أربعين ألفاً ، ثم اتجهوا نحو أذربيجان ثم تبريز . وفي سنة ٦١٨ هـ دخلوا مراغة فقتلوا  
أكثر أهلها ونهبوا ديارها ، وبذلك تمت السيطرة على ملك فارس .

ولما توفي جنكيز خان سنة ٦٢٤ هـ كانت بغداد بعيدة عن شر القوم ، فلما قول  
المستعصم بالله الخلافة عام ٦٤٠ هـ دخل هولاكو - جنكيز خان - البلاد ، وقتل  
المستعصم آخر خلفاء المباسين ، وأباد الكعب لأغرقها في دجلة ثم وجه جنوده للشام ،  
ولكن قتل زحف مع يبرس إلى هناك وعمل على إبادتهم فكان له ذلك عليهم في عين  
جبالوت ، وهؤلاء هم يأجوج ومأجوج - كما قال طنطاوى جوهرى - يعمرون الجبال  
والغضاب بعيداً عن السد الحديدى الذى وعد الله بزواله مع الجبال يوم القيامة .

أما متى ذلك ؟ فإن النبي قال حين استبقيت من نومه : ويلى لأقرب من شره  
أقرب ، قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعه حلقة صغيرة  
وروى عن ابن كثير أنه قال : هذه إشارة إلى فتح باب الشرواقتن التى كان أول  
بواكيرها قتل عمر ، ثم فتح بابها الأكبر بغارة اكنار ، فهذه استشارة . وليس فتح الروم  
الذى بناه الاسكندر ( وقرى ) ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ جَبَلٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٦)  
والجند القبر ، فهى جملة صانعة والضمير هم يعود على الناس عامة .

● كيف تأتى الساعة ؟

قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَصْلَحَتِ الْأَرْضُ زُرْعُهَا وَازْدَيْتْ وَأُتُوا بِغُلَّتِهِمْ يَوْمَ يَدْعُوتُ

عَلَيْهَا نَفْسًا فَرَّةً لَيْلًا لَوْ نَهَكُوا ، فجعلناها حصيداً كَانَتْ تَمْ تَلْنُ بِالْأَمْسِ ﴾ (يونس :  
٢٤) وفي الآية الأخرى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾  
(التعل : ٧٧) ، فكيف تأتى فى لحظة واحدة والله يقول ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ ؟ أجاب  
الكاتب قائلاً : لا تفسير لذلك إلا أن تكون الأرض كروية ودائرة نصفها ليل  
ونصفها نهار ، ففى اللحظة التى تقوم فيها القيامة تقع على من فى الجانب الذى يكون به  
النهار والجانب الذى يكون به الليل مرة واحدة وهذا هو صدق التعبير إعجاز القرآن فى  
دقة البيان من ناحية ، وفى الإشارة إلى حقيقة علمية وهى كروية الأرض ودورانها من  
جهة أخرى .

فلما قال : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوتُ أَوْ نَهَارًا ﴾ فقط لم يكن صادق العبارة .. تعالى الله عن  
ذلك علواً كبيراً .

ومثل هذه الإشارة العلمية فى الآية قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاضًا  
لَوْ نَهَكُوا ثَلَاثَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ﴾ (يونس : ٥٠) وحين تأتى يقع التجل فىكون  
السمار لكل شيء .. كما ذكرنا فى مفتتح هذه الحلقة .

وهذه دقيقة لطيفة من الكاتب بعدها يكون البعث فى صورة أخرى للناس والحياة  
﴿ يَوْمَ تَبْذُرُ الْأَرْضُ حَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَبْذُرُونَ ﴾ (إبراهيم :  
١٨) - وهذا اليوم أو القيام هو سبب التسمية لذلك اليوم أو هذا الطور بالقيام .

ولما إنجيل يوحنا اللاهوتى : ( ثم رأيت سماء جديدة ، وأرضاً جديدة ، لأن  
السماء الأولى والأرض الأولى مضت والبحر لا يوجد لها بعد لأننا كلنا نقوم للقيوم فى  
التمسك ) ، ﴿ لِمَنْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ﴾ (الأنبياء : ١٦) .

● ملخص بحث القاضى :

أخذت على الكاتب استشهاده على ذلك الجبال يوم القيامة بالآية ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَعًا

يَهَيِّطُ مِنْ عَشْيِهِ اللَّهُ فِي (١) وذلك أن سياق الآية إنما هو في قوم موسى عليه السلام (٢).  
 ﴿كَمْ قَسَمْتَ لَكُمْ مِنْ بُعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَكُنَّ جَارَةٌ أَوْ شَدُ الْقَوْمِ. وَإِنْ مِنْ الْجِبَالِ لَمَا  
 يُصْعَقُونَ أَتَاهَا. وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَلَنْ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ مِنْ عَشْيِهِ  
 اللَّهُ فِي (البقرة : ٧٤)

وما قالته حتى .

\*\*\*

## البحث

يقول الكاتب : « في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ تَبْتُغِي وَاللَّهُمَّ تَبْتُغِي﴾ (الزمر : ٣١)  
 ولا يقول : إِنَّكَ تَسْتَعِينُ ، بل يقول : إِنَّكَ تَبْتُغِي . إذ تبتغي لي وتسمع لي وتقرئ  
 وتعتني بي ، وهكذا شأن كل بشري لا حياة له بذاته ، وإنما الكمال مستمد في وجوده  
 على الواحد الذي خلقه » .

### تهذيب :

فهل يعني الكاتب بالاحتمال - استناد المعلول إلى علته في وجوده ، كما يقول الكافر  
 من الفلاسفة ؟ وهذا جهل لأنه يقتضي بقاء المعلول بقاء العلة أو لئلا يلبث العلة -  
 وهي الله الخالق وهذا محال .  
 لا أظن قوله إلا عيال واحظ أديب ، فهو ليس لغة علمية ولا إسلامية . حقاً ..  
 الإنسان في حياته ملين بياقه ، ولكن الله الذي خلق « خلق الإنسان من عُلُقٍ » ، ولخلق  
 فيه من روحه فأصبحت له حياة ثانية . بالروح التي فيه فإذا شاء أن يتوفاه فبعض روحه  
 وانترجها من جسمه ففارق الحياة ومات .

### ■ العلة في اختيار لفظ « تَبْتُغِي »

قال الكاتب : (٣) « في كلمة - إِنَّكَ تَبْتُغِي - عطفٌ بوقوف الإحساس .. إنها تضحك  
 أمام واقع مفزع ، وأمام حالة في الحاضر لا حالة متوقعة في المستقبل .. إن الواحد منا  
 ليحمل جثته على كتفيه بالفضل ، وفي كل قطرة مرق أو لعابٍ يطرح بُصْعَةً ماتت من  
 جبهته » .

وما قاله الكاتب هو الظلال التي تجعل اختيار اللفظة من الجودة البلاغية يمكن  
 عظيم . ولكنه كلام غير علمي لأن كلمة « تَبْتُغِي » بتشديد الباء تأتي للدلالة على من

« القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من ١٤٩ .

(١) نفس المرجع من ١٥٣ .

(١) القرآن : محاولة لفهم عصرى للقرآن من ١٤٩ .

(٢) القرآن والتفسير عصرى من ١٥٣ : ١٥٤ سلسلة اقرأ .

سبأته الموت ، أما من فارق الحياة فعلا فيطلق عليه لفظ « مَيِّتٌ » بسكون الياء كما قال الشاعر العربي :

ليس من مات فاستراح يميت

إنما الميت منبت الأحياء

وقرى : ﴿ إِنَّكَ مَاتَ وَأَنْتُمْ مَائِتُونَ ﴾ بصيغة اسم الفاعل الثلاثة على الاستقبال أو المضارعة ، والمضارعة قد تستعمل للاستقبال لقرينة الحال أو قرينة في المثال ، وهي هنا قرينة الحال ، لأن النبي ومن معه كانوا موجودين عند الخطاب دون موت فلم أن يكون المراد هو الفعل في المستقبل .

#### ● صورة البعث :

صور الله هذا في قوله : ﴿ اللَّهُ يَرْفَعُ الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالْحَيَاةَ لَمْ تَمْتْ لِي مَبْعَاثُ مَبْعُوكَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ سَعْيِكَ أَعْمَالُكَ فَتَنْبَهُ ﴾ (الزمر : ٤٢) - فالنوم ثم اليقظة هو النموذج المصغر للموت ثم البعث .. فالروح بالية عائدة فلا أعادها الله إلى الجسم المتعاقب بالنوم - كالنور المأمدة - صفا لبقاء كانه نيزون - أو هنر - أو - كالتجولا ، وإن الفرق طائل أكبر من أن يفسر بتغيير مادي يتم في لحظات (١٦)

#### ● منكر الروح :

ينكر الماديون البعث ، لأنهم لا يؤمنون بوجود الروح فضلاً عن خلودها ، ويقولون : « الإنسان ليس إلا الجسد ومجموعة ردود أفعال أو حوافز كحافز الجوع والجنس والحلوف تحركه لإشباعها . فإذا مات أصبح نراباً . وعاد إلى الأصل الذي منه نشأ (١٧) »

والجواب :

١ - أنه لو كانت النفس أو الروح المحركة للجسم هي الحوافز ١ وأنها الآلاف من الناس يفسحون بلقنة العيش ويسكنهم الزوجى في ميل المثل العليا التي يؤمنون بها . والشواهد معروفة .

(١٦) القرآن : عارضة لهم عصى القرآن من ١٦٢ .

(١٧) المرجع السابق من ١٥٩ .

٢ - وإذا كان المرء هو الجسد فكيف يتحكم الجسد في الجسد ويخضعه ؟ وإذا

كانت النفس هي دافع الجوع أو الشهوة فكيف تخضع غريزة الجوع الجوع . وتنيطر الشهوة على الشهوة ؟ إنه لا يمكن تصور ذلك إلا بأن يكون المسيطر على الجسم أو الجوع أو الشهوة شيء داخل الإنسان غير كل هذه الأشياء المحكومة . يسود عليها وسيطر . وهو الذي نسميه الروح (١٨)

٣ - إن الحركة لا يمكن رعبها إلا من خارجها فراكب القطار أو المصعد لا يدرك أحدهما أنه يتحرك وهو في داخل القطار أو المصعد إذا أغلق عليه ولا يدرك حركتها ، وإنما يستطيع إدراك ذلك لو نظر من نافذة .. ونحن ندرك أشياء .. وهذا الإدراك إثبات أكيد بأن هناك شيئين : الشيء المدرك ، والنفس المدركة خارجة (١٩) . فالذي يدرك في نفس جوعها وجعلها وألها وحاجتها للجنس والأمن وطولها وعرضها .. هو الروح التي تسيطر على الجسم فتدبره متعلقة به ومهيمنة عليه وقادرة على الانتعاش عنه .. ولكن كيف هي وماكنها ؟ ذلك هو السر الذي يعجز عنه البشر

٤ - الله خالق الإنسان ومخر الكون له : لا يمكن أن تكون نهاية عبادة الموت فلا بد من البعث والجزاء وتحقيق العدل . ﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْجُلَ مَدَىٰ ﴾ (٢٠) (القيامة : ٢٦)

٥ - وأضيف إل ما قاله أن الطبيب الأمريكي [ دنكاف مكدوجل ] يقول : أنه وزن عدداً من المرضى في لحظات موتهم . وذلك بأن يلمع المريض على سرير حاسب - غاية في الدقة والحساسية ، ويمنعزل من المؤثرات الخارجية ، فيوجد أنه عند لحظة الوفاة يرتفع قبة الميزان ، عارفاً الدعامة العلوية ويسجل فور حدوث الوفاة بمقدار ما خفده الجسم ، فوجدته يتراوح بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ جرام وليس هنالك تفسير لهذا غير أن الجسم خفف وزنه بعد خروج شيء منه هو ما نسميه الروح .

ويقول علماء الطبيعة : الكائن البشرى مكون من جسمين مختلفين في طبيعة تكوينها ، ومتداخلين في الوقت ذاته في بعضها ومغايرة هذين الجسمين لبعضها تابعة من اختلاف تردد الذبذبات الاهتزازية في الثانية الواحدة لكلية .

(١٨) نفس مرجع من ١٦١ .

(١٩) نفس المرجع من ١٦٥ .

(٢٠) سورة ٣٦ .



ويؤكد العلماء أن التردد الذبذبي الاهتزازي للجسم الروحي هو أضعاف مائة على الحال بالنسبة للتردد الذبذبي الاهتزازي للجسم المادي .

ويقصر بعض العلماء عدم مقدومتنا على رؤية هذا الجسم الروحي - بتردده المثل الجاذب عن طاقه إدراكنا الطبيعية ، وعلى سرعته الفائقة التي ينطلق بها ، حيث تقدرها العلماء بسرعة الضوء ( ٣٠٠,٠٠٠ ) كيلومتراً في الثانية الواحدة . ومن هنا كانت حياة الإنسان متوقفة على علاقة هذين الجارين الموقفة - والحوت ماهر إلا مقارفة النفس أو الروح للجسد لتعيش في عالم التبرخ ﴿ ومن ذرائعهم يمزج إلى يوم يحشون ﴾ . وهناك يكون لقاء الأرواح وتعارفها ..

عن يحيى بن عبد الرحمن عن جده قال : لما مات بشر بن البراء وجدت عليه نم بشر وجداً شديداً وقالت : يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة ، فهل يتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : نعم . والذي نفسي بيده يأثم بشر إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رموس الشجر

■ وسألتك عن الروح :

﴿ وتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ : قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُخْبِتُمْ مِنْهَا إِلَّا لَكُمْ ﴾ ( الإسراء : ٨٥ ) .

استشهد الكاتب وغيره من المفسرين القدماء والمحدثين بهذه الآية " على أن الروح سر مجهول لا يعلمه إلا الله . ودوت كتب أسباب النزول ما يزكي هذا الذي زعموه . بينما هناك لرائد يدل على أن المراد بالروح في الآية إنما هو القرآن والوحى ، كما في الآية الأخرى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْمَكِيبُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا فَهَدَى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ جُنُودِنَا ﴾ ( الشورى : ٥٢ ) .

■ كمال القرآن :

قال الكاتب : لا يحفل القرآن بالأمور الوهمية المتغيرة ، ويتركها لأصحابها يحتملون فيها<sup>(١)</sup> . ومن عبارة تتردد كثيراً مخالف الحق ، ومطعن خفى في القرآن .. لقد وضع القرآن الأصول الجامعة التي توفر لكل أمر من الأمور في نبي وقت من

(١) حاتم محمد عبد القادر الأهرام - الجمعة ٢٦ فبراير سنة ١٤٢٩ .

(٢) محاولة لفهم حضري للقرآن ص ١٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٥٨ .

الأوقات الحرة للناسب . والإطار الثلاثي ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا ﴾ ( مريم : ٦٤ ) .  
﴿ وَأَتْرَكَ إِلَيْكَ الْمَكِيبَ قِيَامًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهَدَى ذُرِّيَّتَهُ لِرَبِّهِ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾  
( النحل : آية ٨٩ ) .

\*\*\*

## في كتاب « لغز الموت »

لقد بسط الكاتب الحديث عن الموت والبحث والزمن والحساب والقضاء والتفرق كتابه « لغز الموت » :

وأرى - فائدة للقراء - أن أختصر فكرته في الكتاب ثم أعود إليها مرة أخرى بالتفصيل على ما أرى أن فيه إضافة إلى ما سبق ذكره - وهو لغز الموت « فوق الأصل بسط لما كتبه « ول « هورانت » تحت عنوان « الموت » في كتابه « مباحث الفلسفة »<sup>(١)</sup>.

أما الأفكار التي ذكرها في الموضوعات الأخرى فقد استوحى الكثير منها من كتاب « فلسفة من الصين » للفيلسوف الصيني « لين يونانغ » ، وبخاصة ما ذكره بعنوان « في كوننا ذو معدة » ص : ٥٦ - الترجمة العربية طبعة ١٩٥٣ « وليس في كتاب « الله والإنسان » أية إشارة إلى أحد الكتابين<sup>(٢)</sup>.

### ١ - في الفصل الأول : قال :

يحدث الموت في داخلنا كل لحظة حتى ونحن أحياء ، كل نقطة لعاب ، وكل دمة وكل قطرة عرق فيها خلايا ميتة نشيعها إلى الخارج بدون احتفال . ص ٥ . حتى الأفكار تولد وتورث وتزهر في رؤسنا ، ثم تذبل وتسقط .. حتى المراتف تشمل وتوهج في القلوب ثم تبرد - إننا - معنوي - نموت ، ومادياً نموت ، وأدبياً نموت في كل لحظة . ص ٩ .

ولماذا ترتجف من الرعب حين تفكر في الموت ؟

« السبب أنه الحوادث الوحيد المصحوب برؤية مباشرة . لما يحدث داخلنا من موت لا نراه » ص : ١٠ .

أما ( أنا ) هذه الـ « أنا » لا توجد مابقة واحدة عن موتها . « أنا » من مادة أخرى غير كل هذه الموضوعات . ولهذا أمسك بها وأتاولها وأفهمها ، ولا أستطيع أن أمسك

(١) الله والمثل ص : ١٩٧ .

(٢) الجزء الثاني ص ٣٠٣ ترجمة أحمد زواد الأملق . ط ١ : ١٩٥٦ .

بقسى وأتاولها . « أنا » فوق متناول الجميع . وفوق متناولي أنا أيضاً ، وفوق متناول القوانين والظواهر ، هناك حلقة مفقودة وهي تفتح باباً تدخل منه الفلسفة ، ويتسلل منه الفكر ولكنه باب ضيق جداً يؤدي إلى سراديب أغلبيتها مغلقة ... ورحلة الفكر في هذه السراديب مخيفة مزعجة ولكنها تنير الاهتمام وأي شيء يبعث الاهتمام أكثر من الحياة والصبر ... ومن أين .. وإلى أين ... وكيف ؟

### ٢ - وفي الفصل الثاني :

عسر الكاتب حكمة الموت بالنظرية الفلسفية المشهورة القائلة : الهباء للأصلح ، وبالنظرية الشيوعية التي تقول بوجود تناقضات تؤدي إلى هدم القوى للضعيف حتى بطل الوجود في أقوى وأصلح وأفضل صورة ..

ثم عسر الحب فقال : ونحن نمش في مأساتنا الشخصية ، ونرى الموت كخجوة تضر<sup>(١)</sup> قاعنا تحت أقدامنا ، فتثبت بأي شيء نجده حولنا : نثبت بأمهاتنا ويزوجاتنا ، بأطفالنا .. بأصدقائنا .. نضر بالحب والشوق والحنين إلى يد نمسك بها ونحس من الجرف<sup>(٢)</sup> الذي ينهار تحننا ، ونبصر بالمرأة تمد لنا يديها ولقيا وجسدها .. وتترافس مثل كويكب حاتم على غير الفناء فنبزع إليها محاولين النجاة ، ونشر يحنون اللذة والسرور والفرح ونحن بين ذراعها نضر بأننا نولد من جديد ولبعث ونهرب من المصير .. « إن الحب كله قصة جميلة مؤلفها هو الموت نفسه ، وليس الحب فقط ، بل كل المراتف والتزوات والخاوف والآمال وشطحات الخيال والفكرة والفن والأخلاقي .. كل هذه القيم العظيمة تدب في الموت بوجودها ..

« فالحق أن يحاول أن يجد سبيلاً إلى الخلود ، يحاول أن يترك مولوداً غير شرعي على الباب يحلده اسمه أو تمثال أو قصة قصيرة . ص : ٢٣ .

« لو لم تكن نموت لما شعرنا بالحب لما الحب إلا هستيريا التثبيت والتعلق بالحياة ومحاولة تهريبها - كالتحدرات - في بطون الأمهات .

« لا يوجد شيء في وجودي أو وجودك أفضل من هذه الكلمة الصغيرة « أنا » ص :

(١) عسر تعاد : تفتح لها .

(٢) للكل الذي أكل الله ما كتبه فهو إلى الشوط قريب .

تحدث عن « أنا » فقال :

« أنا » من الخارج إلى حدود : ينتهي طولي عند ١٧٠ سم تقريباً ، في سقف ينتهي جسدي عند ، ولكن من الداخل بلا سقف ، وبلا قعر (أعناق) وأفكار وأحاسيس ورغبات لا تنهى إلا لبدأ من جديد ، كأنها متصلة ينبوع لا نهائي - وهي أعماق في تغير دائم . بعضها يطفو على السطح فيكون شخصي وبعضها يستقر دونه في الظلام » . ( ص : ٢٦ )

وكان الكاتب - بما يقوله بترج مترج علماء النفس الفاضلين بأن اللا شعور والشعور يسكبان في بؤرة للنفس هي الدوافع للسلوك الذي يبرز شخصية الإنسان ولكن هذا السلوك تقيده البيئة والعادات والحاجات الشخصية .. ذلك « أنا » هو الروح داخل ذاتنا ، والروح إرادة لا نهائية لا حد لها إلا نفسها أحس بها ولا أعرفها .. أكابدها ولا أفهمها ، وربما كان السبب أنها أصيلة أكثر أصالة من العقل والفكر ولا يمكن أن تكون موضوعاً للعقل والفكر بل العقل موضوعها وعادتها وسيلها إلى بلوغ أهدافها .. أنا أريد والعقل يبرر لي ما أريد وليس العكس أبداً . ص : ٣١ . ولكن ماهي الإرادة ؟ أنا كالمشرق لا يوصف ، وإنما يكابد ، إنها تطبق عليها كلمة المتصوف الصالح أبي البركات البغدادي « أظهر من كل ظاهر وأخفى من كل خفي » ولكن هل الإرادة موجودة في الزمان ؟ وهل تنبض مثل القلب ، وهل تنمو مثل الجسد ، وهل تتعاقب مثل اللحظات . ولنخفي مثل الحالات النفسية ؟ ثم ماهو الزمان ؟

وفي الفصل الرابع : قال :

قال إنشئين : المادة في حالة انتشار وفي ذبذبة وحركة ، ولهذا فإن لها بُعداً زائداً هو الزمن ، أو الزمن المتعلق بالمكان ، ويسميه « الزمكان » .. المادة مثل حيوان له طول وعرض وسماك وعمر ، والعمر يدخل في تركيبها كما يدخل في تركيب الحيوان . الزمن إحدى الفئات التي يتألف منها نسيج المادة ، وهو أيضاً إحدى الفئات التي يتألف منها نسيج الكائن الحي .. ( ص : ٣٦ ) ولكن ماهو الزمن ؟

٥- وفي الفصل الخامس : أجاب عن الزمن ماهو فقال :

إنه ليست دقائق ساعة الحائط بمقدمة لك إلا زمناً مريضاً ، وضواظاً وأهتاتاً هي

الساعة الحقيقية التي تضبط الزمن وتطيله أو تقصره .. أفراسنا نجعل ساعتنا لحظات .. وآلامنا نجعل لحظاتها طويلة مريوة ثقيلة مثل الستين ص ٣٨ - فالزمن في داخلنا تعلق يصنف بالذوام والاستمرار والاتصال . ( ص : ٤٢ )

وتمكننا التماثل والعرف ، فإذا بنا نقيس الزمن بالساعة وبشروق وغروب الشمس . فنحن لنا ذات داخلية ، وذات جامدة خارجية تحكمها الفرائز والضرورات الاجتماعية ، والخارجية ، تشبه المرحاض النفسي نغرز فيه كسلتنا وضيقنا ومطنا ونفقل فيه وقتنا بانشغالات رخيصة مثل قرقرة اللب ولعب الطاولة . ( ص : ٤٤ )

٦- وفي الفصل السادس : تحدث عن الحب وأنه غير الشهوة . فقال : إن الحب لا يفجره في القلب إلا التصوف والشعور الديني « لأن الدين هو الذي يعيد الإنسان إلى النبع الذي صدر منه ، وبأخذ الإنسان السالط في الزمان والمكان ليرفضه إلى سلوات الأجيال ، ولا يرقى إلى هذه السلاوات إلا الحب ، متى الحب الذي يضيئ العابد عن الله وعن الدنيا شوقاً إلى خالقه .

وما حب الإنسان للمرأة أو الفن أو الجمال إلا خطوات الحق الذي يقوده إلى الله المحبوب الوحيد الذي يستحق الحب ، حين تكشف أن موضوعات الحب للمرأة والجمال والفن لا تملك لها وجوداً حقيقياً ، فالوردة تذبل ، والشمس تغرب ، والمرأة تشيخ ، والمجد يد في الفن يبل . ( ص : ٥١ ) .

٧- وفي الفصل السابع والثامن :

تناول موضوع الإنسان هو سبر أم خير وذكر مشكلة القضاء والقدر وروده المعاني التي نشرها<sup>(١)</sup> وغلاصتها أن للمرأة إرادة في داخله تضغط عليها ظروف البيئة وحاجات الجسد وطاقاته ، وعليه لكي يسلم ألا يقاوم التيار ، بل يجاري السنين الطبيعية للكون . فيرجع يستريح .

\*\*\*

(١) القرآن : محاولة لتفسير عصري . ص ٩٠ الطبعة الأولى .

مناوذه .. تصور غير عظمى ؟ بدليل أن المرء يخرج لملاقاة الأحوال والموت ، من أجل حياة امرأته وأطفاله .

وتمن لا ننسى أننا في عام ١٩٦٤ م شاهدنا المصرية تنازلت عن كليتها لابتها حتى تخلصها من الآلام التي تعانيها ومن الموت الذي يرتقها ، فكرمتها الدولة بمنحها لقب الأم المثالية وغيرها كثير ..

وما الإيثار الذي ذكره القرآن ، ودوى التاريخ الإسلامى له صوراً حية كثيرة ، إلا الدليل على أن المرء لا يحكمه في سيرته الموت الذي نسب إليه الكاتب عمليات الحب والزواج والتقن الرضيع بخلاف به اسمه .

ولا تدري لماذا يضطرب في حديثه عن الحب والقتل يسمى الحب « هتريا » والفعل البدع « مولودا غير شرعى » في الفصل الثالث ثم يجعلها في الفصل الثالث غاية ما يصل إليه المتن « .

٤ - ثم تحدث في الفصل الثالث عن الشعور بالذات أو « الأنا » وجعل العقل والقلب خادمين لا معاد « أنا » الذي له الإرادة التي يعمل في خدمتها العقل والقلب ، وهو حديث خيالي لأنه حديث عن الأمر المجهول للبشر الذي نحس به ولا نستطيع معرفة كنهه ، وما دمت لا تعرف كنهه فمن العبث أن نقول إن العقل والقلب مسخران له . ولماذا لا يكون ما يسميه « أنا » كيانا ، وأجزاء العقل والقلب والجوارح والأعصاب المتفاوتة والسمبالية ، أو أن « الأنا » هو النعيم ، أو النتيجة لكل هذه العناصر مجتمعة في صورة حية ، فليس هنالك خادوم ولا مقدم كما زعم الكاتب .

٥ - وما ذكره إنشئين من غريب أحلوكي للكاتب إنها هو تردد لما لم يقم على صحته دليل بين ، فإن الزمن عنصر - كالمكان - ينمو فيها الوجود ، وتشكل المادة . هذا معروف بالشاعرة .

٦ - وتفسير الكاتب للزمن تفسير غريب . فإمعان « ذاتاً خارجية » هي كالمحاض تضع فيه الآنا ، « ذاتاً داخلية » فيها تنشق الزمن قديمه وحاضره ومستقبله خيالي لا صلة له بالحقيقة ، وهو سرقة شعرية أو كالسرقة الشعرية من قول الشاعر في صفة للكان :

لمعرك ماضت جلاذ يأملها  
ولكن أخلاق الرجال تضيق

## « مناقشة الكاتب »

١ - إن تفسير الكاتب للموت في صورة ( علمية ) بأنه أمر طبيعي فيحدث في داخلنا كل لحظة عملية موت للخلايا ، وتنتهى بموت كل الجسم .. تفسير ليس علمياً ، لأن الخلايا التي تموت ليست إلا أنسجة ما تكون بالمراسم الجسم التي يتخلل عنها الجسم فيندو أقوى وأصبح .. بخروجها ، فهي عملية حياة لا موت إذن ، وسيبقى الموت مظهراً للمعجز البشرى وللقدرة الإلهية المفردة بالحيطة على الإنسان والكون معاً . يصنعه سبحانه بأسباب تنوعها ، أو بأسباب لم يكن يتوهمها الإنسان .

ولو كان الأمر كما قال الكاتب ، لأمكن تحديد الآجال بعد كشف دقيق على أجهزة الجسم ، وبعد تحليله تحليلًا كاملاً .. وهذا من المستحيلات « وَمَا قَدَرُوا نَفْسَ يَأْتِي أَوْفَرُ كَمُوتٍ » ( آخر لقمان ) .

٢ - وأما ما ذكره الفصل الثالث من نظرية « البقاء للأصلح » فهو تبرير لمشروعية الاصطراع بين القوى والضعيف « وتبرير لصراع القوى للضعيف .. وهو مالا يفهمه العلم . فالحياة الفاضلة والمستقيمة تتطلب كل لبنة في الوجود فلا يعرف مقياس مضبوط للضعيف الذي يجب التخلص منه ، ولا للقوى التي يجب أن يفسح أمامها الطريق . لقد يكون المرء ضعيف البنية عبقري الذهن ، وعبقري واحد في أمة أجدى عليها من ملايين الثيران .

إن قصة الحياة والموت في حياتنا المعاصرة ليست إلا كما قال القرآن « فَيُفَوِّتُكُمْ أَفْئَتَكُمْ حَمَلًا » ( الملك : ٢ ) .

٣ - إنها للتنافس المتعارف ، لا للصراع المتحارب ، والأول فيه عمران ورفاهية .. والأخير فيه دمار وفتنة .

ثم إن تصوير الكاتب للحب بأنه « دافع الحرب من الموت والتثبيث بالحياة » فيستعين المرء بالمرأة يحميها ، أو بأطفاله يحميهم ، لأنه يستعين بهم على البقاء ، وقيم يدفن

فهل نقول بمقتضى منطلق الكاتب - إن للمرء مكاناً خارجياً يفتق بالآلام ،  
ومكاناً آخر يتسع بالآمال نسيبه أيضاً ذاتاً داخلية ؟  
إن حقيقة الأمر أن ما سماه تنقلاً إنما هو عمل الروح في الضل ، في تصور قيسى به  
تدريك صورة ما ، في وقت مضى أو سيأتي ، فالإنسان بذاته واحد لا يتقسم إلى داخل  
وخارج ، والزمن هو الزمن ، فليقاط آلامنا عليه عث .

نعيباً زماننا والسيف فينا  
وما لزماننا عيب سوانا

## الفصل السابع

### الجنة والجحيم

- فكرة الكاتب
- بطلان دعوى الكاتب
- وجهة الفكرة - جواب القرآن - الجهل بالمثل .
- أساليب التوكيد للجزاء الآتي .
- فكرة « الناس مقامات »
- الضل والنم والغيرة
- ما حكم تأويل النعم والعلاب ؟
- عودة إلى جنة آدم .
- أدلة الكاتب على عدم وجود نار وجنة حشيين .
- ١ - حوار الكفار وبطلان الشبهة
- ٢ - الذي يخوف الله به عباده .
- وفي الحساب .
- المقري العلمي في الآية ﴿ تَكْفَى يَتْلُونَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيباً ﴾
- الذكر والصلاة - وجه المغالطة
- حديث الثر - إشكال على الكاتب
- حجة الكاتب

## « الجنة والجحيم »

### ■ فكرة الكاتب :

قال الكاتب : وكل ما جاء في الجنة والجحيم ألوان من ضرب المثال واللوان من التقريب ، واللوان من الرمز ، وقد ذكر الكاتب أنها أمثال في هذه الآية ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ - فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ .

وليس إيحاء لأوصاف حرفية .. فهذا أمر مستحيل لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا ، لا يمكن تصويرها في كلمات من قاموسنا ، تماماً : كما يسألك الطفل عن اللذة الجنسية فتقول : إنها شيء مثل السكر لقد اعتدت له شيئاً من خيراتي اليومية ، ومع ذلك ، فما أبعد الفارق بين اللذة الجنسية وبين طعم السكر العادي المبتذل . وبالمثل كان موقف القرآن في غلاظة الهدوى البسيط .. وكل أمانة الهدوى في هجر الصحراء أن يمتزج على منبع ماء عذب ، لأن كل ما يبعد من مياه هي بتأنيج مألوفة آمنة ، وكذلك الذين لما أسرع ما يجتنب ويغير طعمه في حر الصحارى ليضرب له القرآن للكل من أمر ما ينسى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَعِيزُ أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا ، مَا يُغْوِيهَا فَمَا تَوَلَّاهَا ﴾ ( البقرة : ٢٧ ) ، فكل الغاية هي تقريب تلك ألعافى للمستحيلة ، وهكذا قل فيما جاء بالبرودة والإنجيل .

وفصل القول قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُعطِيَ نَهُمْ مِنْ مَنَازِلٍ مِنْ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ( السجدة : ٢٧ ) .

أما جهنم :

فهى شيء فظيع ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ، وَبِذَلِكَ

• القرآن محاولة تفهم عصرى للقرآن من ( ٦٥ : ٨٤ )

( ١ ) المرجع السابق من ٦٦ : ٧٦ .

عَذَابُ غُلَظٍ ﴿١٧﴾ (إبراهيم : ١٧) . ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوتُهَا خَاسِرٌ وَلَجِجَتِهُ ﴾  
(البقرة : ٢٤) . ﴿ لَهُمْ مِنْ قُرُوبِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ، وَهُمْ فِيهَا يَخْتَضِعُونَ ﴾ (الزمر : ١٦) .  
الله به عيكافه ، يا عباد الله اتقوا النار .

فإنه يقول إنه يورد الألفاظ للتخويف ، فالتعذيب والصفاب حق لأن العقول لا يتصور  
أن يخلق الله هذا العالم بهذا النظام الرائع الشامل ثم لا تكون العدالة متوافرة فيه ، إذ  
يحال أن يكون الموت - وفي الحياة ظالم ومظلوم - فلا بد من امتداد للحياة ، بحيث يجد  
استقروا جزاء غيرهم والأشجار جزاء شرمهم ولكن كيف ذلك ؟ قال الكاتب ، الذي  
سوف يحدث لنا بعد البحث أن كل واحد ستلازمه رتبته ودرجته التي حصلها في الدنيا  
لا أكثر ﴿ قَدْ كُنْتُمْ لَمَنِ اسْتَرَفْتُمْ لَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (آخر الفرقان) - فن عاش لا يسع ولا  
يعقل ولا يصبر الحق لسوف يحشره الله أمسي ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيَى . قُلْ :  
رَبِّ أَلَمْ يَحْشُرْنِي أَمْسَى وَقَدْ كُنْتُ بِعَصِيرٍ قَالُ : كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ، وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه : ١٢٤ - ١٢٦) - إنها مجرد صفتك بتلازمك . إن الله لا يعذبك  
ولكن تعذب نفسك بجهلك ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾  
(النحل : ١٨) وفي الآخرة تتزايد الفروق وتتضاعف فابعد بين الذين سوف يكون أكثر  
بمراحل من طرف الدرجة بين حيوان وإنسان .. ﴿ لَنُظَرَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِفَضْلِهِمْ عَلَى  
بَعْضِهِمْ . وَلِلْآخِرَةِ أَكْثَرُ فَرَجَاتٍ وَأَكْثَرُ تَفْصِيلًا ﴾ (الاسراء : ٢١ : ٢٧) -  
﴿ سَيُجِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (الأنعام : ١٢٤) .

هـ إن هذا الصغار الذي سيدب وعرف لأنه سيكون حسرة على صاحبه حين يرى  
مكانته ومكانة الآخرين ومقدار ما حسر ومقدار ما كسبوا وفي الجنة يقول الله :  
﴿ لَيْسَ الْبُلْبُلُ كَالْفَهْجَةِ يَوْمَ نُلَاقُكَ لَكَ ، غَشَى أَنْ يَتَحَكَّ رَيْنُكَ مَلَكًا مَحْمُودًا ﴾  
(الاسراء : ٧٩) - إنها إذن مسألة مقامات . كل واحد يبحث على رتبته ومقامه .

و الله لا يعذب للعذاب وإنما يأتي العذاب واستحقاق الصدور من إحساس من هم  
في أسافل الدرجات بالغيرة الحسد والحوان والخسران الأبدي الذي لا يخرج منه وسوف  
يكون هذا التكامل والتكبير ، بكل الواحد منا بنفسه وبالفرجة التي وضع نفسه فيها ..  
والتي انحدر إليها بأعماله في الدنيا .

## بطلان دعوى الكاتب

### وجبة الفكرة :

هذا الاتجاه ليس مبتكراً ولا جديداً ، بل إنه فكر صليبي ويهودي معروف و قدده  
الباطنية ، حيث لا يتصور التصاري ولا اليهود حشراً ، وبالتالي لا يتصور أن يكون  
الجزء مادياً .. فالبحث عندهم روحى وكذلك الجزء ، وقد سار في هذا الفلك كليل  
الكاتب الدكتور خلف الله في كتابه الذي أنكر عليه العلماء وهو المسمى « الفن  
القصصى في القرآن » وتابعه في هذا الدكتور عبد المنعم ماجة<sup>(١)</sup> .  
وقد ذهب الوثنيون المقاتلون بتناسخ الأرواح إلى هذا المذهب أيضاً فقالوا : إنما  
يكون عذاب المرء بأن توضع روحه في جسم حيوان خسيس شقي بينما الأتقياء تكون  
أرواحها في خلق أرق وأسهل .

### جواب القرآن :

وإنكار التصور المادى للجنة والنار أمر قديم ظهر في الأيام الأولى للدعوة الإسلامية  
فحين نزلت أوصاف جهنم ، وأن عليها ملائكة غلاظاً شداداً قال الكفار : لو كان هذا  
حقاً لطلبنا عليهم بكفرتنا ، ونزلت الآية الكريمة نرد عليهم في سورة المدثر .

والقضية كما صورها القرآن ، وكما جاء الوحي في الرد على الكفار بصدد موقف  
العداد الذي وقفه الوليد بن المغيرة .. نقرأها في هذه الآيات ﴿ سَأَصْلِيه سَعَرٌ \*  
وَمَا أَفْرَأُكَ مَا سَعَرٌ \* لَا تَقْبَلُ وَلَا تَقْبَلُ \* كَوَاحِلَ النَّبَشِ \* هَلْ يَكُنَّ بِنَعْمَةٍ عَشْرٌ \* وَمَا جَعَلْنَا  
أَصْحَابَ الْآثَرِ إِلَّا مَلَائِكَةً . وَمَا جَعَلْنَا جَهَنَّمَ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُظْهِرُوا الَّذِينَ آمَنُوا  
الْكِتَابِ . وَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا . وَلَا يَرْقَابُ الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ  
الْآتِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ : مَا قُلُوبُ اللَّهِ هَذَا مَثَلًا . كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ  
يَشَاءُ . وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جَنَّاتُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر : ٢٦ : ٣٦) .

(١) ماجة : تاريخ الساسي للقرن الثماني ص ١٢٨ طبعة ١٩٥٦ - والفن القصصى في القرآن  
ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ طبعة القاهرة ٢٠٠٠ - ١٩٥١

فكما قال الكاتب هي مثل : قال من قبله الذين في قلوبهم مرض والكافرون ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ ﴾ .

الجهل بالمثل :

وأما قوله : هذا تقريب للبصوى الذي لا يجد الله العقب والذين المطرَج :  
لذا كرت له الجنة في الآية ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي رُوعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾  
فتزهد لقول المستشرقين والصليبيين واليهود : إن دين محمد نزل لقوم بدائيين ، ألا ترى  
كيف خاطبهم فتذكر إلههم وحلم جراً .

والكاتب طيب-حذره - والله أعلم أنه قصير الخيال في اللغة العربية فكلمة مثل  
الجنة ، مبتدأ ذكره الله ليقارن بين أهلها وهم فيها ، وبين الكفار وجزائهم .. فالخير  
ونعمة الجنة هو قوله ﴿ تَكُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ إلى آخر الآية .

ولم يذكر الله أن مافي الجنة من ماء ولبن وحمل وغيره هو مثل - كما فهمه الكاتب .  
ونص الآية - حتى تنطبع الصورة - ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي رُوعِدَ الْمُتَّقُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ  
مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلخَّالِينَ ، وَفِيهَا مِنْ  
عَسَلٍ مُتَفَلِّئٍ ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَنْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ - تَكُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ  
وَسُقُوا مَاءً سَمِيمًا ، فَطُلِعَ انْفِعَامُهُمْ ﴾ . لجملة ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ ﴾ إلى آخرها : بيان  
لصلة الجنة وحالها لهم كما يقول النحاة جملة حالية ، وليست واقعة خبراً عن مثل ..  
بل يقل الخبر عن المثل يحتاجه المخاطب ، ولا تتم فائدة الكلام إلا بذكره .. وهو قوله  
سبحانه ﴿ تَكُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ۖ ﴾ .

والآية أسلوب خبري صورة ، وهو استفهام للثني والإعجاب بلاغة .. والتقدير هل  
يسوى في المثل جزاء المؤمنين جنة فيها أنهار .. وجزاء من هو خالده في النار ؟  
وجسود المفسرين على أن كلمة ( مثل ) بمعنى « صفة » وقال الزجاج : ( مثل  
الجنة ) جنة تجري فيها أنهار ، كما يقال : مثل زيد رجل طويل نسيم ، فيذكر عين  
صفات زيد في رجل منكراً لا يكون هو في الحقيقة - إلا زيدا . تلك هي أقوال  
المتخصصين في علوم اللغة والتجسيم تخصي مع ما جرى عليه السلف من المسلمين - إذن

ما المراد بالمثل الذي قال الله فيه ﴿ إِنْ أَفْكَ لَا يَسْتَحْسِبُ أَنْ يُقْرَبَ مَثَلًا مَا ، يُعْرَضُهُ فَمَا  
يُوقَفُ ۖ ﴾ ؟ ( الآية : ٢٦ من سورة البقرة ) .

المراد التشبيه والتصوير ، ويتم بذكر المشبه والمشبه به معاً . كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ قَلَسْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ وَلَكُمْ  
اجْتُمَعُوا لَهُ . وَإِنْ يَسْأَلُكُمْ الْدِّهَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَعْدُونَ مِنْهُ ضَعُفَ الْمَطَالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾  
( الحج : ٧٣ ) .

وقيل : إن هذه الآية هي التي نزلت بسبب آية البقرة : ٢٦ السابق ذكرها ،  
فالشبه هو الأوثان العاجزة عن الدفاع عن نفسها تبلغ درجة حاللة ، إلى حد أنها لو  
سألت الدباب مع أنه من أغنى الحشرات على شيء من الفرائين التي تقدم إليها وعلبت  
الأوثان إلاها لم تستطع هذه الأوثان أن تستلذها - فهي إذن أضعف من الدباب .  
وإذا كان الدباب ضعيفاً لا يستحق العبادة . فكذلك الأوثان الضعيفة لا تستحق  
العبادة .

فهنا في هذه الآية بين الله أن ما يذكره من تصوير ضعف الأوثان وعجزها ضرباً  
للسل ، بخلاف الآية التي ذكرها الله عن صفة الجنة فهي على التحقيق .

ومن المظاهر التي تدل على أنها للتحقيق قول النبي ﷺ : إن في الجنة لشجرة يسير  
الراكب في ظلها مائة عام ، رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ومن أمثال القرآن ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِيهَا  
بُضَاءٌ ﴾ .. الآية : ٥٦ : النور - فالشبه نور الله والمشبه به مشكاة فيها مصباح ، إلى  
آخر النظر .

ومن أمثال القرآن كذلك ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ  
الَّتِي لَفَّتْ شِبْهَ وَرْدٍ وَأَوْعَنْ أَلْيُوتَ كَيْتُ الشَّجَرَةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ( التكاثر : آية )

١٤١

(١) رواه البخاري في هذه المثل ٨ - وتفسير سورة (١٦ و ١٧) والرقائق (٥١ و ٥٢) - وسلم في كتاب  
الجنة فقط مائة عام لا يتطاعها ج ١٧ ص ١٦٧ - والترمذي (ج ١ : ١) وتفسير سورة (٥٦ : ١ و ٢)  
ولين حاج في العهد : (٣٩) - والندوي في الرقائق (١١٤) وأعيد ج ٢٥٧ - ٤٠٤ - ٤١٨ -  
٤٢٨ - ٤٥٢ - ٤٦٢ - ٤٦٩ - ٤٨٧ - ٣ - (١١٠) - ١٢٥ - ١٦٤ .

(١) وجرى على هذا الإمام الزعفراني في تفسيره للآية .



أولاً: ترى في المثال أن المشبه هو ثلث الوثنيين بالأسنام واحتياطهم بها - رغم ضعفها - والمشبه به هو بيت العنكبوت الضعيف ، فكأن أن الاحتماء ببيت العنكبوت صحت .. فكذلك الاحتماء بالأوثان ، ووجه التشبه هو الضعف في كل من المشبه والمشبه به ، واستعراض آيات الجنة والنار يرينا أنها على سبيل الحقيقة وليس من باب ضرب الأمثال.

#### ■ أساليب التوكيد للجزء المادى :

يل إن العالم بأساليب اللفظ يرى فيها التأكيد للصورة المادية وعدم إحمال إرادة المثال أو الجاز أو التشبيه . ومن أمثلة ذلك ما يأتي :-

١ - الآية التي ذكرها الكاتب في محله : ﴿ عَلَى الْجَنَّةِ ﴾ يؤكد أنها على الحقيقة عدة مؤكيدات ، منها :

( أ ) التكرار للجملية بالخال : أى ذكر الجملية التي تكون عليها الجنة بعد ذكر الجنة ، وطول الصورة ، وتفصيلها . ثم ذكر الإجمال بعد التفصيل : فالتفصيل أنهار من ماء .. وأنهار من لبن .. ثم قال في إجمال ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ . فهذا التفصيل تفصيلاً - حل أشياء ، مع إعادتها بالنسب الإجمالي - تأكيد لها .

( ب ) ذكر الله الشمة النفسية ، أو صفه بالأمن والسلام ، والطمأنينة الروحية . في قوله بالآية ﴿ وَمَعْرِفَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ بعد ذكر الجانب المادى - يؤكد حقيقة الجانب المادى .. فطمأنينة النعم والبلاغة يقولون : العطف للجمل أو الكلمات على بعضها يقتضى المغايرة بين مدلول المخطوف والمعطوف عليه . فبعد ذكر الأنهار وذكر الثمرات ... الله سبحانه : ﴿ وَمَعْرِفَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ومن هذا في القرآن آيات الواقعة ( ٦٥ ) - إلى ( ٦٦ ) . وآيات الزخرف ٧٢ ، ٧٣ . وعليها أن نفهم الذين حين تتفاد من مصادره الأصلية ، وهي الكتاب والسنة - طبقاً لقواعد لتبنيها القوية التفصيلى ..

٢ - آيات المدثر التي ذكرناها : .. مما يؤكد إرادة الحقيقة منها - لا الجاز - ما يأتي :-

( أ ) تنوع الأسلوب بين الأسلوب الخبرى ﴿ مَا صَاحِبُهُ مَعَكَ ﴾ والإنشائي ﴿ وَمَا

أَفْزَاكُ مَا مَعَكَ ﴾ ؟ وهو إطناب يكرر تأكيد الحقيقة ، وقد بين حالها بأنها : ﴿ لَا تَقِي وَلَا تَكْفُر ﴾ الواقعة في خبر ﴿ أَى تَقِيرَ أَلْوَانِ النَّاسِ ﴾ بسبب إحراقها لهم .. ( ب ) أسلوب القصص : بلغنى والاستثناء (١) ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ .

( ج ) النص على أن من يشك في أن ملائكة جهنم « وهم خزنها ، تسعة عشرة كافر لو متاق » حتى لو آمن بوجودهم - قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا ذِيئَةً لِلنِّسَاءِ كَفَرُوا ﴾ . بل قوله تعالى : ﴿ وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ لِلَّذِينَ تَرَءَ وَالْكَافِرِينَ مَاذَا لِرَأْدِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ مَلَأَ ﴾ .

٢ - ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا مَن حُشَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّةٌ هَارِيَةٌ ، وَمَا أَفْزَاكُ مَا هِيَ ؟ قَدْ كَانَتْ ﴾ ( أواخر سورة القارعة ) .

بعد تقرير أن « الله ، أى مصوره هارئة » يعنى جهنم : وهو أسلوب تعبى ، أثار سؤالا من ماهيتها وذكر جوابه يؤكد المراد منها وهو ﴿ قَدْ كَانَتْ ﴾ . على الحقيقة يريد أن نرى نوعهم لإرادة الجاز .

٣ - وفال سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا فَطَعْنَاهُمْ مِنْ أَبْوَابٍ مِنْ تَارِ يُقْبَضُ مِنْ قَلْوٍ دَعْوَاهُمْ إِلَى الْحَيِّمْ » يشبهه ما في بطونهم والجلود « وهم مقاع من حديد » كلما أرادوا أن يخرجوا منها من هم أعينوا فيها وطوقوا عذاب الحريق ﴾ ( الحج : ١٩ - ٢٢ ) . وهي تؤكد العذاب الحسى في أول النص - ثم الحسى والمعنوى في الآية الأخيرة .

٤ - آيات النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِبُهُمْ قُلُوبًا ، كَلِمًا نَصِيبَتْ جُلُودَهُمْ بِذَلِكَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَلْعَنُونَ الْعَذَابِ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا » وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الَّذِينَ فِيهَا أَبَدُوا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدِينَ ﴾ ( النساء : ٥٦ - ٥٧ ) .

( أ ) تأكيد العذاب بالنار الحسية واضح في ابتداء الجملة بأن التي تدل على التأكيد ، ثم في صيغة التكرار والثبوت - ﴿ كَلِمًا نَصِيبَتْ جُلُودَهُمْ ﴾ ثم إن التعليل

(١) التي مثل ( ما ) في الآية والاستثناء ( إلا ) في الآية ، والنص يفيد زيادة التخصيص والتأكيد ، فكانت قال : أمطبت لهم مقصورة وظيفتهم على جنس الملائكة .

(١) الأسلوب الخبرى يراد به الإخبار أما الإنشائي فله حجة لإستخدام قر السبب قر الأمر أو النهى .



﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَكَانُوا  
مُسْلِمِينَ \* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمُ تُحْبَبُونَ ﴿ ثُمَّ ذَكَرَ الْجَنَابَ الْمَادِي ﴾ يُطَاعُ  
عَلَيْهِمْ بِصَحَابٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا  
عَالِمُونَ ﴿ (الزمر : ٦٨ : ٧١) .

وأعاد ذكر الأنس العاقل مرة أخرى مع الأمن فقال ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَأَنْتُمْ  
صَالِحٌ مِنْ آلِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَفُراتُهُمْ ﴾ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \*  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْصِي الْدَّارِ ﴿ (الرعد : ٢٣ - ٢٤) وقال تعالى في آخر  
الفجر : ﴿ بَآئِنًا مِنَ النَّفْسِ الْمَعْمُومَةِ ﴾ الرُّجُوعِي إِلَى رَبِّكَ رَاحِيَةً مَرْغُوبَةٍ \* فَانْصَلِبْ فِي  
عِيَادِي وَادْخُلْ جَنَّتِي ﴿ .

فالنفس الراضية المرغوبة المطلقة هي النفس التي في جنة الكاتب ، أي أنهم  
وصلوا إلى منتهى النعم الذي يتخيل الكاتب أنه الموهود الذي وعد به الصالحون .  
فكيف يقول الله لهم بعد ذلك ﴿ وادْخُلْ جَنَّتِي ﴾ إلا أن تكون جنة أخرى غير الخاصة  
بالنفسية ؟ فلا بد إذن أن تكون الجنة التي يدخلها ذوو النفوس المطلقة بالراحة والرضا  
الراضية ، شيء آخر غير الطمانينة والرضا والسكينة .

#### ■ العذاب بالصغار والندم والغيرة

ما زعمه الكاتب من العذاب بالصغار والندم إن هو إلا جزء من العذاب فقط ،  
فقد ذكر الله لدم الكفار والعصاة يوم الحشر والحساب فقال في الظالمين ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُ  
الظَّالِمِينَ عَلَى بَنِيهِمْ يَقُولُ : بَآئِنًا أَخَذْتُ مِنَ الرُّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان : ٢٧)  
وقال : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَقِيلَتُهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَلْفَتْهُمُ  
سُوءُهُ الدَّارِ ﴿ (حشر : ٥١ - ٥٢) .

والجانب ذكر الله هذا العذاب النفسي لهم ذكر العذاب المادي والحس فقال :  
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا لِلظَّالِمِينَ نُزُلًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يَقَالُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ  
يَسْجُرُ الْوَجْهُ ﴾ بِسْرِ الشَّرَابِ وَمَاءٍ مَرْتَقًى ﴿ (الكهف : ٢٩) .

وهذا التفصيل للصورة التي يعدها الظالمون بنى أنها على الحقيقة . وإن من المعلوم  
أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال : والذين عرّف عليهم القرآن بما أن يقال : إنهم  
يدركون المعنويات ، أو لا يدركونها .

فإن قيل : نعم يدركون ، قلنا : ولهذا عرّف خطاب الله وذكر لهم ما يدركونه ،  
فجعل من العذاب عقاباً نفسياً ، وجعل منه حسياً . وما ثانوا على مستوى يفهمون فيه  
المعنويات : فقد ذكر الحس<sup>(١)</sup> لهم لا يكون إلا على حقيقته ، دون تأويل أو تعطيل .  
فإن قيل : لا يدركون إلا الحس قلنا : فلم ذكر الله ما كان معنويًا ؟ أيعاظمهم بما لا  
يستطيعون إدراكه ؟

وقد قال الله : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرَوْنَ الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هُمْ مِنْ مُذْكَرٍ ﴾ ؟ هل نهم القرآن  
بعدم البلاغة لعدم توافقه مع مستوى المخاطبين ؟ إن هذا مستحيل ، ولذا كان الواجب  
التصديق بأن العذاب منه حسي ومنه مادي . وقد تحدث الله عن العذاب الروحي ،  
وكان العرب يتصورون ما قاله سبحانه ألا تسمع قوله في ذلك ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ  
خَيْرٌ مُنْكَرًا وَأَخْصَرُ مَكِيلًا ﴾ (الفرقان : ٢٤) .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَافِقُونَ ﴾ ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ  
الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ \* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ  
وَأَزْوَاجُكُمُ تُحْبَبُونَ ﴿ ثُمَّ ذَكَرَ الْجَنَابَ الْمَادِي ﴾ يُطَاعُ عَلَيْهِمْ بِصَحَابٍ مِنْ ذَهَبٍ  
وَأَكْوَابٍ . وَلَهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا عَالِمُونَ ﴿ (الزمر :  
٦٨ - ٧١) .

وأعاد ذكر الأنس العاقل مرة أخرى مع الأمن فقال : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا  
وَأَنْتُمْ صَالِحٌ مِنْ آلِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَفُراتُهُمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \*  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْصِي الْدَّارِ ﴿ (الرعد : ٢٧) .  
وقال سبحانه : ﴿ مَنْ يُضْرَبْ عَنْهُ يُؤْتِمْ لَهُ وَجْهَةٌ ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ الْمُبِينُ ﴾  
(الأنعام : ١٦) .

﴿ فَتَحْنُ أَتَوْا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ، وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾  
(الأنعام : ٨٢) .

﴿ وَجُودٌ يُؤْتِمْ مَشْفُوعٌ ﴾ حَاجِكَةُ مُشْتَبِهَةٌ ﴿ (عبس : ٢٩/٢٨) ومن ثم  
الاجابة لا ادعاء الكاتب .

(١) الحس : الحسوس .

ثم إننا لا نقبل من الكاتب دعواه أن الله نزل فهبط بفصاحة القرآن وبلاغته معنى  
ومعنى من أجل تجهلة البادية ؟ لأن القرآن نزل للناس كافة ، من أعلى القمم العقلية  
الرائدة إلى من هم لها تبع .. وهم الناس كافة إذن كما قال سبحانه : ﴿ تَكْوِيلَ الْبَيِّنَاتِ ﴾  
نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نُبُوءًا . وليس كتابا منزلا للبؤس خاصة حتى  
ينزل القرآن إلى مغافير بيته هزيلة .

### ما حكم تأويل النعيم والعذاب ؟

قال الإمام الفراء : من اعتقد بوجود الجنة والنار ولكن قال : إن السعادة عبارة  
عن لغة روحية ترتد لديها على اللغة الجسدية الحاصلة من الطعام والتمتع اللذين تشترك  
فيها الهائم ، وتعالى عنها رتبة الملائكة ، وإنما تلك السعادة اتصال بالجواهر العقلية  
للملكة ، وابتاع نيل ذلك الكمال .

واللذات الجسدية محفوفة بالإضافة إليها ، وإن الشقاوة عبارة عن كون الشخص  
محبوبا من ذلك الكمال العظيم كله ، الرفيع شأنه ، مع الشوق إليه والشفقة به ، وإن  
ألم ذلك يستحضر معه ألم النار الجسدي ، وإن ما ورد في القرآن مثل لعوام الخلق لما  
قصر لهم عن ذلك تلك اللذات ، فإنه لو تعدى النبي في تربيته وتربيته إلى غير  
ما ألقوه وتشوقوا إليه ، وفرحوا منه ، لم تبعث دواعيهم للطلب والحرب ، فذكر من  
أشرفها عندهم ، وهي المديركات بالحواس من الحور والقصور ، إذ تحظى بها  
حاسة البصر ، ومن الطاعم والمناكح إذ تحظى بها القوة الشهوانية ، وما عند الله لعباده  
الصالحين غير من جميع ما أعربت<sup>(١)</sup> عنه العبارات ونهت عليه . ولذلك قال تعالى فيما  
حكى عنه النبي ﷺ : « أَخَذْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ،  
وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » مصداق ذلك في كتاب الله ﴿ فَلَا تَطْمَئِنُّ نَفْسٌ مَا أُهِنَ لِمَنْ مِنْ  
قَرَّةٍ أَوْ هَوْنٍ حِوَارٍ حَتَّى يُؤْتَى مِنْهَا غُزَّةٌ مِنْ ثَمَرٍ حَلَالٍ ﴾ وكل ما يسرك من الجسديات فقد خطر على  
قلب بشر لو يمكن إخطاره بالقلب . فالنبي نطق به أنه لا يجوز التوقف في تكبير من  
يشتد شيئا من ذلك ، لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع ، ولجميع كلمات القرآن  
من أولها وآخرها .

(١) أعربت : فانت .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة حديث عن أبي هريرة وسدث ٤٢٣ ورواه الطبراني في  
الكبير عن الحسين بن جعفر بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده كما في الجامع الكبير ٢٢٤٩/٢٧٣٥ .

فوصف الجنة والنار لم يفتن ذكره مرة واحدة أو مرتين ، ولا جرى بطريق كتابة أو توسع أو تجوز ، بل بالفاظ صريحة لا يتأذى فيها ولا يستأرب ، وإن صلب الشرح أراد بها المفهوم من ظاهرها ، فالمصير إلى ما أشار إليه هذا القائل تكذيب وليس بتأويل ، وهو كثر صريح لا يتوقف فيه أصلاً .

إشارة اعتراض :

ثم قال الغزالي : « وبذلك تعلم على القطع أنه لو صرح مصرح بذكر الجنة والنار والجنود والقصور - فيها بين الصحابة - لبادروا إلى كفه ، واعتقدوا ذلك منه تكذيباً لله ولرسوله فإن قيل : لهم كانوا يقولون ذلك ويبالغون فيه حسماً لئلا يصريح به إذ ومصلحة العباد تقتضي ألا يجري الخطاب معهم إلا بما يليق بأنفهامهم ويؤثر في نفوسهم ، وإلا دواهم . وإذا رعت عن نفوسهم هذه الظواهر وتقصرت عقولهم عن ذلك اللذات العظيمة أنكروا الأصل وجحدوا الثواب والعقاب .. وسقط عنهم تمييز الطاعة عن العصيان ، والكفر عن الإيمان .

لنا فقد اعترضت بإجماع الصحابة على تكفير هذا الرجل وقوله لأنه موضح به ، ونحن لم نزد على أن الموضح به كافر يجب قتله ولد ولحق الاتفاق عليه .

وبلى قولكم إن سبب تكفيرهم مراعاة مصلحة العوام . وهذا وهم وظن محض لا يفتى عن الحق شيئاً ، بل نعلم قطعاً أنهم كانوا يعتقدون ذلك تكذيباً لله تعالى ولرسوله ورداً لما ورد به الشرح ولم يفتنه العقل . فإن قيل : فلم أولم آيات الصفات واحداً منها مثل ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وإن الله خلق آدم على صورته .. ولم تجرؤوا على الظواهر ؟ قلنا : لأن القرآن صرح بنفي إرادة ظاهر اللفظ فقال : ﴿ كَيْسَ كَذِيبُ شَيْءٍ ﴾ .

ومعنى « على صورته » أى خلق آدم على شبهة التى نزلت عليها الآن ولم يمر بأطوار من أطوار الخلق والتكوين .. فالحديث معجزة خالصة على صدق نبوة النبي ، لأنه به يمكن الرد على نظرية التطور قبل مجيء « داروين » بها بنحو ثلاثة عشر قرناً .

## عود إلى جنة آدم

ذكر الكاتب في الحلقة الثالثة عن الجنة التي كان فيها آدم ، والتي تنتظر التائب ما نصه ، يشرح لنا القرآن أن الخلاص على الأرض ممكن ، وذلك بأن يفتن الإنسان إلى الخطأ . ويعود إلى الجنة التي ضياعها أبوه . جنة الطاعة والإسلام للتوأميس الإلهية وعنده هي الإثابة والرجمة التي تكرر في كل صفحة من القرآن . يفتن الإنسان أنه لا يملك إلا ضميره ( قدس الأقداس ) الذي تركه إله حراً بالفعل ، فيسلمه خالصاً لله وينتج به مختاراً طائعاً . وقد وكل أمر نفسه إلى حاله ولخصه لتوأميسه ، بفعل هذا وقد أدرك أن مشيئة الله واحدة إن طوعا وإن كرها ، وإن الله هو الخالق المهيمن على جميع الأسباب وأنه هو الوحيد الذي يملك الهداية والعلم والقدرة (١) .

تعقيب :

ونحن نوافقه على طريق الخلاص من العذاب فذلك هو الذي يسمى .. « التوبة » النصوح ولكن هذه العودة إلى طاعة الله والإسلام إلى التوأميس الإلهية التي أودعها كتابه للطور في القرآن ، وكتابه المنشور في الكون ، هي السبيل إلى جنة أخرى مادية فيها للناس المادى والروحي معاً .. كما في سورة الواقعة مثلاً .

قد قال تعالى في النجم المسمى من الرزق والطعام والشراب : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ في جنات النعيم « ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ » ولليل من الآخرين « عَلَى سُرُرٍ مَوْجُوَّةٍ » أى منسوجة بقضبان الذهب والجواهر « مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ » يقولون عليهم ولقد أنعم الله عليهم « يَا كُتَّابَ » وأما « وَكَأَنَّمِنْ مَعِينٍ » ( خمر جارية من منيع لا ينقطع ) لا يبعدون عنها ولا يترقبون « ( لا يذهب عنهم ) » ولا يحكة فيما بينهم « وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَشْتَهُونَ » .

(١) رواية البطولي في الإستدلال : ١ - وسلم : ( بر : ١١٥ ) وليلة ٢٨ - وقصد : ١٦٣ - ٣٤٤ - ٣٥١ - ٣٧٢ - ٣٣٤ - ١٦٣ .

(١) القرآن محولة فهم مصرى للقرآن ص ٩٠ .

- ثم ذكر الجنس فقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۚ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

- ثم قال عن الراحة النفسية وعواملها ومظاهرها .. ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَى وَلَا تُكَلِّمًا ﴾ - أى قولاً فاحشاً أو مؤثماً - ﴿ إِلَّا قِلِيلًا سَلَامًا مِلاً ﴾ (الموتاة : ١٠-٢٦) .

- ثم عاد القرآن إلى ذكر فئة أخرى من أهل الجنة ، وذكر جزائهما اللادى قالوا ﴿ وَأَصْحَابُ اليمينِ ۖ مَا أَصْحَابُ اليمينِ ۚ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ - نيق خضد أى أنزل شوكه ﴿ وَطَلْعٍ مَخْضُودٍ ﴾ - أى موز منظم بعضه فوق بعض - ﴿ وَجِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ - أى دائم - ﴿ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ - أى جار دائم ﴿ وَلَا كَيْدٍ كَثِيرٍ وَلَا مَطْوَعةٍ وَلَا مَعْرُوفٍ ﴾ ، ثم ذكر متعة الجنس فقال ﴿ وَفُورٍ مَرْفُوعَةٍ ﴾ - كنى عن السرور العالية بالنساء . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۚ فَجَنَّتْ لَهُنَّ أَنْبَارٌ ۖ غَرِيًّا ﴾ (أى مصحبات إلى أزواجهن - أزواجهن متساويات في السن ..) .

والتنوع بين ما هو حسى وما هو نفسى ، دليل على إرادتها معا .. وحصل إحداها على الآخر ترجيح لأحد الطرفين بدون مرجع ، بل ترجيح للمرجوح ، لأن المألوف أن يحصل المعنوى على الحسى ، وليس العكس ، فيشبه ذو الجاهل المعنوى بالقمر ، ولا يشبه القمر بالجميل .

وقد اختلف الألفسون في جنة آدم : أهي الجنة التى وعدنا بها في الآخرة ؟ أم أنها الجنة بالحقى اللغوى وهو الحديقة ؟ .. ولكن أدلة أما تفسير الجنة بأمر معنوى لم يرد في اللغة ... ونخالف به فهم العرب الذين حملوا إلينا اللغة ومن بعدهم طوائف زهاد أربعة عشر قرناً ، فذلك مالا يمكن أن ينجح إليه هائل أريب .

وقد اختلف المفسرون في بيان الشجرة : أهي الحنطة ، أم الكرم ، أم غيرها من الأشجار المعروفة حسياً ؟ . أما قول الكاتب أنها ، رمز الاتصال الجنسي ، فنقول غريب ومردود . فنقول الكاتب : ( إن دليل كون الشجرة هو الجماع ، هو أن آدم وحواء نجلا من أصلها كما نجبل نحن من العملية الجنسية ) قول لا يقبله العقل ..

فقد كانت حواء زوجة ، قال تعالى ﴿ عَطَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وجماع الزوجة حلال ولا نجعل منه وكفى الله عن الجماع بالفسس والرقص

وإتيان الحرث .. ولم يعرف في اللغة الكتابة عن الجماع بالشجرة ، وكل تفسير خالف اللغة فهو باطل .

هذا فضلاً عما روته من أن الله إنما ألقي الشهوة في آدم بعد عيونه من الجنة .

الحق : إننا خلقنا في حياتنا الدنيا طبقاً لتأموس الموت المجهول سره كجهل سر الحياة ، وقانون الخلايا المتجددة التي تنتهي بالضعف والموت حين يشاء الله للإنسان أن يموت بذلك القانون : لأننا في دار القضاء : أما هناك ، في دار الخلود ، فسنبأد ، بخلقنا بطريقة تقبل الخلود .. في النار والجنة ، وكما خلق الله الروح لأبلة للخلود . رغم قتاه البعث ، فهو قدر على أن يحصل بعت أجسامنا بحيث تكون خالدة كالروح ..

والدليل على أن بعثنا سيكون بطبيعة أخرى أننا رأينا أن النبي ﷺ بصف ضرمن الكافر بأنه كالجيل ، وكان تصور هذه الضخامة يقابل من الرغيل الأول بالتصديق التام ، دون استطلاع رأي العلم ، أما في عصر العلم فإننا حين نستطلع يؤكد لنا هذه الحقيقة .. إذ أن جسم الإنسان مكون من خلايا متنوعة ..

والحقيقة الحية من أنواع هذه الخلايا .. ثبت علمياً أنها تتحرك في نموها وكيفية غذائها داخل الجسم بطريقة غير التي تتحرك بها لو عزلت عن باقي الخلايا ..

وفي ١٧ من يناير ١٩١٢ بدأ العلماء أول تجربة لذرية قطعة من نسيج حي بعد مطاوعتها لجسد صاحبها ، فرأوا أن قطعة صغيرة تحتوي على بضعة خلايا فردية لو استمرت تعيش خارج الجسم الإنساني لوصلت هذه القطعة التي لا يزيد حجمها على مليتر مربع - في غضون سنة واحدة - قدر وزن الشمس ١٣ ألف مليون مرة .. ولهذا لم يكن غريباً أن تكون أجيال الناس يوم القيامة بطريقة أخرى ، وفي الضخامة التي جاءت في السنة ، لأن الله حين ينسج هذه الخلايا الحية ويهيئها قد يحيطها بما يحيطها تنمو نمواً مثبداً بالنسبة لما رأت في تجربة ( د : الكسيس كاريل ) التي ذكرناها ، ونموها زائداً عن نموها في جسم الإنسان القائل في هذه الدنيا (١) .

وهكذا القول في ضخامة أشجار الجنة ، وسعة الممرجات ، بينها سعة تتفق مع طبيعة نمو الخلايا الحية في شتى المخلوقات من إنسان ولبات ، ولهذا قال الله سبحانه ﴿ وَصَوَّرْنَا إِلَى ظَلَمٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلْنَا عَاقِبَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَغْدَتٍ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ لأنها لا يمكن تخشياً مع المنطق العلمي ، إلا أن تكون بهذه الصورة من السعة . وبما أن عوامل الحر والبرد تنهي قبل يوم القيامة بطي السوات وشموسها المحرقة

## أدلة الكاتب على علم وجود نار وجنة

١ - حوار الكفار :

قال الكاتب (١) : وما يدل على أن النار في الآخرة هي غير ما نعرف من نارنا - هذه الآيات من سورة الأعراف : ٣٧ - ٣٨ ﴿ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ . قالوا اذهبوا في أنفسكم قد علمت من قبلكم من الجن والإنس في النار . كذبتا ذهبتا أمه فعتت أعتتها حتى إذا أفاك كرا فيها جميعاً ﴿ - حتى إذا أدرك بعضهم بعضاً - ﴿ فالتأتأهم لأولاهم : ربنا هؤلاء أهلونا فأتهم ، عقاباً جحماً من النار . قال : إنكل جحماً ولكن لا تعلمون ﴿ .

« إنه حوار ومكالمة في النار يجري بين المعذبين ، وفي مثل نارنا لا يمكن أن يجري حوار بين اثنين يحترقان . »

والعنى الثاني السابق الآية : ﴿ وَلِكُلِّ جُحْمٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ - إن أمامنا الذين يتعذب الواحد منهم ضعف الآخر مع أنها في نفس المكان . ومعنى هذا أن العذاب في القلب وليس في المكان ذاته ، كل هذه الآيات كواشف ذات دلالة تدل على أن النار ليست هي النار ولا الجنة هي الجنة ، ولا الله هو الباطن المعذب . وإنما سوف يتألف العذاب من تفاوت الرتب تفاوتاً عظيماً . ثم بالسقوط في جهنم أبهى لا يخرج منه يلزم صاحبه كما تلزم الاصح بصحتها .

بطلان الشبهة (٢) :

خلف الكاتب عن طبيعة خلقنا الذي سنبعث عليه يوم القيامة فغلب عنه وجه

(١) المرجع السابق ص ٧٢ : ٧٣ .

(٢) أثبتنا للتائفة بالرغم من عدول الكاتب عن رأيه فقال : يحدث أن يتعرض لشئ من غير فيصاب بآفة بالصراع بينا يحتمل الآخر ، والصراع ألم حتى ومعنى .

(٣) يوم القيامة بعد الرزق تقول ص ١١٢ : ١١٤ - وحديث الذر وسائر آخر هذا الفصل .

وكواكبها القارة<sup>(١)</sup> ﴿يَوْمَ تَطْوى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكَتَبِ﴾ (الأنبياء : ١٠٤)  
 لأن الجو في الجنة يغابر الجو في الدنيا . ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا . وَفَتَاتِهِ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا . وَذَلَّلَتْ أَطْرُفُهَا نَدِيلًا﴾ (الإنسان : ١٣ - ١٤) .

ولا بد أن تكون النار بدوجة غير التي نعرفها في الدنيا ، قلت أجسام أخرى ، لما طاقات احتمال غير طاقاتها المعروفة ، ولذا قال سبحانه : ﴿قُلْ لَّأَرْجِيَهُمْ مُّثَقَّضَةً خَرًا قَرًا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة : ٨١) وتلك نار قادرة على الاشتعال بما لا يشعل في الدنيا من التراب والحجارة ﴿فَأَرَأَوْا قُرودَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ﴾ (التحریم : ٦) .

ولما كان الناس درجات في معاصيهم كان من العدل أن تكون جهنم درجات عرفت بالدرجات ، ولذا قال سبحانه : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ فِي الْعَرْشِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء : ١٤٥) - وقال : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر : ٤٤) - وقال في مقارعتهم ، وأنها تتناسب مع عقوبتهم الجديده ﴿وَلَهُمْ مَقَابِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (الحجج : ٢١) - وفي لباسهم ﴿سَرَابِطُهُمْ مِنْ لَظْزَلٍ﴾ (إبراهيم : ٥٠) .

وكما قرر العلم أن الطاقة الحية تتضاعف غذاؤها خارج الجسم مئات ، بل آلاف المرات فإننا نتصور كثرة اللذات ، للدرجة أن الله يسميه إسداداً ﴿وَلَمَّا ذُوقُوا مِنْهَا مَذَاجَهَا وَلَمْ يَمْلِكُوا مِنْهَا شَيْئًا﴾ (الطور : ٢٢) .

بل وينص على الكثرة ﴿لَكُمْ فِيهَا مَا مِثْلُ كَثِيرٍ مِنْهُمَا فَاَنْتَحِطُوا فِيهَا﴾ (الزخرف : ٧٣) ﴿وَمَا يَكْفِيهِمْ كَثِيرٌ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ (الزخرف : ٣٣) .

إن كل شيء في الجنة أو النار يحمل اسم نظيره في الدنيا ، ولكنه يختلف في حقيقة وإن كان مادياً ، وهذا هو الحقيقة التي قال الرسول فيها : مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ونعني أن يكون في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، لما نظير في حالها .. فعالم الفواكه به من الفواكه عالم نسطع بمذاقه ، وما سينضج عمرنا ولا نطوقه ومالا

(١) يوم القيامة لعبد الرزاق توفى من ١١٢ - ١١٤ .  
 (٢) القارة : البرادة .

نسمع عنه - فتلا فاستحسنت التي يقرر العلم أنها تبلغ (٢٥٠٠) نوع .. فهل يمكن استيعاب هذه الأنواع لوأحد أو مجموعة من البشر ، والعناكب فبائل تبلغ نحو خمسين ألف قبيلة ، والجراريم كذلك فحقن لم يحط بعلم الكثير .. والإحاطة أمر غير ممكن للعرد .. وإذا كان في الدنيا مالا عين رأت بالنسبة لمجموعات كثيرة لما يأتها بعالم الآخرة ؟ وكل امرئ دخل الجنة يجد ألوان الناع يختار منها ما يشاء ، فمن لم يحب العمل عليه غيره ، فليس ذكر الله العمل أو اللين اللذين يكرهها الكتاب معناه إلزام ناطقها .. وإنما حويان للأصناف المعروفة ، تنفق في التسمية مع نظيرها في الدنيا ، وتختلف في جوهرها ، كما في الآية الأخرى : ﴿كُلًّا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُورَ بِهِ مِثْلَهَا﴾ ، ولهم فيها أزواج مطهرة ﴿٢ : ٢٥﴾ لا يفتريهن الخبيث والنفس .

ورأيت امرأة عجوز تسأله أن يدعو الله لها بالجنة فبازحها قاللا : الجنة لا يدخلها عجوز ، فلما رأى فرعها قال لها : ألم تسمى لوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عَرِيًّا أَزْوَاجًا ﴿الزخرف : ٣٥ - ٣٧﴾ أنه يعني أنها تدخلها ، وقد أعاد الله إليها شبابها فلا تدخلها يزورها من الشيخوخة كبانها ، ويتنفس جبينها ، وقد صح الحديث بأنه بُعث غُرلاً .. يعني غير ممنون .

وهذا التبديل ليس لخلق الناس فقط ، وإنما سوف يكون لكل شيء ، ﴿يَوْمَ تَبْطُلُ الْأَرْضُ عَنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم : ٤٨) . ﴿لَبَدًا نَّفِيعٌ فِي الْأَرْضِ نَفْعَةً وَاحِدَةً وَجُعِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ قَدْحًا ذَكَاةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الزُّلْزَلَةُ . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَاهِيَةً﴾ (الحاقة : ١٣ - ١٦) .

سوف تبدل طبيعة السيطرة الروحية ، وتصبح طاقات الجسم بما لم يكن موجودا في هذه الحياة ، حتى إنه يرى المنفيات ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق : ٢٣) . ثم ألا ترى أن من طبيعة المرأة أن تحبس وكان الله أخبر عن المرأة أنها في الجنة لا تحبس ، ﴿لَهَا فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ . وهذا مما يدل أن البعث خلق جديد لا يخضع في الحكم على شئونه لمقاييسنا الدنيوية .

ولما قركه كيف يتطورون ؟ فالجواب : لأنها يخلق جديد يمكن معه ذلك وكالحوار الذي أخبرنا الله أنه يقع بين أهل الجنة والنار : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ



أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا نعم ﴿ (الأعراف : ٤٤) 》

وكما نادى أصحاب الأعراف أهل الجنة من مواقعهم ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم 》 ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴿ <sup>(١)</sup> 》 كما يتدون أصحاب النار كذلك ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفهم بسيماهم قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴿ 》 وكما نادى أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن فليسوا علينا من قومنا وذكركم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين 》 》

وأما قوله : كيف لا يدرك كل أن الآخر يجد شيئاً <sup>(٢)</sup> من العذاب وعرمه في جهنم ؟

الجواب : أن كلاً يشغله عذابه ، كما حدث في مصكرات النازي والصفهانة والسجن الحرق في التحقيق مع بعض الأراذل يجمعهم اتهام واحد .. فلا يدري الأسير بم يعامل زميله ، وقد يحسن إلى زميله في الظاهر ليشد به الأسي ، بينما زميله يلقي المويلات بعيداً عنه .. وربما لا يدري به إلا عندما يريد المحقق أن يولج أحدهما بالآخر .

وقد يكون لوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جِزْءٍ 》 وعيدا من الله أن يضاعف هذا مستظلاً ، وليس إغياراً عن الماضي والحاضر ، أو تحييراً عن الخبايا لهم ، وكأنه قال قد جعلنا لكل حسفاً ولكن لا تعلمون ما قردناه .

وقد سقط الكاتب في إنكار الخروج من النار بزعمه أن الخلود أبدي ، بينما صح عن النبي ﷺ أن العصاة يدخلون جهنم ما شاء الله لهم ، على قدر مصيبتهم ، ثم يخرجهم منها بعد أن نالوا جزاءهم ويدخلون الجنة . وفي الحديث « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » . قال أبو سعيد : قرن شك ظيئراً : إن الله لا يظلم مثقال ذرة . <sup>(٣)</sup>

(١) الأعراف : ٤٦ - ٥٠ .

(٢) الصف : التشديد من العقاب .

(٣) رواه الترمذي في صفة جهنم وقال حديث حسن صحيح . وروى عن أنس عن النبي ﷺ يقول الله عز وجل أخرجه من النار من ذكر في يوم أو خلق في مقام . قال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

## ● مالا عين رأت :

ولا تأتي بين أن يكون في الجنة والنار ما ذكر صريحاً في القرآن والسنة وما لم يذكر مالا عين رأت ، فليس حتماً أن يكون كل ما في الآخرة مما لا يدرك ، ثم إننا لو أجزأنا أن يحمل كل لفظ صريح على التأويل دون قرينة تدل على امتناع إرادة المعنى الأصلي للفظ ، لاستحال أن يفهم عن الله أو عن الناس شيء ، إذ لكل قائل أن يقول : أنا فهمت أنك تقصد بكلامك شيئاً آخر غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ ، فيخل العمران والتفكير والتدبر في الحياة ، كما أن في إنكارنا ظاهر اللفظ ادعاء عملياً على أن الله عاجز عن أن يبين لنا مراده ... والبلغ النصيح لا يعجز عن بيان المراد .

## ٢ - الذي يخوف الله به عباده :

في مطلع هذا الفصل : ذكرنا استشهاد الكاتب بقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ هُلْكٌ مِنَ النَّارِ 》 ومن تخويفهم هُلْكٌ ، ذلك يخوف الله به عباده ﴿ (الزمر : ١٦) 》 وقوله ذلك اسم إشارة راجع إلى لفظ الجملة لا إلى معناها .. أو أنه سبحانه يريد التخويف خطاً لأنه الظهور الرحيم ..

والجواب أن اسم الإشارة راجع إلى حقيقة المعنى .. وأن الله يخوف بذلك عباده المؤمنين ليتقوا عذاب النار فيقبلوا مستقيمين على الطاعات . فهو تخويف للمستقيمين من عباد الله كما قال سبحانه : ﴿ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ 》 يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ﴿ (الزمر : ١٦) 》 .

والتخويف يكون بالأمر الذي يدخل تحت سلطان الفاعل وقدرته .. بالأمر الذي له وجود معلوم .. فأتت يمكن أن تخوف آخر بالضرب أو بالسجن أو الموت ، ولكن لا تخوف بمجهول غير موجود كالاتلاصم ، مثلاً تخوف بما له تصور ولو ذهباً كأم القول .. أما مالا صورة له ولا وجود ولو في الذهن .. فهذا مالا يكون .. ومن ثم فإن ما خوف الله به عباده يجب أن يكون له وجود وما تصوره عباد الله المخوفون .

هذا إلى أنه من صفات الذم أن يقول للمرء شيئاً لا يفذه ويهدد بما لا يقع ، وقد قال سبحانه : ﴿ لَمْ تَقُولُوا مَالاً تَفْعَلُونَ 》 كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴿ (الصف : ٢ - ٣) 》 .

وحال أن يعلم الله شيئاً ثم يفذه : عدا ما اختص به نفسه كالكبرياء وطلب الحمد

والثناء . فالإقرار له سبحانه بما له منزلة خاصة هي تنزيهه عن المشابهة خلقه ، وصنعه من عباده في وحدة العبودية لوحدانية المعبود ، بينما هما في البشر سبب للفرقة وشنق القلوب بالأحقاد ، قصصة الكبرياء وطلب الحمد وطلب الثناء .

بما أنه من الإثم أن نقصم الله بعبادته المعبودين وهو فينا ، جلي جلال الله وتوارة  
عن كل نقص .

ثم إن مقتضى الإيمان بالحشر أن يكون للحشر والجزاء مكان ، وللمكان صفة ، وهذه الصفة هي التي ذكرها القرآن ثم ﴿ مِنْ قَوْلِهِمْ هَٰؤُلَاءِ مِنْ أَشْيَارِنَا ﴾ .

## في الحساب

قال تعالى : ﴿ اَلَمْ نَأْتِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، كَفَىٰ بِشَيْءِ الْيَوْمِ عَلَيْكُمْ حَيًّا ۝ ﴾

وقال الكاتب ..

حتى الحساب هنا يبدو أنه حساب النفس للنفس ، تعالى ذو الجلال أن يحاسب  
أمتان . ولأن عذاب أمتان ، إنما قد لزم كل واحد عمله كظلمه ، ولا خلاص .. لما لم  
أن الله رحيم حتى من لم يبلبه العذاب في الآخرة فإنه يرحمه بعدم إعادته إليها . وقال  
سبحانه في علة هذا ﴿ وَكَوْرُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ ، وَإِلَيْهِمْ لَكَآذِبُوْنَ ﴾ . والألفاظ  
الرهيبية التي وصف الله بها القيامة كالقارعة والصائفة .. لتولط القائلين <sup>(١)</sup> .

تأليف: الدكتور

إنكار حساب الله للناس خطأ ، أفحش منه الجهل بمدلول الآية : فإنها ذكرت أن لكل يرى يوم القيامة كتاباً فيه أعماله ، وبسبب هذا الكتاب الذى هو بمثابة الإعلان الوجه له بالنعم لينكر ما ينكر ويعترف بما يعترف ، وحين تكون النعم حقائق ثابتة تسمى على الإنكار يقال للنعم : إنها نعم تُدينك ولا تستطيع إنكارها .. لهذا المقال تؤكد كذبة الحساب .. ومهابة وجديته ، وليس تخلياً عنه وتركاً للأمر لوضي ، وسمع سياق الآية تدلّك على هذا المعنى .

﴿ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ . اَلْفَرَاكَاهُ : كَتَبْتَ ، كَتَبْتُ بِفَتْحِ الْيَاءِ اَلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَيًّا ﴿ ثُمَّ اِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوهُ فَسَوْفَ نَعْلَمُ وَلَهُ عِلْمٌ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ ذُلِّ الْحَسْبِ لَيْسَ خَالِفًا ، وَاِنَّمَا اتَّخَذْنَا مِنَ الظَّالِمِينَ اٰلِهَةً مُّتَّبَعَةً لِّيُزَكِّيَ اللَّهُ بِلِقَائِهِ رُوْحَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالٰی : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُغْنِي عَنْكُمْ وَاللَّهُ بِهِ يَعْلَمُونَ ﴾ ( المائدة : ٢ ) ﴿ لِلَّهِ يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ( النساء : ٦٤ ) ﴿ اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي سَوْعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ( يونس : ٩٣ ) .

وقال النبي ﷺ : إنكم تُحشرون يوم القيامة حُفَاة عُرَاة غُرُلًا (١) ، وفهمت ثلاثة بفصاحتها العربية الأصيلة أن هذا الحشر للحساب والعرض على الله أمر واقع كما يدل عليه ظاهر اللفظ ، فمجيبت كيف يقع هذا وتنكشف العورات التي أمر الله بسترها .. وكان جواب النبي أن شدة الحول تصرف الناس عن أن يذكر ذلك أو يلتفتوا إليه .. وهذا حديث صحيح صريح لا يحتمل التأويل : ﴿ وَمَا كُنَّا كُفْرًا فَهَظُّوهُ ﴾ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾ (الحشر : ٧) .

وقد ذكر الله عز وجل جدال المرء عن نفسه في الحساب بين يدي الله . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ لِحَافِلِهَا مِنْ تَفْسِهَا ﴾ (النحل : ١١١) .

ولقد ذكر الله الحشر من أجل الحساب صريحاً وصورة الاعتراف في موقع الحساب ، واستنكار المذنب شهادة أعضائه عليه بعد الفراغ من الحساب وإدائه وقضه في النار قالوا : ﴿ يَوْمَ يُخْفَرُ أَهْلُهُ ﴾ إلى النار فهُمْ يُؤْذَرُونَ . حتى إذا ما جاكوه فهدم عليهم سَمْعَهُمْ وَبَصَرَهُمْ زَبَلَهُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَلَقَدْ كُذِّبُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ : لِمَ ذُكِّرْتُمْ عَلَيْكُمْ ؟ لَأَنَّا : أَلْقَيْنَا آتَيْنِ كُلَّ شَيْءٍ وَأَخْرَجْنَاكُمْ أَزْوَاجًا مَرَّةً وَآخَرَةً تَرْجَعُونَ ﴾ (نصبت : ١٩ : ٢١) .

والجرح من الرهب لأسماء القيامة : مع إقاداته إيقاف التفاضل - فإنه لا دلائل حل صفة من صفات يوم القيامة وأحوالها ، ومحال أن يكون له لفظ خالٍ من معنى ، أو مجرد عن الحقيقة .

ثم إذا كان الحساب ذاتياً - أي من المرء لنفسه - لِمَ أعلن الله عن حشد الخلق للحساب ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْزُومٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ وما نُوعِدُهُمْ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّددٍ (٢) ﴿ (هود : ١٠٣ : ١٠٤) ﴿ يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ ﴾ (الإسراء : ٧١) - ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ جَمِيعًا ، فَيَنْبَأُ بِهِمْ بِمَا كَانُوا فَعَلُوا ، فَيُخَصِّصُ اللَّهُ وَنُورُهُ ﴾ (المجادلة : ٦) ﴿ وَاسْتَجِبْ يَوْمَ تَدْعِي الْمُتَكَاةَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق : ٤١) -

(١) غرلا : تعود إليكم الثقلة التي أزيقت عن الحشفة (رأس القصب) عند الختان . وقد رواه البخاري (الأنبياء : ٨ - ١٨ ، تفسير سورة : ١٤ ، ٥ - ١٤ ، وقاله ٤٥ - وأخرجه مسلم (الجنة : ٥٦ - ٥٩) (الترغيب (الجنة : ٣٠) - تفسير سورة : ٨ - ٢ - والشمس (جنازة : ١١٩ - ١١٨) وابن ماجه - الزهد : ٣٣ - والهمزي : رفاق : ٨ و ٨٢ وأحمد ط : ٢٢٠ - ٢٢٣ - ٢٢٩ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٣٩ و ٢٤٠ : ٥٣ : ٩٠ .

﴿ يَوْمَ يَتَخَفَى فِي الصُّورِ فَتُؤْتَى الْأَرْجَاءُ ﴾ (النبا : ١٨) - فلم هذه الحشود ؟ والله يقول : ﴿ وَتَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) ويقول : ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ ﴾ (القيامة : ٣٠) - ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ - لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ (الواقعة : ٤٩ - ٥٠) ﴿ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَهْلَى وَأَمَرٌ ﴾ (القمر : ٤٦) .

### ● الفيزيائي في الآية :

إن في قوله تعالى : ﴿ كَفَى بِتَفْسِيفِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء : ١٤) مغزى عظيماً كبيراً ، فكيف يتذكر الإنسان بعد آلاف السنين الأحداث المدة في كتابه ، والقرآن يؤكد أن بالإنسان ما يذكره كل ما حدث ؟

لقد أجرى فيليكس أشرف ، و موافق ، في معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا تجربة حل جزء من حصب فوقية أثبت أن الأعصاب من الأجسام لا تملك وأنها مهما قطعت برباً - تحفظ بالطومات التي تمر بها وتذكرها بعد فناء بأى أجهزة الجسم الدورية والمضنية والنفسية . وليس هذا بغير ، فإن بعض حبات من الفصح مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت مع قدماء المصريين حين زرعت تحت ، لأن المنصر الجيزي بها لم يموت . ولذا فإن الجهاز العصبي بالبر والبحر أو الجو يظل له قدرته الواحة كاملة ، وإن كنا لا نعلم أن هذه الأعصاب لا تفنى مطلقاً ، إذ ﴿ كل من عليها فان ﴾ ولو بعد آلاف السنين ، عندما يتلخ في الصور .

ولذا فإن سؤال القبر لا يحتاج إحياء الجسم الميت ، ولا عودة الروح إليه في صورة حودنها فلنتم بل يكفي بانصاف ضعيف للروح بقدر ما يتيسر سؤال القبر ، لاختلاها المعصية فافرة على التذكر ، وعلى التوافق المطلوب للمواقف المتغيرة . وهذا هو التفسير العلمي الذي يقترب بنا إلى تصديق الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه نادى للكفار الذين دفنهم المسلمون يوم بدر : قد وجدت ما وعدتني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ رواه مسلم عن أنس (١) . فليل يا رسول الله أنخطب جيقاً ؟ فقال : ما أتم بأسمع لي منهم ، فإذا أمكن فيليكس أشرف بأجهزة العلم تحريك الخلابا

(١) إحياء علوم الدين ط ٤ ص ٣٠٤ ط المطبوع .

النبيلة بأخبارها الماضية فإن هذا يجعل الحساب والمبحث والثبات من الأمور الممكنة علمياً ولا يتكر إيمانها إلا بجهول. كما أثبت العلم أن جسم الإنسان يقوم بتوليد القوة اللازمة لنقل الأفكار عبر آلاف الأميال عن غير طريق الحواس.

وفي ندوة عقدها العلماء الأمريكيون والسوفييت في لوس أنجلوس (يونيو ١٩٦٩)، حول الإدراك خارج الحواس قال العالم السوفيتي « كوجان بمجهدي يريف للاتصالات الألكترونية في موسكو، في بحث نل في الندوة: (إن الحسابات القائمة على التجارب تشير إلى أن جسم الإنسان يؤكد أربعة أو خمسة أمثال التيار الكهربائي الذي يتخذ أنه ضروري للتخاطب أي نقل الأفكار من شخص إلى آخر عبر مسافات طويلة). ومحدث عن تجارب أجريت على آسمين علموا كأجهزة إرسال. وآخرين كأجهزة استقبال، وتبوءت الأفكار على بعد وصل مسافة تقرب من ثلاثمائة آلاف كيلو متر.

فاستقبال فكر الآخرين في لحظة زمنية عبر آلاف الأميال كممر وسارية كان يظن أنها من غرائب فعل الروح حتى كشف العلم في هذه الأبحاث أنها تتم عن طريق كهرباء محبة موجودة في الجسم المادي للإنسان. ولكن كشف الإنسان لنفسه اليوم بقرعة عظيمة إيمان عمر وعظمة الحقيقة التي يمكن أن تستبطنها الآن، « من عرف به فقد عرف نفسه ».

بدون أجهزة العلم الحديث اكتشف الأولون بجهاز الإيمان هذه الحقيقة، بل علمهم الله إياها عند الحاجة أثبت لونا من البيان الذي قال الله عنه ﴿ حَقَّقَ الْإِنْسَانَ » هَلُمُّهُ الْيَقَانَ ﴾ (الرحمن: ٢١: ٣)، فلا الحكمة في هذه الكهرباء؟

إنها في الحياة الدنيا ذات علاقة مباشرة مع الجهاز العصبي وخلاياه.. إذ أثبت العلم أن الخلايا العصبية تنقل فيها الطاقة الكهربائية باستمرار لتبني الإحساس أي إحساس بالألم أو السعادة أو الحركة.. وكل الجهاز العصبي مترابط بشبكة كهربائية. وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الكهرباء خارج الجسم أيضاً. ويمكن استخدامها دون أن يفقد اتصالها بالخلايا العصبية<sup>(١)</sup>.

(١) يوم القيامة: ص ٨٠ - ٨٢.

إن استخدام هذه الكهرباء خارج الجسم بصفة دائمة أو منتظمة ومستمرة، قد يأتي يوماً ما، وقد يشير إلى أن هذه الكهرباء الموجودة في الخلايا العصبية قد انتقلت بأحاسيس وأفكار صاحبها إلى إحساس وفكر آخر، أي إنها اتصلت بالخلايا العصبية في الشخص الآخر وسرت فيه، والوسيط بين الخلايا العصبية في المرسل والمستقبل هو الروح تنقل روح المرسل الفكر من الأعصاب إلى روح المستقبل، ثم من روح المستقبل تلقى أعصابه تلك الأفكار الزائدة من الجسم المرسل..

وبما يتضح لنا أن الحوار الذي يقع في النار ولم يتصوره الكاتب - بقرع العلم إمكاناته، فبالخلايا العصبية بأفكارها وكهربائها متصلة بالكهرباء الخارجية للجسم أي كان هذا الجسم. وفي أي وضع كان، والتيار الكهربائي العصبي والذي يكون خارج الجسم يتربحان هذه الأفكار، فتحفظها الروح إلى روح الشخص الآخر، حيث للتعلم بالكهرباء العصبية والخارجية، لذلك الشخص المرسل إليه، وينتج عن إجابته التي تذهب لمخاطبة الأول بنفس الطريق، ولا ينبغي تحريك اللسان بالذهابات الصوتية، فالحكم هو الوصول إلى الغاية من هذه الذهابات التي نسميها كلاماً، ولدينا قبل:

إن الكلام في السفوداء وإنما

جعل اللسان على السفوداء دليلاً

وكما قال شوقي:

وتعطلت لغة الكلام وضاعبت

عيشنا في لغة الهوى عيشنا

وليس الحوار وفقاً على جوارحة اللسان واللسانين، فإن هناك اللغة التي تسمى

(الفتنولوجي) أي التحدث من البطن..

ولفظ الفتنولوجي مركب من منطمين أولها، بمعنى البطن والآخر بمعنى الكلام،

وهو من يستطيع الجيدون له أن يحدثوا أصواتاً ويتكلمون بدون أن يحركوا شفاههم ولا

عضلات وجوههم، وفي صورة يحيل بها إلى المنسحب أن الأصوات تصدر من البطن،

لا من أعضاء اللسان، وأنها تنبعث من شخص آخر، لا من المتكلم.

ويحاول هذا الفن بقصد تربية المهارة عدد كبير من المواهب، كما يزاولة بغية

التفصيل بعض المشوفين ليوهوا السذج أنهم يتلبسون بالجن الذين عن طريقهم

يستطيعون الوصول إلى الغرائب والمجائب وقد ذكر د. علي عبد الواحد رافق أن

العلامة « جوتمان » كان يتدرب على هذا الفن فأدعته أن ابنه الصغير الذي لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره قد سبقه كثيراً في هذا المضمار ، مجرد مشاهدته لحركات يديه وهو يتمرن على هذا الفن ، وسماحه الأصوات ، ويثبوت أن يقصد أيوه مشاركته له في هذا المران .. وذلك طبقاً لقانون محاكاة الأطفال - في المرحلة من أواخر السنة الأولى إلى أوائل السابعة - للغير . في الأصوات بمختلف أنواعها ، وما أذيع عن المرأة الباكستانية عام ١٩٧٠ أنه جمع في بطنها جنين بقرأ القرآن الكريم ويتكلم ، إنما يقصر بذلك وليس حديث جين .

وبعد ما كتبناه لاستاذنا ظهر أن المرأة كانت تخفي في نفسها جهاز ترازوستور ، فما يسمعه الناس هو من الإذاعة ، وقد عوقبت في بلدنا قنصلها .  
كما أن الحوار ليس وفقاً على اللغة الصربية .. فهناك الحوار بعلامات مورس وهو مفهوم ، وهناك الحوار تحت البحر باهترافات معينة بحال تربط بها الفخادع البشرية .. وهكذا ..

هذا هو تصوير العلم لإمكان أن يحاسب المرء نفسه في الآخرة ، وأن يكون هناك تفكير وحوار وترداد لأفكار بين أجسام قد تكون محركة ، لأن مناطق الفهم والتفكير هو التيار الكهربائي في الخلايا العصبية وما تنضج على الجسم متصلاً بها في كل جسم فيه روح ، وبهذا لا غرابة فيما روى من أن الجماء تقصر من القرناء يوم القيامة (١) والجماء (الحيوان الذي لا قرون له) من القرناء ، ذات القرون .  
ولا غرابة أيضاً في أن نسمع أن أعضاء الجسم ستبقى بما تعلم .

﴿ وَقَالُوا لِمَ أَجْلُوهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا خَلْقًا قَالُوا : أَنْشَأَ اللَّهُ إِلَهُةً قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (فصلت : ٢١) فحديث الجلود قائم كما قال الله ، ربما بما فيها من أعصاب تتذكر وتتوافق مع ما يرد عليها من استجاب .. ونقول : « وبما كان بهذا التصوير العلمي » : لأنها أمر غيبي ، وحقيقته الغيبية لا يعلمها إلا الله ، وإذا كان الله قد أمّد اللسان في

(١) عند الإمام أحمد بن حنبل (زيادة ابن جدد الله) ح ١٠٠٠ رقم ٥٢٠ وهو في الطبائع الكبر للبول ح ٢ رقم ٩٤٢ / ٩٤٨ - ط جميع البحوث الإسلامية - وفي الخاتمة من ١٩٧٢ قال الشيخ أحمد شاكر إسناده ضعيف ، وذكره الميثقي في الزوائد ح ١٠ ص ٣٥٢ في كتاب الفيت - الخصائص - وقال رواه الطبراني في الكبير ، واليزار وعبد الله بن أحمد ، وفيه الخراج بن نصر - وقد وقع على صفحه - وفيه رجال اليزار في هذا الحديث من رجال الصحيح غير « القوام بن مزاحم » وهو ثقة .

الدنيا بالقدرة على البيان عما تلقته أعصابه من المجموع العصبي ، فإن من الممكن في الآخرة - حين تكون الروح أكثر شفافية ، والجسم أكثر سيطرة على نفسه وأضعف ونقوى - أن يستخر ذلك الجسم ، مع هاتيك الروح أي جزء منه لإحداث أصوات لقوة سيّرة .

ومن الخطأ أن تقيس وسائل التعبير عن إنسان في الآخرة - وهو يتكوّن الجليل في صورته الجديدة يوم القيامة - بالإنسان الذي في هذه الدنيا ، ففرق بين عالم الغيب وعالم الشهادة هذا .. إنه خطأ متعلق إلى جانب الخطأ العلمي . ولا يقال : إن هذا التذكر هو الحساب ، لأننا نقول : إنه لا بد من مذكر أو مثير لهذه الذكريات والأفكار والإجابات .. كما قال الله تعالى ..

ولعل القارئ مشتوق إلى معرفة كيف كشف العلم الحديث بقاء الأعصاب تحتفظ بالمعلومات وقادرة على التصرف طبقاً للمثير .

ذكر الأستاذ عبد الرزاق نوفل هذه التجربة التي أجراها (فيلكس أشفرو) فقال : بدأ العالم تجاربه على ذاكرة قواقع . وهل للقواقع ذاكرة ؟ اصطاد الرجل عدداً من القواقع ، ووضعها في حوض به ماء بحر ، وأضطرها مصباحاً كهربائياً ليبرها الحوض ، ولزاد أن يطمعها شيئاً ممبياً في عليها الهدائي ، مع لا يخرج من كونه عقدة عصبية صلبة ، كان يضطرها الطعام في الثامنة صباح كل يوم ، ثم يقضى المصباح ، ويعود في الثامنة من صباح اليوم التالي يقضى المصباح ويضع الطعام .

كانت القواقع - في بداية الأمر - لا تعرف معنى إضاءة المصباح ، ولكن بالتكرار والصبر والظبرة تعلمت أن إضاءة المصباح معناها أن الطعام قد حضر ، وعرفت الرجل ذلك بالملاحظة .

فكلاً أعضاء المصباح حدثت حركة غير عادية في الحوض ، وتبدأ القواقع في البحث عن طعامها في الحال .. لقد تعلمت القواقع إذن ووعت هذه الأحداث ، في ذاكرتها ، هذا ظاهراً .. فإذا في باطنها ؟

أخذ العالم قواقعاً وحطه وأخرج عنه ، أعنى تلك العقدة العصبية الصغيرة والخصص خلاياها ، وأخذ خلية عصبية واحدة قطعها نصف مليمتراً وأوصلها بسلكين رفيعين كالشعرة ، وأوصل السلكين بجهاز أليكتروني ليسجل ، فإذا سجل ١١ سجل ذكريات التوقع الذي تحطم وراح في حوض المهملات .. سجل ذكريات خلية واحدة :

لقد كانت دهشته بالغة .. ففي الوقت الذي كان يضيء فيه الصباح ويضع الطعام رأى في الثامنة من صباح كل يوم - كان السجيل يرتفع إلى أوبعين نبضة أو إشارة كل دقيقة ، وتستمر النبضات في قفها ثلاث ساعات ثم تهبط تدريجياً إلى عدد قليل عن القشرة في الحقيقة الواحدة ، ثم تعود الخلية إلى إرسال نبضات مرتفعة مرة أخرى في صباح اليوم التالي وهكذا .

لقد كانت العقدة العصبية في حياة القوقع بمثابة الجهاز الواعي الذي ينظم لها حياتها تماماً كالخيل الذي في رؤوسنا ، فلزالت تذكر الأحداث وتحفظ المعلومات التي تلقاها .. وتكرر الرجل تجربته .. وتكررت نفس النتيجة ..

لقد كانت إشارات الخلية العصبية لا تتوافق فقط مع صباح أو مساء ، ولا مع حيب أو طعام ، بل تتوافق مع ما كان يجري بعيداً ..

ذهب الرجل إلى الشاطئ بعد ١٤ يوماً فوجد المياه ترتفع بسبب ظاهرة المد .. ولاحظ في نفس الوقت أن الخلية الهيمية المعزولة كانت تخترق في ذاكرتها البدائية هذا الوضع ، وكأنها كانت ترسل هذه الإشارات فلما منها أن قوتها المظم لا يزال معها ، فلعلمه إنذاراً ليحذف على الصلحور حتى لا تنمره المياه .

يحدث هذا رغم بعدها عن البحر ، أما خلايا الإنسان العصبية فهي أكثر ذكاء ، وقد أثبت العلم أنها تظل تعمل وتحس وتستجيب حتى بعد موت صاحبها .. وقد سماها العلماء ، الخلايا النشطة أو الخلايا الحية .. وهي تختلف عن كل خلايا الجسم (١) . أكتب هذا لأرد إلى ساحة المؤمنين بدار الجزاء قوماً لا يؤمنون إلا بالخلق المسمى والتجريب وإن كنت أنا شخصياً لا أعتبر صحيحاً تفسير الأستاذ عبد الرزاق نوفل للآية الكرسي ﴿ كَفَىٰ بِنَسْلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ بالكشف المسمى قبل كسر اشترى وزميله د. موارده فإن بقاء بعض الخلايا حية لا يعني إمكان إعادة العلم والحياة إلى الميت ، ولا يعني أن الميت لا يعني إعادة الروح للإنسان يوم البعث بل البعث هو إخراج الوقي من أجسادهم بعودة الروح إلى أجسادهم .

(١) يوم القيامة من ٧٠ - ٧٢ ط الشعب .

## حديث الدر

قال الكاتب :

قبل ميلادنا : كانت لنا ثمة حياة كأرواح ، وفي ذلك تقول الآية القرآنية البديعة ﴿ وَشَهِدْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ . قَالُوا : بَلَىٰ : شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف : ١٧٢) ، فالآية تروي ما كان في الغيب قبل الخلق الدنيوي ، وكل الخلاق عما خلق الله ويخلق وسيخلق : مثل الدر في كفه ينظر إليهم ويشهدهم على أنفسهم : ﴿ أَلَسْتُمْ بِرَبِّكُمْ ﴾ . فيقولون : ﴿ بلى شهدنا ﴾ .. وهو بهذا يأخذ عليهم ميثاقاً غليظاً ، لأنه يعلم أنه بعد الموت في الأرحام ، وانسدال حجاب اللحم الكثيف ، وتزول بشاوة الحواس والشهوات والفراغ والأهواء أنهم سوف ينسون تماماً ، وسوف يتخبطون في نكران ونكفر وجهالة (١) .

لغية الدعوى :

وما قاله الكاتب فله بعض غير المعلقين من أهل العلم ، غير أنه زاد في الجملة عبارة ( في كفه ينظر إليهم ) وهي تدل على عيال غير موفين ، لأن مسائل العقيدة تؤخذ بالنس ولا يحمل الزيادة فيها . لئى أى نص جاء هذا . هذا فضلاً عن أن الحديث المروي بهذه القصة غير صحيح .

● إشكال على الكاتب :

١ - قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَفَّمْ فِي هَذِهِ النُّجَا لَعْنَةً . رَؤُومَ الْقِيَامَةِ هُمْ ﴾ (التبوسين) (النص : ٤٢) .

وإذا كانت لعنة الله على طرد الملعون من رحمة الله التي تتمثل في الماديات والمعنويات . فإن ما يكون يوم القيامة وهو التصحيح والإيلاء النفسى يكون مظهراً للعنة .. فما يصح به المراهق أن يرى في وضع مزور وليس ممكناً إلا بطلان له صورة مادية ووضع مادية ظاهري يرى فيصنح .

٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ٥٦) .

ولا فائدة من ذكر تجديد الجلد إلا التخصيص على أن العذاب حتى وملدى : لأن الجلد هو الذى يحمل أعصاب الحس ، فهو بمثابة موطن لعدد كبير من الأعضاء المستقلة الصغيرة .. التى يسجل كل منها - على حسب طبيعته الخاصة - تغيرات العالم الخارجى .. وإن جسيات اللمس المنتشرة على كل سطحه تستجيب للضغط والألم والقيظ والبرد ، كما أن الجهاز العصبى المركزى الذى يشمل المخ والخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكى يستقبل الأعصاب الحسية التى تصل إليه من سطح الجسم .. أى من جلده كما قال ( د . الكسيس كاريل ) فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » .

إن إقته لو لم يرد التخصيص على أن العذاب حتى وملدى لما ذكر هنا التخصيص بهذه الصورة العلمية التى لا يدركها البدوى .. بل هى من تحقيقات العلم الحديث .

٣- ذكر الله سجلات أعمال العباد وكتابتها فقال : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَكِيبٌ عِدَّةٌ ﴾ ( ف : ١٨ ) ، وقال : ﴿ يَوْمَ نَحْصِلُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ غَيْرٍ مَحْضَرًا ، وَمَا كُنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ لَاقُونَ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَّا مَثَلًا بَعْدَ ﴾ ( آل عمران : ٢٠ ) ، وقال : ﴿ وَلَوْ كُنَّ أُمَّةً جَانِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ لَدَعَا إِلَى كَيْفَها : الْيَوْمَ نَحْزِمُونَ مَا كُنْتُمْ تَفْتَكِرُونَ \* هَذَا كِتَابُنَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ بِأَلْسِنَةٍ عَلِيمَةٍ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنُصِحُ مَا نَكْتُمُ لِنَعْلَمُونَ ﴾ ( الجاثية : ٢٨ : ٢٩ ) .

ولان تعالى : ﴿ فَلَمَّا مِنْ أُولَى كِتَابَةٍ يَسْمِعُ \* فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ نَارُوا كِتَابَتَهُ ﴾ ( الحاقة : ١٩ : ٢٠ ) ثم قال : ﴿ وَأَمَّا مِنْ أُولَى كِتَابَةٍ يَسْمَعُونَ فَيَقُولُونَ : يَا لَيْتَنِي لَمْ نُكُوتْ كِتَابَتَهُ \* وَلَمْ نُذَرْ مَا جِئَانَتُهُ ﴾ ( الحاقة : ٢٥ : ٢٧ ) .

ولو كان الحساب ذاتياً ، هو استمرار الماضى لمعرفة أسباب ضحك الحياة التى يستمره العصاة فى الآخرة ، لما كان ثمة داع إلى ملائكة يكتبون أحوال المرء ويسجلون أعماله ، ثم لما نشرت هذه الكتب ، وسُلمت لأهلها شهادات تقدير للصلح ، وإعلاتاً عن الاتهامات السوداء للمخطئين العاصين . ثم لما ذكر الله أنه أتى أصوات الناس وأعمالهم مدخرة تُنقل صورها كما تنقل الصورة التلفزيونية ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنُصِحُ مَا نَكْتُمُ

تَفْتَكِرُونَ .. ﴾ ﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ ﴾ وقد أثبت العلم أن هذا من باب الحقيقة الثبوتية المعلومة والمثبتة فعلاً ، فكلام كل إنسان مدخّر فى الجو لا يتلاشى ولا يختلط بغيره ، ولكل إنسان بصمة خاصة فى أصبعه تميزه عن ملايين الناس ، وبصمة صوتية تميز صوته كذلك فلا تتلاشى مع غيره . وقد اخترع جهاز لتسجيل بصمات الصوت فى منتصف يونيو عام ١٩٩٩ (١) .

لذا نستطيع عزل أصوات المتكلمين عن بعضها بحيث يمكن أن نتلقى بالذبايع صوتاً اختلط بلبظيات ملايين المتحدثين .

وهكذا نسجل أعمال الناس فنراها على الشاشة المرئية ، ولا يقال إننا فى التسجيل البينائى نلتقط من شيء موجود ، فإنه الآن يمكن تصوير أى اجتماع بعد انصراف المتحدثين ، فقد التقطت صورة لتجميع عدد من السيارات بأمرىكا ثم اجتمعت وعلا المكان تماماً منها ، ثم التقطت صورة أخرى بطريقة معينة فكانت هى إياها ، وأصبح بين وسائل كشف الجرائم والأحداث الخطيرة استعمال جهاز خاص بتصوير الأحداث فى أماكنها بعد وقوعها ، فآلة باقية على الزمان حتى نلقاها ونلقاها يوم القيامة ، ومصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآلَهُمْ .. وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فى إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ ( يس : ١٢ ) .

وإحصاء كل شيء فى الوجود أمر قائم كما قال الله سبحانه ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابَةً ﴾ ( الباء : ٢٩ ) - ﴿ وَغَنَيْنَا مَنَاجِيعَ الْغُيُوبِ لَا يَتْلُمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَنَعْلَمُ مَا عَلَى الْأَرْرِ وَكَيْفَ وَمَا تَكْتُمُ مِنَ دُخَانٍ إِلَّا نَشْلُكُهَا وَلا حَبْلٌ لى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٌ وَلا يَأْسٌ بِأَى مِ كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ( الأنعام : ٥٩ ) .

إن البشرية الآن وصلت فى الإحصاء إلى رقم « الجرجول » وهو واحد على مائة ١٠٠ صفر ، وإلى رقم « الجرجول بكسات » وهو واحد وأمامه جرجول من الأصفار أى جرجول أس عشرة بلنة الرياضيين .

وقد أحصيت أوراق الشجر فى الولايات المتحدة فوجدت ورقة [ بليون البليون : واحد وأمامه ١٨ صفراً ] .

وقد حسب ذرات الأكسجين فى حجرة ، وكمية النقود الألمانية بالماركات فى ألمانيا

(١) هو جهاز اليكترونى يحول الموجات الصوتية إلى صورة لها ثلاث أبعاد : طول وعرض وعمق .

في أقصى درجات الأنهار الاقتصادية ، فوجد أن كلاً منها واحد وعن يمينه ثلاثون صغراً فقط .. وقيل إن عدد الكلمات التي تكلمها الناس منذ آدم وحواء حتى اليوم لم تصل إلى بلون كلمة .

وإذا كانت قدرتنا العلمية وصلت إلى هذا ، وإلى حساب عدد الإلكترونات الموجودة في المجموعة الشمسية بواسطة نظرية « أينشتاين » ألا يتضح لنا أن عملية الحساب بالنسبة له سبحانه أمر علمي ميسور .

فكيف وهو خالقنا ورازقنا بهذه الصورة ، فأعطى كل شيء خلقه ، ومنحه رزقه ، وهو يضمن بلايين الخلق . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ؟ ( لك : ١١ ) .. بلى إنه عليم ..

#### ● ليرة الكاتب :

في مجلة الحلال العدد الصادر في ديسمبر ١٩٧٠ سألت سائل الكاتب عن رأيه الذي سبق أن نشره عن الجنة والنار وقال : ألا تعتقد ياسيد مصطفي أن تفسيركم لا في الجنة من أنهار العسل واللبن ويختلف الطيبات بأنها مجرد رموز يمثل خدمة ، وخاصة بالنسبة للفقراء الذين يعيشون على أمل التمتع في الجنة .. لعرضاً عن الحرمان الذي وجدوه في الدنيا .. إن كانوا صالحين ؟ فكان جوابه : أنا لم أذكر اللذة الحسية والتمتع الحسية في الآخرة ، وإنما قلت : إن هذه اللذة الحسية لا أحد يعرفها تفصيلاً .. فليس العسل الهنكي في القرآن هو العسل الذي نعرفه ، ولا اللبن هو اللبن ولا النساء من النساء ، وإنما هي درجات من اللذة ، هي بالنسبة إلينا غيب ، ومهما يكن ، فالقرآن لم ينزل لإشباع أطماع الفقراء .. وإنما نزل يقدم لنا منتهى العلم ..

ولما كانت شياث الكاتب التي رجع عنها لأثران في أذهان غيره ممن لم يظفروا مثله بمراجع ، أو يملؤ رأياً وتخصص يرجع إليهم ، فإننا قد آثرنا استيفاء المناقشة .. لأنها لم تكن تنجيلاً لآتهام شخص ، وإنما كتبت لتعليم والهداية ، وإلى كافة الذين يشبهون نحو الدراسات الإسلامية من الشباب ومن للتقاعدين بعد الإحالة إلى المعاش ليس لهم ملوى إلا المناقشات العلمية والجدل ..

#### الفصل الثامن

### الحلال والحرام

- مدار التحريم والحلل .
- تناول الكاتب .
- ومن الناحية الموضوعية .
- النظرات المباحة .
- حكم مس الأجنية للشهوة .



## الحلال والحرام.

### • مقرر المحرم والحلال :

قال الكاتب : إن مقرر الحلال والحرام على القائدة والغرض ، فكل ما فيه ضرر  
 هرم ، فالزنا حرام ، لأنه فوضى تختلط فيها الأنساب وتختص النفوس للزوات .. وحرم  
 لحم الخنزير .. ونحن نعلم الآن أن حيوان الخنزير هو مستودع فيروس الأفلوئزا  
 والدودة الشريطية وأنه أنقل أنواع البزوين وأشدها تعقيداً .

ولو ألقينا نظرة على الحيوانات آكلة الحشرات كالبزوال والجمل والأرنب والحمل  
 والحصان والدجاج والهام للاعتناء أنها كلها رقيقة وديعة ، بينما الحيوانات آكلة اللحوم  
 كالسباع والتمور والضباع والذئاب والثعالب ، ومثلها في الطيور النور والصفور ، كلها  
 تشترك في صفات الفسوة والوحشية والفساوة ، ولا شك أن هناك علاقة بين الإسراف  
 في اللحم كطعام ، ونشأة صفات خاصة في النفس مثل الحدة والصرامة والفسوة ..  
 ولأن لحم الخنزير هو أكثر اللحوم ملوثة وأشد البروتينات الحيوانية تركيزاً ، فربما كان  
 ضرره على آكله أبلغ من جميع اللحوم الأخرى ، والله يعلم ونحن لا نعلم .

• والله هو القائل لكل المحيط .. وهو لا يفتح سنة بلا سبب (١) .

تعقيب : -

وهذا القول يردنا إلى البحث الذي طرحه العلماء في القرن الثاني والثالث الهجريين  
 واستمر مطروحاً حتى الآن ، وهو أن تكون الأحكام الشرعية مع الحكمة ؟ أم العلة ؟ أم  
 يجب التزام النص ولا يصح الخروج منه إلى الاجتهاد والقياس وتلمس الجليل في  
 الأحكام ونصوصها ؟

• الفرق : عبارة لفهم عسرى للقرن من ٨٤ - ٩٦ .

(١) الرجوع السابق من ٩٦ : ٩٦ .

وستترك هذا البحث لمن يريده ، فليرجع إليه في كتب أصول الفقه ، ولكن الذي يمكن أن نتاوله هنا هو كلمة الكاتب « والله يعلم ونحن لا نعلم » ومعناها أننا يجب أن نلقي عقولنا - عندما يأتي النص - عن كل شيء ، إلا فهم النص والعمل بمقتضاه ولا نسمح لأنفسنا بالخروج عليه .

وهذا حق ، ولكنه يتناقض مع ما قاله الكاتب من أن غرض البصر في عهد النبي جيب والديكوتي والجابونيز والباروكات أمر حسب في مثل شارع سليمان باشا ، ولا ضرر فيه ، إلا أن تكون النظرات خيفة ، فتتخطى العقل والقلب الشهوات ، وتفقد الإنسان هداه ، ويثني وجهه ، وينثنت ، ويأخذ سبله وراء ظهره ، وينسى المشوار الذي جاء من أجله<sup>(١)</sup> .

وبالمثل حكاية الفنان الطويل الأكام والمقصير الأكام . لا يمكن أن تكون الفضيلة أمثارة في الفاش تريد وتنقص .. وقد ليس امرأة مستأنسا طويل الذيل والأكام ، ثم نحشى بطريقة من تريد أن تلحق مستأنسا في كل خطوة .. وإنا نكلمت سمعت بحة تسيل دموعا وبغراء .. فالعبرة بالقلب « وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ » ( الأحزاب : ٥ ) - وفي الحديث برواية مسلم « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

إن التعري لشهوة هو الذنب الذي يلوث القلب ، أما اختيار زى مجرد المتواضع مع حرف العصر فهو مما يلتزم ..

ومن الواضح أن الكم القصير لو أصبح تقليداً بينهم الجميع فسوف تنفي الإثارة لأنها سوف تصبح العادة المألوفة التي نتمناها الممن .. وبالمثل : لو أن الكم الطويل أصبح عرفاً عاماً بينهم الجميع فإن ذلك الكم لن يصبح دالاً على شيء ، وإنما سيصبح حكمة حكم الجلد الخارجي ، وقرق بين التعري للشمس والتعري للشهوة على البلاغ ، واختلاف القلب في الحالين يحدد مكانا بين الذنب والبراءة .. فالظاهرة من الشهوة يجعل ما تبقى من خلاف مع الشريعة في أحد حرفاتها ذنباً ، ولكن من حين الذنوب التي تختفي .

(١) القرآن محاولة لفهم عصرى للقرآن ص : ٨٦ .

إن هذا الكلام يتناقض مع قول الكاتب « والله يعلم ونحن لا نعلم » .. هذا من الناحية الشكلية .

ومن الناحية الموضوعية :

هذه دعوة سبق إليها أئمة الاستيعار من قبله ، بمن أرادوا حدم تقاليد الإسلام تقليداً إثر الآخر .. وكأنهم الصورة التطبيقية للحديث الشريف الذي رواه أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ .

« ليتقن عرا الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشيت الناس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة »<sup>(١)</sup> .

وبما ذلك :

(١) أن معظم النار من مستصغر الشرر .. فالنظرة الصغيرة تقود إلى النظرة التي تجر النفس بعدها ، نشد انشاء الناظر ، بل تشده نفسه حتى يضرب في الأرض على غير حدى ، متجهاً هذه الكاسية العاربة .. وشوق شاعر مصر لا يجهل أديب مقالته .. نظرة فابتسامة فلام فكلام فومعد فللقاء فهي يريد الزنا كما يقولون .

ومن قواعد الفقه الإسلامى المخطوطة ، باب مد الذوائع ، وهي قاعدة منطقية من القواعد النظرية المقررة في منطق الحياة الاجتماعية ، يعرفها حتى العوام بقولون في أمثلهم « الباب الذي يأتيك منه الريح منه لتسترخ » .

فالفسر إذن من أى نظرة قائم وموجود ، إلا ما أباحه الشارع من نظرات وهي :

١ - النظر للزوجة والأمة المملوكة للناظر .  
نظر الرجل إلى زوجته وأمه إن كان في مجتمع لا تزال فيه الإماء من سبيل الحرب وحجها ، أو ما كان من نسله ، فهي حلال كلها .

٢ - النظر للمحارم :

ونظرة الرجل إلى قوات محارمه من نكس أو رضاع أو مصاهرة جاز لها هذا ما بين

(١) رواه أحمد ص : ٢٥ .

السرة والركبة ، كأمه وأخته وعالاته وعلمته بنير شهوة ، فإن حرمة الشهوة واجب عليه  
غض البصر رغم شدة القربى .

٣ - للخطبة :

والنظر لأجل النكاح ، ووضعية في الخطبة ، فينظر إلى الوجه والكفين كما قال  
الشافعية وإلى ما يدعو به إلى نكاحها من السابقين أو المتأخرين عند بعض الباحثين .  
والحق أن ما يدعو إلى النكاح هو الوجه الذي فيه بهجة ووسامة المرأة . واليدان اللتان  
يعرف منها مدى الرقى والطراوة .. مع ما يظهر من المرأة عقوا وبالرغم منها كالتقوا أو  
القدم أو المعصم .. ثم صوت المرأة وطريقة كلامها .. ثم ما وراء هذا يستكمل معرفته  
النساء من أهله كأمه وأخته ، فإذا رضى بها وتمت خطبتها لم يجوز له بعد ذلك أن يرى إلا  
وجهها وكفيها عند الضرورات التي أباح المشرع فيها ذلك كمنى امرأة أجنبية إذ علة جيل  
النظر قد انتهت .

هذا هو مذهب الضعيفة والأوزاعي وعطاء والحسن ، وهو اختيار أبي جعفر محمد  
ابن جرير الطبري في تفسيره (ج ١ ص ١٨٠ - ١٢١) - خلافاً لمن يقول : المرأة  
بمحبرة المهرام كلها حرة .

والذي اختاره ابن جرير هو مذهب أبي الثعالب والنخعي وغيرهما ، ورواه ابن  
جرير عن ابن عباس ، كما رواه ابن كثير والبيهقي في تفسير آية النور ﴿ وَلَا يَنْدَبِينَ فِيهِنَّ  
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

٤ - النظر للعلاج :

والنظر للعلاج : فيباح إلى المواضع التي يحتاج إليها في العلاج فقط ، فهي ضرورة  
والضرورات تلغى بقدرها ، ويكون النظر للمداواة بحضرة محرم أو زوج ، أو امرأة  
ثقة ، وبشرط عدم وجود امرأة تقوم بالعلاج بدلاً من الرجل في كفايته اللازمة  
للعلاج .

٥ - النظر للشهادة :

والنظر من أجل الشهادة للمرأة أو عليها عملاً أو أداء - يعني لكي يعرف الحقيقة  
فيشهد بها مستقبلاً - أو عند أداء الشهادة فيقول هذه هي المرأة التي رأيتها فصل كتابنا .

٦ - النظر للتعامل :

ويحل نظر الرجل للمرأة كي يشهد عليها ، أو يراها لأنه سيتعامل معها في صناعة أو  
تجارة أو زراعة .

وفي كل أحوال النظر للشهادة أو التعامل يحل النظر للوجه فقط دون غيره ، إلا  
عندما تقتضي الشهادة أمراً وراء ذلك ، كالشهادة على الزنا أو الشهادة من المرأة لأخرى  
لرؤية علامة البلوغ من عانة أو ثدي أو من المحرم للمرأة حين يطلب منه ذلك ولا يوجد  
من النساء من يفتي عنه في هذا ، ولا أفلتنا نعجز عن الحصول على امرأة مسلمة نخرجنا  
من حرج الضرورات .

٧ - في تعليم الرجل للمرأة :

كما يحل في الصلح النظر إلى الوجه وحده ، سواء كان تعليمياً صناعياً أو دينياً ،  
وذلك بشرط المرأة المسلمة ، وعدم الشهوة ، وعدم الخلوة ، والتزام المتعلمة ارتداء  
الزى الإسلامي .

• حكم من الأجنبية للشهوة :

ومنى حرم النظر حرم المس لأنه أبلغ في اللذة وإثارة الشهوة ، بدليل أنه لو مس  
فأقول أفطر ، ولو نظر فأقول لم يفطر ، وفي الأمر : لأن يزحم أحدكم محترراً مطلقاً  
بطعن أو حياء خير من أن يزحم منكبه منكبة امرأة ، رواه الطبري (١) وعنه (٢) أنه  
قال : من مس كنه كف امرأة لكأنما مس جلده قطعة من النار (٣) . ولذا درج  
الصالحون على ألا يصافحوا النساء إلا مع حائل ، وإذا أجهلوا عن الحائل لم يطبلوا .  
أمم الصافحة خشية أن تتحول إلى منبر ، والفتداء بالنبي ﷺ إذ روى أنه لم يصافح  
امرأة قط ، وحكم الاختداء بمس النبي الذي لم يصافحه أمر أو نهي قوله أنه فعل  
مستحب ، فإذا كان هناك نص قاله النبي يصيغه الأمر أو النهي كان العمل به واجباً  
وليس مجرد سنة مستحبة ، فمن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ  
يباح للنساء بالكلام ، بهذه الآية ﴿ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَنَّ بِلَهِّ شَيْئاً ﴾ قالت : وما مست

(١) ووضعه الفتاوى .

(٢) وهو منصوص على أنه شديد الضعف .

يده امرأة قط إلا امرأة بملكها<sup>(١)</sup> ، ولم يصح في الباب إلا هذا الحديث من أقوال الرسول ولكن لم يرد عنه حديث ينهى عن المصافحة بالذات لا صحيح ولا صحيح بالرغم من أن المصافحة عادة اجتماعية كما تعم به البلوى .. ولو صح فيها شيء لاستوفى كتب الصحاح .. وكل ما روي في غير المصافحة لا يحمل عليه المصافحة إلا إذا قصد بها الهوى والشهوى ، لا إظهار الاحترام وقصد التحية ، وهكذا كل المثيرات ، فكل ما حرم نظره متصلاً حرم نظره منفصلاً كشمس وقلمة ظفر من يد المرأة<sup>(٢)</sup> حيث تشد انتباه العشاق والمهرومين .

(ب) ودعوى أن الفحري حين يكون عادة يصح غير مثير ، كما أن الحجاب حين يكون عادة لا يمنع الإثارة ، يكذب الواقع . ففي باريس وحديقة هايد بارك وشي حدائق أمريكا مع طول عهد الناس هناك بالاختلاط والفسوق فلا تزال الإثارة الجنسية تعمل عملها ، حتى أصبح الإشباع العلفي في هذه الأماكن عادة ، كما تفعل بعض الطيورانات السفلى ، بينما تترفع حيوانات أخرى عن ذلك وتطلب المكان البعيد عن رؤية الآخرين عند اللقاء ، وغريزة الجنس - ككل الغرائز - فطرة وطبيعة فنية تأخذ في تكوينها مراحل ثلاثاً :

(١) نظرة وإدراك .

(٢) انفعال عاطفي للمستنظر والمدركات .

(٣) ثم سلوك عملي وانخراط موقف إيجابي نحو المنظور كما قال مكند وجل . فالنظرة مثير للانفعال الذي يتحول إلى حركة واستجابة للحاجة النفسية بالتفاني الشراء والفلاسة كما رأينا .

وأما قول الكاتب :

« إن المرأة لا يرى الجمال فيقول إعجاباً وتعظيها .. » (١) ، فالخلاف من أبسط أصول الدين .

(١) محمد بن أحمد الشريفي الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع . باب النكاح ج ٤ : ص ٤٣ - ٤٦ ط الأولى ، دار الطباعة المهدية بالقاهرة .

(٢) رواه أحمد ج ٦ ص ١٥٣ - ١٦٤ - ٢٧٠ - ورواه البيهقي في شروط تصدير سورة : ٦٥ - ٢ ملاق - أحكام : ٤٩ - مسلم وإمامه : ٨٨ و ٨٩ وأبو داود إسناده ٩ - والترمذي تصدير سورة (٦٠) ٢ - وابن ماجه (ص : ٤٣) .

(٣) القرآن : محاولة تفهم عصري للقرآن ص ٨٧ .

فقط يصيدنا بالطريقة التي يريدنا وقد أنزلنا في كتابه .. والغاية التي زعمها الكاتب من استثمار عظمة الله وماله من جلال فيها خلق من الجمال - سلوكه إلى الطاعة ، من طريق العصية . وقد بدأ قيل : « ليتنا لم نزل ولم تصدق » ، والغاية لا تبيد الوسيلة . ثم إن الذي علينا هو التزام النصوص ولو لم نفهم الحكمة فيها ، سواء كشفت الثمن لنا عن وجه الحكمة ، أم كانت حكمة الله في أن يظل وجه الحكمة خائفاً عنا .. ثم إننا نحن للرؤى والله هو الشافي ، فعلياً أن يخط الدواء ولا يحدد المريض الدواء . ومع ذلك الطبيب .

(ج) المرأة التي تلبس الثوب الطويل وتغشى لكاد تخلع ثوبها ، وتلبس بضمها غريزة السامع ، آتية أيضاً ، لأن الله حرم كشف العورة كما حرم المثيرات . ﴿ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبَرُّجَ فَجْهَبَةِ الْأُولَى ﴾ (الأحزاب : ٢٣) ﴿ وَلَا تَقْفُضْنَ بِأَلْقُلُوبِكُنَّ الْبَلَىٰ لِي قَلِيلٌ مَّرْصُ وَلَا تَقُولْنَ مَعْرُوفًا ﴾ (الأحزاب : ٣٢) - مها كانت المرأة سالحة ، أو كانت بعيدة عن مظنة إيقاعها في حبال الرجل لمزنتها الاجتماعية التي تسمو بها على مستواه كأمهات المؤمنين ، وكنساء زعماء ودعاة الإسلام .. وكزعيمات الحركة النسائية الإسلامية .. حتى رثة الخلخال وبريق الحل أو الثوب ، مشيرات بحمة ، ﴿ وَلَا يَلْبِسْنَ ذِيئُهُنَّ إِلَّا مَا يَحْمِلُهُنَّ ﴾ أي ما انكشف في أثناء الفصل كالحثام ﴿ وَلَا يَتَّبِعْنَ بَزْمَهُنَّ يُظْلِمَنَّ مَا يَلْبِسْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (النور : ٣١) .

وقد ذكر النبي نساء النار فقال : « صنفان من أهل النار لم أرها ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها أبصار الناس ، ونساء كاسيات عاريات ماللات بملات ، وموسى كآسنه البحث المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وإن ربيها ليجود من مسيرة كذا وكذا » .

(د) وقول الكاتب : إن طهارة القلب من الشهوة يجعل المخالفة غريزيات النصوص كما يتفر<sup>(١)</sup> ، يذكرني بقول النبي : في الحديث الصحيح ما معناه : إن الفاجر لو الكافر - يأتي الذنوب كجبال أحد يظنها لإحقيتها كالذياب يقول يده : أهلاً حاه .. أي بحركة يده يمكنه أن يدفعه .. والرجل التي يأتي الذنوب الصغير يظنه كجبل

(١) عند جمع المقالات في كتاب أسقط الكاتب هذه العبارة ، وإنما أبقينا المناقشة لوقوع بعض الناس في هذا التهم الخاطيء .

أحد ، وروى ابن ماجه عن ثومان (رض) عن النبي ﷺ أنه قال : « لأعلمن أنوما من أمتي يأتيون يوم القيامة ، بأعمال أمثال جبال تهاجم بياض ، نجعلها الله هباء منثوراً » ، قال ثومان : يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا ، لا تكون منهم ونحن لا نعلم . قال : « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم » ، يأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها (١) . »

ورحم الله الإمام الغزالي إذ قال : لا تنظر إلى نوع المعصية ولكن انظر إلى عظم من نعصيه ..

هذه هي النظرة التي يجب أن نصاحبها عند أي مخالفة لمروء الكليات للباركات من كتاب الله وسنة رسوله .. وفتح الباب أمام رحمة الله للتوابع موضوع آخر له لغة أخرى ، لا تدفع إلى الخطيئة إنساناً وأنت تقول له : « الله غفور » .. فإتاك بهذا تحرض على الخطيئة .

ولكن قل للمخطئ : « تفلّ عن خطيئتك وتعال إلى الله » فإنه يمدّ يده إليك كما تمد الأم لطفلها يدها لتظله من حارّه .. والله أرحم بالعبء من الأم بولدها .

(د) وقول الكاتب : « إن الله لا ينظر إلى الأجساد » صحيح ، لكن صحيح أيضاً أننا ننظر إلى الأجساد والأهوال « ونظراتنا لها أثرها فينا .. وأنه مامن باطن إلا وله ظاهر ، فالطبيب عادة يعرف من سفرة حذقة العين أن الإنسان مريض بالمرارة ، ويترفع من شدة السمّة أو شدة الهزال أنها دليل على مرض السكران يشكو أعراضه ، ويعرف من التبيض نوع المرض الداخلي ، هذه هي القاعدة الأصلية .. ثم يروا هذا أمر شاذة أو مكتملة ، لها قواعد المضبوطة التي يجب أن نلاحظ ، مع عدم التخلل عن القواعد العامة الأصلية .. في منطق الدين والطب وثنى العلوم .

كيف والتطيق العلي في عهد النبي ﷺ يدك على أن ماسماه الكاتب « حريات » مقصود تماماً .. وأن هذا الحري بكل صورته هو الذي كان في الجملانية الأولى ، فتبين النبي ﷺ عنه ، ووثق النبي ، فيما يروى أن أمهات عندما دخلت عليه

مرتبة ثوبا شفافاً فقال لها : إذا بلغت المرأة الحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى الوجه والكفين . رواه مسلم .

ودخل بعض النسوة على أم المؤمنين عائشة في ثياب رقيقة فقالت : « إن كنتن مؤمنات فليس هذا ثياب المؤمنات » . فالثياب الشفافة والعارية الصدور ، وما إلى هذا .. ما هو إلا تردد لخدنية العصر الجاهل التي حاربها الإسلام أولاً .. وما قوله : « وَلَيُصْرَبْنَ بِغُفْرَيْنَ عَلَى جُذُوعِهِنَّ » نبياً عن كشف العنق والصدر والكفين حيث يلتصق الخلل جسيماً ، إلا علاج لهذا النوع من الجيوب والصدور العارية وتصنيف الشر والباركة ..

وما قوله تعالى : « قُلْ لَا زُجَاجَ لَكُمْ وَتَاكُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا مُذِلًّا » . فإتاك بهذا تحرض على التوب القصير كاللبن الحليب والكروبيج .. وليكون التوب كسباً حتى القادمين بأي سبيل للكساء .

(١) الترغيب والترهيب. لعبد العظيم بن عبد القوي القزويني سنة ٦٥٦ هـ - ٣ من ٢٤٢ - ٢٤٣ الطبعة الثالثة للطبع سنة ١٩٦٨ .

## خاتمة

في هذه الفصول الثمانية أتيت لثمة فرصة للتعرف على حقائق هامة لابد للمسلم من أن يعيها .

في الفصل الأول ، عدة المفسر ، تناولنا ما يجب على المفسر أن يعلمه ، وبيننا أهمية الإلمام التام بالقرآن وقراءاته حتى الشاذ منها ، فإنها على الأقل تعطينا ضوءاً من أضواء التفسير والفهم ، وأشرنا إلى أهمية التفرغ من علوم اللغة العربية بكافة فروعها . فإن الحراف كثير من الفرق والأفراد إنما يرجع إلى الجهل بالحقائق واللغزى من أساليب القرآن ، وذكرنا ضرورة التعرف على أسباب نزول الآيات التي ارتبط نزولها بسبب ، وعلى مناهج البحث في الشريعة الإسلامية ، سواء ما يسمى « أصول الفقه » أو « مصطلح الحديث » أو « علم الرجال » وبيننا ضرورة الدراسة الواسعة للبيئة التي نزل فيها القرآن ، فهي أم الصور البيانية للغة القرآنية ، وكذا دراسة السيرة النبوية ، لتعرف كيفية التطبيق للنصوص ، ونزيل بفعل رسول الله ﷺ الكلام عما له شبه علينا فيه الأمر من المهام .

وعرفنا وجوب الانفتاح على العلوم الكونية والاجتماعية والفنية والصوفية ، وكل ما خلق الله من معارف سألها إلى البشر ، لأنها تعطينا شواهد تزيدنا يقيناً بمنزل الكتاب وصدق آياته ، وهي في ذاتها بيان وأضواء لحقيقة أمها القرآن .

وذكرنا اتفاق المسلمين على أن القنوى لا تؤخذ إلا من درج ذلك بممارسة العمل بأحكام الشريعة فتكشف له العلاقة التي بين النص والتطبيق ، ويتدفق وتنشأ روحه من طول الاتصاف بالقرآن والنشأة في حضرة طيبة حقائقه العليا ، فيشرك من الأسرار ما لا يدركه الواقفون على شاطئ البحر يتفجرون على الغواصين ويرتقون ما يطرعه البحر لهم من أعماقه على سطحه .

وتناولنا في هذا الفصل الفرق بين حرية الإنسان في أن يفهم من كتاب الله بقدر استعداده ومواهبه ما شاء ، وبين نشر مفهومه على الناس دون تثبت والالتزام للشروط

الواجب توافرها لمن يعرض للتفسير ، كما ألقنا إلى خطورة الاتجاه إلى إخضاع القرآن لما تسميه « النظريات العلمية الحديثة » أو « سبق القرآن للعلوم » وهي نظريات قابلة للتطور والتغير والبطالان ، ووضحنا أثر هذا المنهج في تقويض المسيحية وثورة العلم ورجاله على الكعبة في الغرب حين أقحمت على الحقائق السماوية مقررات علمية خلفت عليها صفة الوحي ، ثم تطور الفكر والكشف العلمي بما ناقض هذه المقررات العلمية التي خلقت بحقائق الوحي السماوية ، مما كان له أبعد الأثر في رواج الإلحاد بالغرب .

## وفي الفصل الثاني :

تناولنا القرآن وإعجازه : وفيه تحدثنا عما سماه مصطلح محمود موسى القرآن وبيننا أول شطحياته وهي قوله : إن السور المفتحة بحروف هجائية مقطعة كأنها مفاتيح الشفرة . ولم يكن النبي على علم بها ، وذكرنا سبعة أوجه في تفسيرها ، وبيننا الخطأ في حذف الكاتب للنبي بجهل شيء من القرآن ، لأنه لا ينبغي أن يكون المتحدث الرسمي عن بيان الإلهي جاهلاً بشيء مما يذيعه على الناس ، وأضفنا إلى هذا ما لم ننته الشاطيء . على الكاتب وأمثاله ممن يجذبهم كلمات الشعر ولغة العصر كقولهم « سبغونية القرآن » أو « المعجز القرآني » وما وقع لمصطلحي محمود من اضطراب موضوعي حول قوله « القرآن ليس كتاب علم ولا فلسفة ولا سياسة » ثم يقول : إن التوحيد في القرآن نشأت عنه كل أعداد المعارف والعلوم وهو بذلك على علوم لم تعلم بعد ... الخ .

ثم تناولنا الحديث عن عجز إعجاز القرآن وما يضرب به المثل للإعجاز العلمي : مثل تقديم السبع على البصر في الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ الشَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ ( المجدة : ٩ ) ومثل حديثه عن قوة حيوط التنكيوت في الآية ﴿ تَكْمُلُ الْمُتَكَبِّرَاتِ أَشْجَلَتْ تَيْتًا ﴾ وذكرنا وجه الخطأ في التفسير لا الحقيقة العلمية من حديث إن تفسيره يعلمنا عن الفرض التصوري للآية .

ثم تناولنا الكشف الصوري لقب محجب مطمئ ، وبيننا أنه « لا يعلم الغيب إلا الله » .

## وفي الفصل الثالث :

تناولنا قضية التوحيد ، وفيها تعرضنا إلى نظرية الفيض أو العلة والسببية التي تورط

لها الكثيرون ، ومنهم بعض الصوفية الذين يأخذ عنهم الكاتب بعض عباراتهم ، ويبتدع فساد هذا الاتجاه ، وعرضنا للبحث عن أسماء الله الحسنى وتورط الكاتب في خلع ألقاب على الله لا تليق بجلاله مثل : هو المعلم الأول ، وهو يذكركم بالمدرس الأول ، ومثل تعريف معنى أسماء الله كشرحه « النور » في قوله سبحانه ﴿ في الله نور السماوات ﴾ بأنه النور الذي تروى به الأشياء ، وشرحه « القيوم » بأنه الذي به تقوم الحياة ، فهو قيوم ، وبيننا بطلان التفسير ، إذا أراد بكلمة ( به ) ما يقوله الفلاسفة من أن كل حاف الحياة من أشياء ذات اتصال بذااته ، سواء من يعنى بهذا أنه ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون ﴾ هو الحياة والكون بما فيه ، ومن فيه ، وأن الكون بوجوده هو المظهر للألوهية ، أو من يعنى أنه ( سبحانه ) علّة الكون .

وعرضنا لدعوى الهجرة في الإسلام ، وأنها من مكان إلى مكان ابتغاء وجه الله ، وفساد دعوى الصوفية أن الهجرة المكانية أمر خطير ، كما عرضنا لدعوى أن الصوف لا يشعر بعمله الصالح ، وبيننا التفسير الخاطئ لحم في الآية ﴿ وَالْحَسَنُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ . كما بينا بطلان القول بأن المتصوف واليوسى والراغب كلهم حل درب واحد . والقول بأن جميع أهل الكتاب من يهود ونصارى ومسلمين على هدى ، وذكرنا التفسير الصحيح للآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ جُزْءٌ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ ( البقرة : ٦٢ ) . كما بينا فساد القول بأن الصوفية في ارتدائهم ثياب مشارب أصحابهم بين تارك للشهوات وعازف عن الزواج على قدم عيسى ، وأصله بالحق والعدل والقول على قدم موسى ، الخ .

وعرضنا لبشرية النبي وبطلان قول من قالوا : النبوة أمر غير بشرى في ذاتها ، حقيقتها ليست بشرية ، وقد سئرت الذات بأفعال البشر ثم عرضنا إلى الإدراك الصوف ودعوى أنه فوق إدراك النفس والعقل ، وبه اتجاه الصوف ، وبيننا أن المدعى الصوف وإلغائه ليس حجة شرعية ، كما عرضنا إلى تفسير الجهاد بأنه جهاد النفس ، إلى امتناع الصوف عن دعاء ربه أن يكشف عنه الضر .

وعرضنا لدم الصوفية علم الفقهاء والمحدثين والنسرية يلسان روايتهم للحديث ، وبيننا أن الرواية قديماً منهج علمي ، نظيره الآن إثبات المراسع في البحوث العلمية . وعرضنا لعدد أسماء الله الحسنى ووقع الكاتب في الأخذ عن الكنائس بما يشعر أن

كنهم أغزر مادة في باب أسماء الله ، وهكذا بينا وجه المغالطة في بيان فصل المذكور وعلاقته بالنجاة يوم القيامة وأن فضله على الصلاة لا يمنع ختمها وأنه بدونها لا ينجو الفاكرون من عذاب الله . ثم عرضنا لبيان عدم الكهنوت في الإسلام ، وأن الناس ينوء جميعاً وعباد الرحمن ، وسقطات الكاتب في حديثه عن امرأتى نوح ولوط عليهما السلام واتهامها بالزانية الزوجية ، وفي حديثه عن الحدود ، وزعمه أنها تسقط بقوة الله أمام الحاكم ، وبيننا خطأ الكاتب في تفسيره للسرقة بأنه مظهر للبطلية ، وفي تجريحه خلفاء بني أمية بأنهم جعلوا قصورهم سارج للسلع الحسية على الطريقة الفارسية .

### وفي الفصل الرابع :

تحدثنا عن الإنسان أحوالاً أم غفراً ؟ وسقط الكاتب فيها هو شائع من النهي عن الحديث في القدر ، وبما المراد من هذا النهي وبيننا كيف يهدم الكاتب بنفسه مذهبه فقال بأن الإنسان ابن يثته وابن عصمه وابن مجتمعه ، بعد أن قال : الإنسان عندى متغير على ما ضل .

ثم تناولنا مشكلة الخربة والكفاف التي أثيرت في كتاب « لغز الموت » وناقشنا قول من يقول : « ولا يحق للفقاري أن يصرخ لأنه لا يمتلك إلا الكفاف » ، وبيننا إلى أن هناك فرقاً بين الكفاف والجفاف ، ودعاء النبي « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » .

كما ناقشنا - في حديثنا عن منطق المعجز - تفسيره آيات الليل ﴿ فاستسيرة للسرى ﴾ أو ﴿ فاستسيرة للسرى ﴾ وآية الفتح ١٨ ، وآية الأنفال ١٨ وآية الصف : « وقد استشهد بها في غير المواضع التي هي شواهد لها .

كما وجهنا النظر إلى التصحيح - أي تبديل بعض الكلمات أو الحروف في الآيات - ووضحنا الفرق بين طيبة العلم الذي نعلمه والعلم الذي هو صفة الله تتكشف بها الموجودات على ما هي عليه : وصورتنا الخطأ في قوله : « إن ما يدور في القلب هو موضوع المقابلة بالدرجة الأولى ، وليس ما يجري على مسرح الفعل » ، والخطأ في تقليد الكنائس واتباس مصطلحاتهم مثل : « القلب أو الروح » « قدس أنداس » ، ثم بينا أن ما قاله عن مكان « الروح » قول لم ينفق عليه الفلاسفة ، وأن الكاتب يناقض نفسه

فيقول : الله يدع القلب حراً ويقول : ( فهو يحول بين المرء ونفسه ) ، وعرضنا للآية ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ ﴾ عند المفسرين .

#### وفي الفصل الخامس :

لغز آدم وحواء : كان الحديث عن نظرية داروين وبطلانها بعبارة جيدة قولاً وصفاً الله بأنه : القنان وأنه يفكر ويحس وأنه : العقل الكلي . وقد يقول ﴿ وَخَرُّوا إِلَيْنِ يَلْعَنُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ولولا إيهام عبارته بالفرقة بين القرآن وبين كلام الله ، ولأن في القرآن ما لا يفهم .

وتناولنا القرآن ونشأة العالم ، وما تعرض له القرآن من الآيات الكونية كالسديم ، وكروية الأرض ، ومسارات الكواكب ، والهباء الجولية ، وخلق الإنسان والحيوان ، ونظرية التطور ، وتفسير الأيام في قوله سبحانه ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ وَعْدُهُ عَشْرِينَ مِائَةً ﴾ بأنها لغز الأرملة الجيولوجية ، وتفسير آية الأعراف : بأنها معنى خلق الإنسان على مراحل زمنية ، ثم نخلص إلى أن جاء آدم عبر مراحل من التخلُّق والتطور والصورة استغرقت ملايين السنين بزماننا وأيامنا بزمان الله ، وكلنا نفسير الآية ﴿ أَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُهُ ثُمَّ خَلَقَهُ ثُمَّ خَلَقَهُ ﴾ بأنه حدى مسيرة التطور حتى بلغت ذروتها ، ثم لتفريده أن آدم الأول يحاكي آدم الصورة والثال الذي خلقه الله في للكون ، فهو آدم جديد ، ولقد بينا فساد هذه التأويلات .

ثم كان تساؤل : هل الأكل من الشجرة أمر رمزي ، وتفسير الشجرة بأنها شجرة النخل كما ادعى مصطفى محمود ، ثم تفسير جنة آدم بأنها جنة ممنوعة ، وتفسير (أهبطوا) بأن ضمير الجمع يعنى آدم وحواء والجن في بطنها .

واستشهد الكاتب بنص في التوراة هل معنى الاستنار والعمرة يعارضه القرآن ، ولقد رددناه إلى الصواب ، وكان الكاتب مهذباً حين أظن رجوعه إلى الصواب عندما أعاد طبع ما نشره ، وإن كان في توبته لم يزل مشوش الفكر ، فلم يكن حازماً ، ولكنه يعمل ما قاله المفسرون القدماء والمعاصرون جباراً ، وجائزاً فقط . ثم يسقط مرة أخرى في وصفه الله بأنه : الحق المطلق ، وصفاً لا على سبيل التمثيل ولكن على سبيل القصر ، وفارنا هذا القول بقول الباطنية .

ويسقط في تفسير الوحي بإقراره قول الملاحدة بأنه صورة من نشاط عقل ياطن

اتضح علماً على : الحقيقة المطلقة : وبيناً أقوال المفسرين وحديث الرسول في طرق نزول الوحي ، كما بينا قيمة الإلهام وحقيقته وأنه ليس وحياً .

وبينا فساد قول الكاتب في (لغز الموت) إن الوحي يأتي الأنبياء بين الناس والنبوة كلفهم العبارة مع الفارق في الدرجة ، ونجسنا الفصل بالحديث عن ختان آدم وربط الكاتب له بالخطيئة الأولى ، وأنه محاولة من آدم للتكفير عنها ، ثم أصبحنا تغليباً دينياً ، وبيناً هذا الوجه .

#### في الفصل السادس : التوبيخات :

ومن السقطات التي يراها تفسير الملائكة الذين يحصلون العرش بالقوانين الفيزيائية ، وهكذا يخطأ القول بأنه لا تعدد لياقات الملك وكفائاته ووظائفه كما تعدد وظائف الإنسان ، وخطأ الشك في حديث رؤية النبي لجبريل في صورته الحقيقية مرتين ، وبيناً كيف أخطأ الكاتب في المكان الذي روى أن النبي رأى جبريل فيه يملأ الألف ، فقد كان في حراء ، لا كما يزعم الكاتب أنه بالبلخ ، ومن الخطأ دعوى أن في البشرية من رأى الجن والملائكة والشفطين شهوداً ، فقد روى هذا في الملائكة والجن بصور تشكلوا فيها ، أما الشياطين فالقرآن يقول : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ وبدون دليل قال الكاتب : الملائكة لا يموتون ، بالرغم من عموم الآية ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ . وفي الحديث عن لغة النمل كانت عبارة الكاتب غير واضحة بمراده إذ قال : إدراك لغة لسليلان مثل إدراك سليمان لله ، فليس بظاهر وجه الشبه : ثم وهم الكاتب قاطع عرافات الإسرائيليين المروية عن السحر وتاريخه ببابل ، وذكرنا قول المفسرين في هذا ، وقد أضمن في الخطأ إذ قال - بدون رواية صحيحة ولا أثر تاريخي - إن السامري صنع العجل بالشعر ، وجرى في تفسير سورة الفلق مجرى ذكرنا ما يقابله من تفسير الإمام محمد عبده والبيضاوي في ﴿ التَّائِبَاتِ فِي الْقُدْرَةِ ﴾ ومن القليل المبرح ، فسر بالقوانين الفيزيائية (الطبيعية) التي تمنع وتضبط وتحفظ لكل شيء حدوده : وذكرنا وجه الجمع بين قول قدامى المفسرين والمعاصرين .

ومن التيب : الفلم ، وبيناً ضعف قول الكاتب : « وأغلب الظن أنه ليس قلنا الذي نكتب به المقالات » ، ومن التيب الحو والإثبات الذي في الآية ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُكَيِّتُ ﴾ . وبيناً فساد قول الكاتب : « إن الآية دلالة على صحة المغفرة بدرجة تصل إلى اللامعقول ، إل محو القدر المقدور » .



وعرضنا لتفسير الكاتب الآية الحج : ٤٧ ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، وبيننا أن الآية في موضوع غير ما استشهد له بالآية .

ومن الغيب القيامة : وقد فسرها بجعل الله بذاته ، وذكرنا أن التفسير لم يرد في الشرع ، وهو تدخل في معرفة كيفية وقوعها ، ثم ذكرنا علامات الساعة واستشهاد الكاتب بما في الإنجيل عن النسخان وضعفه ، وذكرنا التأويل لأجور وملجوج واعتبار السد رمزاً للجهل ، وبيننا فساد هذا التأويل .

وقد أخذت بنت الشاطئ ، على الكاتب قوله إن ذلك الجبال يوم القيامة تشير إليه الآية ﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَغِيظُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ﴾ ، بينا الآية في قوم موسى عليه السلام . ومن الغيب الإيمان بالبعث بعد الموت ، وقد بينا العلة في اختيار اللفظ القرآني ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ بدلا من «ستموت» على وجه أفضل وأقرب مما غاله الكاتب ، كما بينا تفسير المراد بالروح في الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ وأنها هي القرآن .

وعرضنا للقول بأن القرآن لا يحفل بالأمور المتغيرة ويتركها لأصحابها بمتهدون فيها ، وبيننا أنه مغلط من غلط في القرآن ، فقد وطبع الأصول العامة التي توفر لكل أمر من الأمور في أي وقت من الأوقات الحل المناسب .

ثم طعننا كتاب لفر الموت ، وفيه عرض لفكرته عن الموت والبعث والزمن والمحب والفضاء والقدر وبيننا فساد فكرته عن كيفية الموت بأنه عملية طبيعية ناشئة عن موت الخلايا ، وفساد فكرة «البقاء للأصلح» ، وفساد تصوره لتعذب بأنه دافع الحرب من الموت والتشبيث بالحياة ، فيستعين المرء بالمرأة بحيا أو بأطفاله بحميم الخ ، وفساد تصوره الشعور بالذات أو «الأنا» موجوداً وفي عذبة العقل والمغيب ، وبيننا فساد سلوكه مسلك أنشئين في تفسير الزمن وعلاكم بالمادة بأن كلاً منها إحدى القنات التي يتألف منها نسج الكائن الحي ، وفساد تغير الكاتب للزمن .

### ول الفصل السابع : الجنة والجحيم :

بيننا بطلان قول الكاتب (كل ما جاء في الجنة والجحيم ألوان من ضرب للثال والرمز) وقوله (إن الله لا يعذبك ولكن تعذب نفسك بمهلك) و (إن هذا الصخر هو الذي سيغذب ويحرق) وقوله : «وإنما يأتي العذاب واحترق الصدور من يسلم من» هو في أسافل الدرجات بالغيرة والحسد والموانة ، وسوف يحرق هذا الإحساس

الصدور كما نحرقتها النار وأكثر ، وسوف يكون هذا النكال والتنكيل ، نكل الواحد منا بنفسه بالفرجة التي وضع منها ، وذكرنا الدلائل على وجود عذاب ونعيم حسيين إلى جانب العذاب والنعيم النفسانيين والمعنويين ، وذكرنا قوى الإمام الغزالي فيمن يتكبرون الجزء الآخر المادي .

ثم ناقشنا الكاتب في تفسيره جنة آدم والعودة إليها بأنها «جنة الطاعة والإسلام للتوحيديين الإلهية» ، وهذه هي الإنابة والرجعة التي تكرر في القرآن ، وتفسير حوار الكفار في النار ويان بطلان الاستشهاد به على عدم وجود نار حسيّة للعذاب في الجحيم وبيننا بمنطق العلم عدم المغرابة فيما روى عن ضخامة أشجار الجنة وسعتها وعظم أجسام الكفار ، وبيننا سقوط الكاتب في إنكار الخروج من النار بعد الدخول ، وبيننا بإمكان أن يكون في الجنة والنار مالا عين رأت ، وبيننا حفيضة مرجع اسم الإلهارة في ذلك الذي يخوف الله به عباده<sup>(١)</sup> . وبيننا لسناد تفسير الكاتب الآية ﴿كَفَىٰ بِتَفْهِيمِكَ الرَّبِّ عَذَابَكَ حَسْبًا﴾ بأنها تعني حساب النفس للنفس دون أن يحاسبها الله بنفسه وأن يعذبها وبيننا للغزى العلمي للآية كما قال العليمون ورأينا في قولهم ، وبيننا إمكانية الحساب للموتى بمنطق العلم الحديث ، وتناولنا حديث النار والأرواح ليل أن تخلق الأشباح ، ونعجب للكاتب من أن ينظر الله إلى المخطئين بعين غاضبة .

### ول الفصل الثامن : الحلال والحرام :

تناولنا مدار التحريم والحلل ، وبيننا تناقض الكاتب في قوله (واقد يعلم ونحن لا نعلم) ثم قوله «إن غرض البصر أمر صعب في مثل شارع سليمان باشا ولا ضرر فيه إلا أن تكون النظرات عجيبة» وبمثل حكاية القسطنطين الطويل والأحكام والفصير الأحكام ، وإن التمرى لشهوة هو الذنب ، أما اختيار زى فجرد التوافق مع العصر فهو ما يفترض ، وبيننا بطلان هذه القضية من حيث الشكل والموضوع .

وذكرنا قاعدة (سد الدرائع) في الإسلام وقول الفقهاء ، إن النظر إلى المرأة على سبحة أضرب . وذكرنا حكم سر الأجنبية للشهوة ، وفساد قول الكاتب «إن طهارة القلب من الشهوة يعمل مخالفة لحرفيات النصوص مما يفترض» .

ول جموع هذه الدراسة أودعنا كل كلمة جميلة فيها طمارة للكاتب ، لأنني أعد  
الكاتب المخلص شريكاً في بعث الحقيقة ونشيد بناء الفكر النظيف ، وأعتقد أنا شركاء  
في واجب البحث عن الحقيقة وإيلائها طلابها ومن هم في حاجة إليها - ولو لم يطلبوها  
- في ظلال الحب والإخاء . فالحلم أجمل ما كتبناه عملاً نافعاً تحت راية القرآن .

فهرس الکتاب

رقم الصفحة

الموضوع

٥ ..... مقدمة

الفصل الأول

٩ ..... عُلِّقَ المفسر

١١ ..... الاتجاه نحو التفاسير العصرية

١٤ ..... ما يجب على المفسر

٢٣ ..... سؤال وجواب

٢٥ ..... الفصل الثاني

٢٧ ..... ١ - في الموسيقى القرآنية

٣١ ..... ٢ - لماذا كان إعجاز القرآن ؟

الفصل الثالث

٣٧ ..... التوحيد

٣٩ ..... لا إله إلا الله

٤٣ ..... أسماء الله

٦١ ..... رب واحد ودين واحد

٦٤ ..... لا كهنوت

٦٧ ..... بيان مقتضات الكتاب

## الفصل الرابع

الإنسان غير أم مسير ؟	٧٣
مذاهب الحتمية	٨٦
مشكلة الحرية والكفالة	٨٦
النقد	٨٦

## الفصل الخامس

لغز آدم وحواء	٩٥
أهي قصة الخلق أم لغز آدم وحواء	٩٧
القرآن ونشأة العالم	١٠٠
نقد الكتاب	١٠١

## الفصل السادس

الغيبات	١٢٩
عالم الملائكة والشياطين والجن والمردة	١٣١
يوم القيامة	١٤٢
البعث	١٤٩
عن كتاب لغز الموت	١٥٤
مناقشة الكتاب	١٥٨

## الفصل السابع

الجنة والجحيم	١٦١
بطلان تأويل النعيم والعذاب ؟	١٧٥
عودة إلى جنة آدم	١٧٧
أداة الكاتب على علم وجود نار وجنة	١٨١
في الحساب	١٨٧
حديث الثر	١٩٥

## الفصل الثامن

الحلال والحرام	١٩٩
عائشة	٢١٠
القهر من	٢١١

\*\*\*

في تاريخ

العدد

- ١٢١ - ...
- ١٢٢ - ...
- ١٢٣ - ...
- ١٢٤ - ...
- ١٢٥ - ...
- ١٢٦ - ...
- ١٢٧ - ...

رقم الايداع ١٢٧٦/٥٥٨٠  
الترقيم الدولي ٠ - ٥٩ - ٧٠٦٥ ISBN